لطائف ومعارف القرآن الكريم
بين سؤال وجواب

الجزء الأول

الشيخ
علي الإبراهيمي



لطائف ومعارف القرآن الكريم
بين سؤال وجواب

لطائف ومعارف القرآن الكريم

من سورة الناس إلى سورة الضحى

((الجزء ٣٠ من القرآن الكريم))

الجزء الاول

الشيخ

علي الإبراهيمي





هيئة محمد الأمين

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

مراكز التوزيع	
مكتبة الأمين العراق - كربلاء المقدسة هاتف ٣٣٥٢٦٢ / ٣٢٨٦١١	مكتبة الأمين إيران - قم - ص.ب : ٤٣٥٩ هاتف : ٧٧٤٢٥٩٩
مكتبة هيئة الأمين ﷺ الكويت - بنيد القار حسينية أحمد عاشور هاتف / ٢٥٤٤٢٠٢ - فاكس / ٢٥٢٩٦٤٠	دار الأمين لبنان - بيروت حارة حريك مقابل البنك الفرنسي قرب مستودع دار العلوم

مكتبة هيئة الأمين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤
إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥
ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ
عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

الإهداء..

السلام عليك يا رسول الله يا محمد بن عبد الله، يا خير خلق الله، ورحمة الله وبركاته..

السلام على أهل بيتك المعصومين الأطهار؛ علي أمير المؤمنين والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة والتسعة المعصومين من ذرية الحسين ﷺ، شجرة النبوّة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العلم وأهل بيت الوحي..

السلام على الإمام المهدي المنتظر الحجة بن الحسن العسكري عليه صلوات الله وسلامه ورحمة الله وبركاته..

إليك يا رسول الله وإلى أهل بيتك الأطهار أهدي هذا العمل راجياً من الله تعالى القبول والنفع ليوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم..

كما وأهدي ثواب هذا العمل لأرواح جميع المؤمنين والمؤمنات لا سيما إلى روح أخويّ (مؤيد وعادل حسين)..

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين..

المؤلف

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على من جعله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله الذين أذهب عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيراً..

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿قَدْ جَاءكُمْ مِنْ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١].

وعن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن فظنّ أن أحداً أعطي أفضل مما أُعطي فقد حقَّر ما عظم الله، وعظم ما حقَّر الله»[٢].

وقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «وتعلّموا القرآن، فإنه أحسن الحديث، وتفقّهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص»[٣].

عن الإمام الحسن العسكري عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن النبي الأكرم محمد ﷺ أنه قال: «إن هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الأشفى، والفضيلة الكبرى، والسعادة العظمى، من استضاء به نوَّره، ومن عقد به

---

(١) المائدة: ١٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج٦ ص١٧٠ ب٢ ح٧٦٥٤.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١١٠.

أموره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله، ومن لم يُفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن آثره على سواه هداه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضله الله، ومن جعله شعاره ودثاره أسعده الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدي به، ومعوّله الذي ينتهي إليه أداه الله إلى جنات النعيم والعيش السليم»(١).

وعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافعٌ مشفع، وما حل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيانٌ وتحصيل، وهو الفصل وليس بالهزل... ظاهرهُ أنيق وباطنه عميق، له نجوم، وعلى نجومه نجوم، لا تُحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة... نورٌ لا تطفأ مصابيحه، وسراج لا يخبؤ توقّده، وبحر لا يدرك قعره، ومنهاج لا يضل نهجه، وشعاع لا يظلم ضوءه، وفرقان لا يخمد برهانه، وتبيانٌ لا تهدم أركانه...»(٢).

قبل سنوات بدأت في الكتابة حول القرآن الكريم، وكانت البداية مجموعة من البحوث في الآيات القرآنية بصورة موضوعية، وجاء البحث الأخير في السور القصار وكنت ألقيه على مجموعة من طلاب العلوم الدينية في مدينة قم المقدسة، ورأيت من الضروري كتابته بشكل جميل وسهل، لتعمّ الفائدة للجميع، وضعت أسلوب الكتاب بصورة سؤال وجواب، حيث بهذا الأسلوب تكون الفائدة ما لم تكن في غيره، اعتمدت في كتابة البحث على مجموعة من التفاسير المعتبرة وعلى رأسها (تفسير الميزان) للعلامة الطباطبائي (رحمه الله)، و(التفسير الأمثل) لمكارم الشيرازي، و(تفسير الفرقان) للدكتور محمد الصادقي، و(تفسير منة المنان) للسيد الشهيد محمد الصدر(قده)، و(التفسير الكبير) للفخر الرازي، و(تفسير من هدى القرآن) للسيد محمد تقي المدرسي.. وبعض التفاسير الأخرى بشكل مختصر، بالإضافة إلى بعض التأملات الشخصية كتبتها في جواب بعض الأسئلة، وهنا

---

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: الفرقان، مجلد ١، ١٢.

(٢) أصول الكافي ٢: ٦٠٠ و ٥٩٨.

بعض الملاحظات أشير إليها :

أولاً: إنّ لآيات القرآن الكريم أبعاداً مختلفة، وعلى قول الأئمة الطاهرين عليهم السلام إنّ له تخوماً وبطوناً تصل إلى السبعين وكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «ظاهره أنيق وباطنه عميق . . . لا تحصى عجائبه، ولا تُبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة»، لذا فعندما كتبت جواباً للسؤال المطروح، لا أدّعي أنه كل المراد والمطلوب، إنما سجلت ما وجدته في التفاسير المعتبرة، وما هي إلاّ بيان لبعض الموضوعات، وسيظل القرآن فوق التفاسير لا يحيط بكنهه إلا الله والراسخون في العلم وهم أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

ثانياً: بما أن بحوث السور المباركات جاءت بصورة سؤال وجواب، وقد صُبّت في قالب جميل وسهل، لذا يتمكن الأساتذة الكرام الاستفادة من هذه البحوث الجميلة في نشر مفاهيم القرآن الكريم بين مختلف طبقات المجتمع، فانه (هدى للناس) ويكون لهم بذلك الأجر العظيم من الله سبحانه وتعالى في إحياء كتابه العزيز في أمة نبيه محمد صلى الله عليه وآله **﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾**[1] .

وطريقة التدريس هي أن يجمع الأستاذ مطالب الآيات المباركات في ذهنه أولاً بصورة كاملة وجيدة، ثم يعرض الأسئلة على الحضور من دون أجوبتها، ويطلب منهم التفكير في الأجوبة، وبعد الانتهاء من عرض الأسئلة، فإن أجاب الحضور على بعضها فبها ونعمت، وإن لم يجيبوا، فالأستاذ يجيب عليها بشكل متسلسل ومنظم، وله الحق في التوسعة، بشرط أن لا يكون مخالفاً لكتاب الله عزّ وجل فـ«القرآن يفسر بعضه بعضاً وينطق بعضه على بعض»[2] وقال عليه السلام : «القرآن حمالٌ ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه» وقال الله تبارك وتعالى: **﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ و لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾**[3] .

ثالثاً: يمكن أن تكون مواضيع البحث المستوحاة من كتاب الله العزيز، مادّة غنية ومفيدة

---

(١) الفرقان: ٣٠.

(٢) نهج البلاغة عن الامام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام .

(٣) النساء: ٨٤.

لإخواني الخطباء والمبلّغين (حفظهم الله)، حيث إنّها مواضيع جديدة وجميلة، قلّما طُرحت على المنابر وقلّما سمعها الناس، ومنبر الإمام الحسين عليه السلام خير سبيل لإيصال كلام الله (تعالى) إلى الآخرين، فيتمكّن الخطيب الاستفادة من مواضيع الكتاب وأسلوبه في إفادة وجمع أذهان مستمعيه أكثر من أسلوب آخر. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾(١).

رابعاً: كم هو جميل وعظيم أن نرى حوزاتنا العلمية المباركة تهتم بدراسة القرآن الكريم بمقدارٍ أكثر مما هو عليه الآن، لكي تكون مرضيةً عند الله سبحانه وتعالى بالشكل الكامل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً..».

خامساً: أرجو من القراء الكرام أن يهدوا إليَّ عيوب كتابي، ويبتغوا بذلك مرضاة الله تبارك وتعالى، وأخيراً أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا الجهد القليل وأن ينفعني به وسائر المؤمنين يوم الجزاء الأكبر ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٢).

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين..

علي الإبراهيمي

١٧ ربيع الأول ١٤٢٦هجرية

دمشق - بجوار السيدة زينب الكبرى

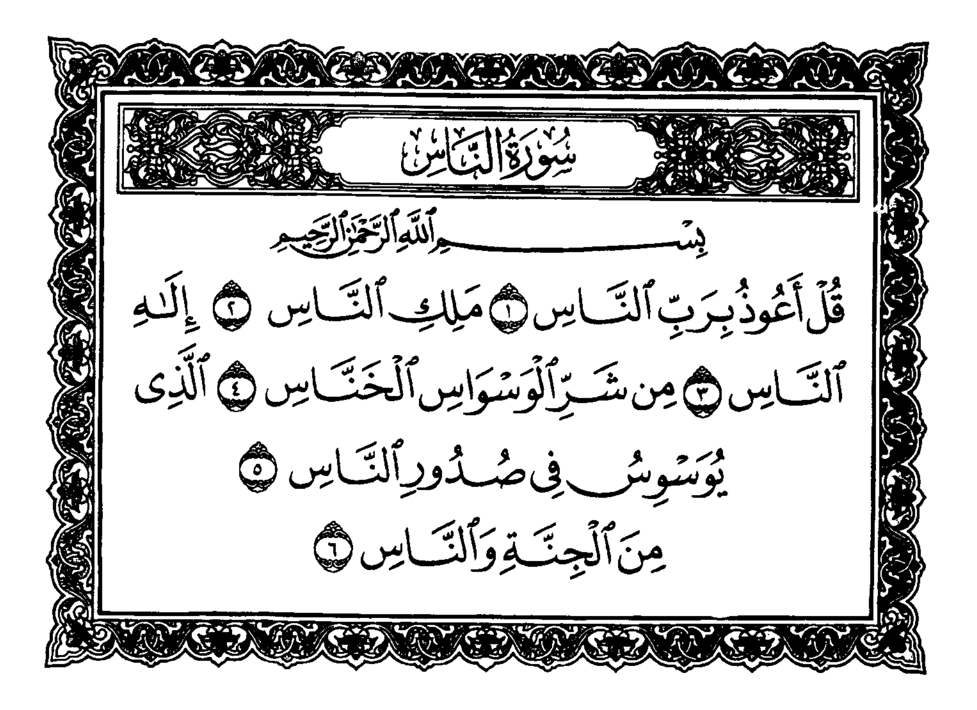
(عليها وعلى آبائها أفضل الصلاة والسلام)

---

(١) القمر: ١٧.

(٢) الشعراء: ٨٨.

سورة الناس



فضلها:

عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «يا عقبة ألا أُعلمك سورتين هما أفضل القرآن؟

قلتُ: بلى يا رسول الله، فعلمني المعوذتين ثم قرأتهما في صلاة الغداة قال أقرأهما كلما وقعت»[1].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، مجلد ٤، ص ٥٣١، ح ٦.

سبب نزول السورة:

عن علي بن إبراهيم، قال حدثني أبي عن بكر بن محمد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كان سبب نزول المعوذتين أنه وعك رسول الله صلى الله عليه وآله فنزل عليه جبرئيل بهاتين السورتين فعوذه بهما»[١].

المفردات:

أعوذ: ألتجئُ، اعتصم.

الربّ: مأخوذة من التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ الإتمام، وهو مصدرٌ مستعارٌ للفاعل، تُقال مطلقاً لله، وبالإضافة أيضاً كقوله (ربّ العالمين) وتُقال لغيره بالإضافة فقط كقوله تعالى: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[٢].

الناس: قيل: إنّها مأخوذة من نسيَ ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[٣]، وقيل إنها مأخوذة من الأُنس حيث إذ أن الإنسان مدنيٌّ بطبعه. وأنّها تدعوا إلى الإنسانية والفضل والأخلاق الحميدة، وإذا افتقد الإنسانُ هذه الصفات لا يصحّ إطلاق الاسم عليه، فالقرآن الكريم نراه يصف المؤمنين بالناس، قال (عزّوجلّ): ﴿...آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾[٤]، ويصف الكفّار بـ﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[٥].

إله: مأخوذة من ألِهَ (تحيّر) و(وَلَه) فزع، وإنه اسمٌ وضع للآلهة من دون الله (سبحانه وتعالى)، فسمّوا الشمس إله، وقيل: إنّ لفظة الجلالة (الله) أصلُهُ إلهُ فحذفت همزتُهُ وأُدخِلَ عليه الألف واللام فخُصّ بالباري تعالى، قال (عزّوجلّ): ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾،

---

(١) تفسير البرهان، م ٤، ص ٥٣١، ح ١.

(٢) يوسف: ٥٠.

(٣) طه: ١١٦.

(٤) البقرة: ١٣.

(٥) الأعراف: ١٧٩.

وقيل: إنّها من ألهَ (تحيّر) وذلك أنّ العبد إذا تفكّر في صفاته تحيّر، ولهذا قال ﷺ: «تفكّروا في آلاء الله وَلاَ تُفَكّروا في الله».

وقيل: إنّ (الله) مأخوذة من (ولاهُ) فأبدلَ الواو همزة وذلك لأنّ جميع المخلوقات والهه نحوه، إمّا بالتسخير كالجمادات والحيوانات، وإمّا بالتسخير والإرادة كما في الإنسان قال (عزّوجلّ): ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

الوسواس: صيغة مبالغة من الوسوسة وهو حديث النفس، سمّي الشيطان الرجيم به لكثرة وسوسته.

الخَنّاس: صيغة مبالغة من الخنوس وهو الاختفاء بعد الظهور.

الجِنَّة: مأخوذة من الجنّ وهو الستر، يُقال: جَنَّ الليلُ عليه، أي: ستره.

ويَسمّى القلب بالجنان وذلك لستره عن الحواس، والجَنَّةُ كُلُّ بُستان ذي شجر يَسْتُرُ بأشجاره الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ الله...﴾[١]، وتسمّى الجنّةُ بهذا الاسم أيضاً وذلك لخفاء نعمها ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[٢].

وتطلق أيضاً على الولد الذي في بطن أُمّه وعلى القبر وعلى الملائكة والشياطين، فكلّ ملائكة جنّ وليس كلّ جنّ ملائكة، يُطلق أيضاً على الخلق الآخر الذي منهم أخيار ومنهم أشرار ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾[٣]. والجنون هو حائل بين النفس والعقل.

موضوع السورة:

السورة تأمر النبيّ ﷺ وَجَميعَ المكلّفين بأن يَستَعيذوا بالله من شَرّ الوسواس الخنّاس لأجل حفظ سلامة القلب الذي يَحلُ به الدين والإيمان، وهي سورة مدنية.



(١) الكهف: ٤٠.
(٢) السجدة: ١٧.
(٣) الجن: ١٥.

الأسئلة والأجوبة

❁ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ﴾.

(س) ما معنى الباء في البسملة؟

(ج) يحتمل أن تكون:

١- سببية: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ...﴾[1].

٢- الإلصاق: وهو في اللغة على قسمين:

أ) مادي مباشر كالقول: عملت بيدي.

ب) معنوي: نحو مررت بزيد.

فيكون المعنى في البسملة: إن عملي مقترن وملتصق (مجازاً) ببسم الله الرحمن الرحيم.

٣- الظرفية: كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ﴾[2]، ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾[3].

٤- الاستعلاء؛ قال (تعالى): ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ﴾[4]، أي على قنطار. قال (تعالى): ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[5] أي عليهم.

فيكون المعنى في البسملة إفادة التوكل على الله، والمعنى، أبدأ على اسم الله أو توكلت على الله والعامة تقول: توكلت بالله.

وكل هذه المعاني ممكنة وصحيحة وقد تكون كلها مراده ولا يمكن الأخذ بواحدة منها فقط وترك الباقي، فلعل الباقي مقصود أيضاً.

---

(١) البقرة: ٥٤.

(٢) آل عمران: ١٢٣.

(٣) القمر: ٣٤.

(٤) آل عمران: ٧٥.

(٥) المطففين: ٣٠.

ولا يمكن لأي حرف آخر من حروف الجر أن يقوم مقام الباء لأنّه لا يمكن أن يؤدي مؤداها، لما في الباء من معان وتفرعات ما ليس في غيرها[١].

(س) لماذا قال: بسم الله.. ولم يقل بالله أليس الاعتماد على الله مباشرة أفضل من الاعتماد على اسمه؟

(ج) لو قلنا: بالله الرحمن الرحيم، لقصدنا ذات الله (سبحانه) وعندئذ تسقط المعاني التفصيلية الموجودة في: الله، الرحمن، الرحيم، في حين الإنسان مأمور بالتوجّه إلى أسمائه الحسنى لا إلى ذاته المقدسة، وأن يجعل الأسماء الحسنى واسطة بينه وبين ربّه[٢].

(س) لماذا تبدأ سور القرآن الكريم بالبسملة؟

(ج) جاء في الحديث الشريف، إنّ كل أمر ذي بال لم يُذكر فيه اسم الله فهو أبتر.

(س) ما هي الفوائد التي يمكن لمسها من ذكر البسملة؟

(ج) لما كان من الواجب على الإنسان ذكر الله (عزّوجلّ) دائماً وعدم نسيانه، وهذا الأمر صعبٌ على الإنسان لانشغاله بأموره الحياتية المادية، لهذا طرحت الشريعة المقدسة برنامجاً يعوض عن ذلك، وهو استحباب الذكر في أوّل العمل وفي آخره، وأوّل الذكر بالبسملة وآخره بالحمد، فإذا كان العمل بادئاً بالذكر ومنتهياً به فيكون الفرد بينهما بمنزلة الذاكر الدائم[٣].

(س) لماذا خصّت البسملة بهذه الأسماء الحسنى (الله الرحمن الرحيم) دون غيرها إذ لم يقل السميع البصير أو العليم و و؟

(ج) ١ - إنّ لفظة الجلالة (الله) إشارة رئيسية للذات المقدسة تبارك وتعالى، فبسم الله أي باسم الذات، فلابدّ من ذكر الذات أوّلاً ثم التنزل إلى عالم الأسماء الأخرى.

---

(١) تفسير منة المنان، سورة الناس: الآية.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

٢- (الرحمن) أوسع أسماء الله الحسنى على الإطلاق وأنّها وسعت كل شيء، ولهذا اختارها الله (عزّوجلّ) بعد اسم ذاته المقدسة وهي اسمٌ عام يشمل الجميع في الدنيا.

٣- (الرحيم) أنّها أفضل الأسماء الحسنى المحدودة بعد ذكر الاسمين العامين، وهذا الاسم المحدود خاصٌ بالمؤمنين وبه يكون تكاملهم في الدنيا والآخرة.

(س) ما المراد من الاسم في البسملة؟

(ج) الاسم هو اللفظ الدال على المسمى، مشتق من السمة بمعنى العلامة.

(س) لماذا ذكر الاسم بصورة مفردة لا جمع، مع أنّ مدخوله ثلاثة أسماء؟

(ج) ١) للذوق، فلو قال بأسماء الله الرحمن الرحيم، لفقد السياق القرآني لطافته.

٢) أنّ المراد بالاسم: الجنس وهو بمنزلة الجمع لأنّه متضمن لأفراده.

٣) أنّ المراد من الاسم مدخوله المباشر وهو لفظ الجلالة، وأما الرحمن الرحيم صفتان للذات الإلهية لا علاقة لها بالاسم[1].

۞ قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

(س) ما سبب مجيء (قل) في بداية السورة المباركة؟

(ج) ورد لفظ (قل) في القرآن الكريم ٣٣٢ مرة وأنّها وردت لأجل أمور وأهداف مهمة منها:

١- لأجل التبليغ إلى الناس وتنبيههم إلى الأمور الإلهية، قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[2].

وقال (تعالى): ﴿قُلْ لاَ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[3].

٢- لنفع المأمور أو المكلّف ليقول ذلك ولينتفع به، كقوله (عزّوجلّ): ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ...﴾ فإنّا بذلك سوف نعرف التوحيد وغير ذلك..

---

(١) منة المنان: الآية.

(٢) النور: ٣٠.

(٣) الشورى: ٢٣.

٣- إنّ الاستعاذة في سورة الناس خاصة بالمخلوقين، ولا تناسب الله (تبارك وتعالى) فإنّه غنيٌّ وسواه فقير، لذا لابدّ من أن تكون لفظة قل موجودة، بينما افتتح الله تعالى بعض السور بدون كلمة (قل) وذلك لعدم الاحتياج إليها، ومناسبة صدوره منه (عزّوجلّ) كقوله: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١).

(س) ما علّة ذكر (الناس) أربع مرات، دون غيرهم من الجن والمخلوقات الأخرى مثلاً؟

(ج) ١- لحفظ النسق القرآني السيني الموجود في السورة المباركة.

٢- جاء الاهتمام والتركيز على الناس، لأنّ الاستعاذة إنّما هي لهم لا للملائكة ولا للحيوانات والمخلوقات الأخرى التي هي متوجهة كاملاً لله (تبارك وتعالى): ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢)(٣).

(س) لماذا لم تعطف الآيات بحرف عطف مع (رَبِّ النَّاسِ)..؟

١- أنّه هو الأنسب بالذوق والسياق القرآني.

٢- إحراز هيبة وعظمة هذه الأسماء الحسنى، ومع وجود الواو يتضاءل هذا الجانب بلا شكّ.

(س) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ خطابٌ موجّهٌ للنبيّ ﷺ، يأمرُهُ بأن يستعيذ بربّه من شرّ الوسواس الخنّاس، فهل يحتاج النبيّ إلى الاستعاذة بعد أن عصمه الله وجعله رسولاً للعالمين؟

(ج) الخطاب موجّه للنبيّ ﷺ، كما أنّه موجّهٌ لغيره؛ وذلك لأنّه من الناس، وأنّه لا يمكن له الاستغناء عن تأييدات الله (عزّوجلّ) وتثبيته، قال (عزّوجلّ): ﴿وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ

---

(١) منة المنان: الآية.

(٢) التغابن: ١.

(٣) المصدر السابق.

﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً..﴾ [١]، ولهذا كان الرسول ﷺ يطلب من الله الثبات والازدياد في الهداية إلى الطريق المستقيم بقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وهذا ما أمرهُ الله به بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾.

(س) لماذا أمرنا الله عزّوجلّ بأن نستخدم هذه الصفة في الاستعاذة به دون غيرها من الصفات والأسماء الحُسنى؟ إذ لم يَقُل: قُل أعوذُ بربّ الكون أو السماء أو غير ذلك؟

(ج) ١- لأنّ الإنسان هو أشرف المخلوقات في العالم، وأنّه هو المبتلى إلى جانب الجنّ الصالحين، بوساوس الشيطان الرجيم، ولأنّ السورة تتحدّث حول سلامة قلوب الناس، فلهذا جاءت الاستعاذة بربّ الناس.

٢- فيه نوع من التضرّع والدُّعاء، إذ المأمور بالاستعاذة هو الإنسان، فإذا قال ذلك صار كأنّه يقول: ياربِّ يا مالكي يا إلهي.

٣- وفيه تأكيد للإنسان على قدرة الله (عزّوجلّ) في حمايته وتلبية حوائجه، فإنّ الذي يُربِّي الناس ومالكهم وإلههم فهو قادر على كلّ صغيرة وكبيرة[٢].

(س) لماذا أُمر الرسول ﷺ والناس بالاستعاذة واللجوء الدائم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ التي تدلّ على الاستمرارية والدوام؟

(ج) إنّ من طبع الإنسان إذا أحسَّ بالخوف أو الضعف في نفسه الالتجاءَ بمن يقوى على حمايته ودفع الضعف عنه، ولهذا أُمرَ بالالتجاء إلى الله الذي له القوّة ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعاً﴾ والقادر على حماية الإنسان. ولهذا نرى الإنسان يلتجأ بصورة كاملة ومطلقة عند تعرّضه للخطر الحقيقي ﴿...فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ..﴾ [٣]. ويلتجأ إلى الله (عزّوجلّ) في الأوقات الأخرى بدرجات متفاوتة.

---

(١) الإسراء: ٧٤.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠، الآية.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٥.

(س) لماذا لا تصحّ الاستعاذة إلاّ بالله (عزّوجلّ)؟

(ج) الالتجاء والاستجارةُ الحقيقيّة لا تصحّ إلاّ لله (سبحانه وتعالى) وذلك لكونه يمتلك المواصفات الكاملة لذلك، وغيره لا يمتلكها أو يمتلك شيئاً قليلاً وزائلاً منها، فهناك ممّن يدّعي أنّه ربٌّ ولكن لا يمتلك العلم بما تحت يده لكي يوصل إليهم ما يحتاجونه ولا يمتلك الإمكانية المادّية الكافية لتلبية حوائجهم ولا يمتلك قُدرة الخلق، بينما الله (سبحانه وتعالى) هو الربُّ الحقيقي الذي يعلم بمخلوقاته بشكل كامل، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَة إلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّة فِي ظُلُمَات الأَرْضِ وَلاَ رَطْب وَلاَ يَابِس إلاَّ فِي كِتَاب مُبِين﴾[١] وأنّه ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[٢]، فلذا يستطيع تربيةَ عباده بالشكل المطلوب.
ومن جانب آخر له ملك السماوات والأرض وأنّه لا إله إلاّ هو، وأنّ الذين من دونه لا يستطيعون دفع الضُرّ عن أنفسهم ولا جلب الخير لها.
إذاً فلأنَّ اللهَ (سبحانه وتعالى) ربُّ النّاس وملك الناس وإله الناس، لهذا فإليه تصحُّ الاستعاذة واللجوء دون غيره ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[٣].

(س) لماذا جاء الأمر بالاستعاذة بصيغة المضارع دون الماضي أو المستقبل؟ إذ لم يقل قل عُذتُ بربّ . . . أو قُل سأعوذُ بربِّ النّاس . . ؟

(ج) كلمة أعوذ تدلُّ على الاستمرارية، يحتاج الإنسان وهو في هذه الدُّنيا إلى الالتجاء الدائم إلى الله (عزّوجلّ) فَلَو انقطع عنه ولو لفترة قصيرة، سَيَرى الضَّنك في معيشته، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾[٤] ولهذا قال (عزّوجلّ): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾[٥].

---

(١) الأنعام: ٥٩.
(٢) طه: ٧.
(٣) الزمر: ٦.
(٤) طه: ١٢٤.
(٥) الأحزاب: ٤١.

(س) لماذا ذكرت السورة المباركة صفتين أُخريين لله (تعالى) إلى جانب ذكرها لصفة ربوبيّة الناس؟

(ج) وذلك لكي لا يحدثُ خلطٌ بينه (سبحانه وتعالى) وبين من يدّعي الربوبيّة، فلو لم تذكر السورة صفتين أُخريين لله (عزّوجلّ) لأمكن انصراف الآية إلى غيره، فهناك الكثير ممّن يدّعي الربوبيّة كفرعون والسائرين على نهجه وَخَطّه وكاليهود الذين ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ الله..﴾ (١) ولكنّهم لا يمتلكون ما يمتلك رَبُّ العزّة (سبحانه وتعالى)(٢).

(س) لماذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ..﴾ ولم يقل: مالك الناس؟

(ج) كلمة (ملك) تُفيدُ المُلك، بينما (مالك) أي القادرُ عليه، فلم يَقُل مالك الناس لأنَّ رَبَّ الناسِ أفادت ذلك، ولو ذُكرت لصار نوعٌ من التكرار وعدم الكمال. . وحاشا للقرآن من التكرار الغير المفيد والنقص قال (سبحانه وتعالى): ﴿الْحَمْدُ لله الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾(٣).

(س) لماذا تكررت لفظة الناس في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ. إِلَهِ النَّاسِ﴾؟

(ج) في التكرار بيان لمزيد تكريم الإنسان وشرفه على المخلوقات، وفيه تأكيد وعنايةٌ للإنسان بأنّ الله (عزّوجلّ) هو رَبُّ النّاس ومالكهم وإلههم، ولولا حاجة الإنسان لذلك لما جاء هذا التأكيد، ولأنّ الإنسان في بعض الأحيان يَعْرِضُ عن ربّه بصورة لا تعرض فيها سائر المخلوقات الأخرى ﴿يُسَبِّحُ لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾(٤)(٥).

---

(١) التوبة: ٣١.
(٢) التفسير الكبير: الآية.
(٣) الكهف: ١.
(٤) التغابن: ١.
(٥) التفسير الكبير: الآية.

(س) ماذا يجب أن يفهم الإنسان من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾؟

(ج) الآيات تدعو الإنسان إلى معرفة نفسه وحجمه، فقوله (ربّ الناس) رَدٌّ على الذين يدّعون الربوبية وأنّهم يمتلكون القدرة وزمام أمور الناس فالذي يدّعي هذا هل يملك ما على الأرض، وقوله تعالى: ﴿ملك الناس﴾ رَدٌّ على الذين يَدّعون المُلك في هذه الحياة كفرعون الذي يقول: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي..﴾[1]، وذلك المَلكُ الذي أخذه الطغيان بسبب حصوله على شيء من ملك الدُّنيا قال (عزّ وجلّ): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2]، فالذي يدّعي المُلك هل هو رَبُّ النّاس وإله النّاس وهل يملك الكثير كما الله (تعالى)، وهناك مَن يتّخذ من دون الله إلهاً يعبدهُ، فالآية تقول له: هل هذا الإله يعلم ما في السماوات والأرض، وهل يقدر على على تربية الخلق، هل يمتلك شيئاً من السماوات والأرض، فالله (سبحانه وتعالى) هو الربّ الحقيقي وهو الملك وهو الإله.

(س) لماذا لم تعطف السورة (ملك الناس، إله الناس) بحرف عطف مع (ربّ الناس) وإنّما جاءت بصورة مستقلّة؟

(ج) وذلك للإشارة إلى أنّ كلّ صفة من الصفات المذكورة هو سببٌ مستقلّ في دفع الشرّ عن الإنسان، أي أنّه قادرٌ على دفع الشرّ بأيّ صفة دعى بها العبد كقوله (سبحانه وتعالى): ﴿اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ﴾. ومن هنا جاء تكرار لفظة الناس، فالناس

(١) الزخرف: ٥١.
(٢) البقرة: ٢٥٨.

قادرون بالالتجاء إلى الله (عزّوجلّ) بأيّ صفة من صفاته المذكورة[1].

(س) كيف يستعيد الإنسان بربه بالصورة المطلوبة منه؟

(ج) لاشكّ أن الالتجاء القولي واللساني لا يكفي ولا يوصل الإنسان إلى الهدف المطلوب، بل يكون ممقوتاً من قبل عز وجل أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ فلابد أن يمتزج القول بالعمل الصالح والمفيد[2]، لكي يحقق الإنسان الاستعاذة الكاملة في نفسه.

۞ قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾.

(س) هل المُبتلى بوساوس الشيطان الخنّاس هم الناس فقط دون الجِّنّ؟

(ج) لاشكّ أنّ الجنَّ أيضاً مبتَلُونَ بوساوس الشيطان الرجيم لأنّهم خلقوا لأجل الابتلاء والامتحان كما الإنسان قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[3].

(س) قيل إنّ الشيطان لا يوسوس في صدور الجن لأنّه ليس عدوهم إذ لم يذكر القرآن الكريم ذلك ثم إنّهم يرونه، ولهذا يستطيعون الفرار منه بينما الإنسان لا يراه، قال (تعالى): ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾[4] فكيف يمكن فهم ذلك؟

(ج) ١ - الشيطان ليس عدواً للإنسان فقط بل هو عدوٌّ لأهل الإيمان بصورة عامة سواء كانوا من الملائكة أو الجن أو البشر، وهو عدوٌّ لمؤمني الجن لأنّهم يطيعون ويحبّون الله سبحانه وتعالى وهو عدو الشيطان.

عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «أصدقاؤك ثلاثةٌ: صديقك،

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) الصف: ٢ ـ ٣.

(٣) الذاريات: ٥٦.

(٤) الأعراف: ٢٧.

وصديق صديقك، وعدوّ عدوّك. وأعداؤك ثلاثةٌ: عدوّك، وعدوّ صديقك، وصديق عدوّك»[١].

٢- وأما القول بأنّ الجن يرون الشيطان ويهربون منه بينما لا يراه الإنسان فيقع في شباكه فهو غير صحيح؛ لأنّ الإنسان لا يهرب ممّن يخدعه ويدعوه إلى الباطل بل يعتبره ناصحاً ومفيداً له وذلك لموافقته لرغباته وأوهوائه، وهناك الكثير من شياطين الإنس يوحون إلى بعضهم بالفساد والإفساد[٢]، قال تعالى: ﴿**شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً**﴾[٣].

(س) مَنْ هو الوسواس الخنّاس، ولماذا سُمّي بهذا الاسم؟

(ج) الوسواس الخنّاس هو إبليس، سُمّي به لكثرة وَسْوَسَته في صدور الناس، ولكثرة خنوسه وظهوره بعد الخنوس، وإنّه يخنس عند ذكر الله (عزّ وجلّ) ويظهر عند نسيانه. عن الرسول محمّد ﷺ قال: «إنّ الشيطان واضعٌ خطمه على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإذا نَسِيَ التقم، فذلك الوسواس الخنّاس»[٤].

(س) لماذا جاءت الاستعاذة في السورة بثلاث صفات لله (عزّوجلّ) والمستعاذُ منه واحد وهو الشيطان، بينما في سورة الفلق جاءت الاستعاذة بصفة واحدة لله وهي (ربّ الفلق) بينما المستعاذُ منه ثلاثةُ أمور وهي من شَرِّ الغاسق والنفّاثات والحاسد؟

(ج) سورة الناس تبحثُ حولَ سلامَة الدّين والقلب، بينما سورة الفلق تبحث حول سلامَة نفس الإنسان وبدَنه، ويحتاج الإنسان لأجل سلامة دينه أن يستعين بصفات أكثر ممّا يحتاج لأجل سلامَة بدَنه ونَفسه، وَأنّ مَرَضَ الدين أشدُّ من مرض البدن إذ يؤدّي بالإنسان إلى المرض الكبير الذي لا علاج له، قال تعالى: ﴿**نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ**

---

(١) نهج البلاغة: الكلمات القصار.

(٢) منة المنان: الآية.

(٣) الأنعام: ١١٢.

(٤) التفسير الكبير: الآية.

أَنْفُسَهُمْ﴾[١]، وقال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «ألا وأنَّ من البلاء الفاقة وأشدّ من الفاقة مرض البدن وأشدُّ من مرض البدن مرضُ القلب...»[٢][٣].

(س) لماذا قالت السورة المباركة عن الشيطان الرجيم إنّه يوسوس في صدور الناس دون أن تقول يوسوس في قلوب الناس؟

(ج) إنَّ القلوبَ مزكّاةٌ ومفطورةٌ على معرفة الله (تعالى) وحُبّه، وأنّها بعيدة عن متناول الشيطان الرجيم بينما استطاعته حول هذه الدائرة الإلهية، فلذا فهو يسعى إلى تكوين أغشية وأغطية حول القلب لكي يحجبه ويمنعه عن الاتصال بخالقه (جلّ وعلا)، ولهذا نرى الإنسان يمتلك القدرة على الرجوع إلى ربّه مهما صالَ وجال في أهوائه وشهواته وابتعد عن ربّه، وذلك لامتلاكه للحَرَم الآمن الذي لا يقوى إبليس على الدخول فيه.

فالشيطان الرجيم يستطيع الوسوسة ولكن في الصدر فقط دون القلب، ولهذا قالت الآية المباركة: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[٤].

❁ قال تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

(س) لماذا قَدَّم وسوسة الجِنّ على وسوسة الإنسان بقوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ وَهَل شيطان الإنس يختفي كما شيطان الجنّ عندَ ذكر الله (عزّوجلّ)؟

(ج) لأنَّ وَساوسَ الجنّ أقوى من وساوس الإنس إذ يأتون من حيثُ لايشعر الإنسان أبداً، وأنّ قائد الجنّ ورئيسهم إبليس، أقْسَم بالله على إغواء جميع الناس إلاّ مَن عصمه الله (سبحانه وتعالى): ﴿... قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ

---

(١) الحشر: ١٩.
(٢) نهج البلاغة: الكلمات القصار.
(٣) المصدر السابق.
(٤) تفسير الفرقان: الآية.

الْمُخْلَصِينَ﴾[١]، وشياطين الإنس أيضاً يخنَسون وتضعف قوّتهم عندما يرون الإنسان قد اعتصم بحبل الله (عزّوجلّ)، ورفض الإصغاء إلى الذين من دونه.

(س) الوسوسة هو حديث النفس، فما هي الأُمور التي تُحدثُها شياطين الإنس والجنّ في نفوسنا؟

(ج) هناك الكثير من الأُمور التي يوسوس فيها الشيطان الرجيم ذكرها القرآن الكريم بشكل مفصّل فلنراجع القرآن.

(س) لماذا جاءت هذه السورة في نهاية القرآن الكريم؟

(ج) قد يكون لأهمّية المطلب، وهذه الحالة موجودة في تعامل الناس إذ يذكر الكلام الذي يُراد تأكيده في نهاية المطاف وذلك للتأكيد والانتباه. ولاشكّ أنّ القرآن أمر الإنسان بالاستعاذة بالله من وساوس الشيطان ولكن جاء تأكيد ذلك بصورة مفصّلة وخاصّة في نهاية الكتاب وذلك لأهمّية الموضوع. قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ. وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾[٢]، وقال (عزّوجلّ): ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ..﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[٤].

(س) كيف نَلتجئ إلى الله (تعالى) من وساوس الشيطان؟

(ج) بذكر الله (عزّوجلّ) دائماً والابتعاد عن معاصيه، قال (عزّوجلّ): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً..﴾[٥]، وقال ﷺ: «إنّ الشيطان واضعٌ خَطمهُ على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس وإذا نَسِيَ التقم فذلك

---

(١) ص: ٨٢ـ٨٣.
(٢) المؤمنون: ٩٧ـ٩٨.
(٣) الأعراف: ٢٠٠.
(٤) النحل: ٩٨.
(٥) الأحزاب: ٤١ـ٤٢.

الوسواس الخنّاس». ثم القول الحسن مع الآخرين ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ (١). وملازمة الصبر ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٢). والدُّعاء ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ..﴾ (٣).

توجيه الأعمال والأقوال إلى الله (تعالى) وطلب الأجر عليها سواء كان العمل أكلاً أو نوماً أو تعلّماً أو حركةً أوهجرة أو غير ذلك.

السعي في أداء المستحبّات التي هي طريق لأداء الواجبات، ومن أهمها عدم النوم بعد صلاة الصبح حيث إذا نام العبد في هذا الوقت سوف يُحرم من رزقه المعنوي والروحي لذلك اليوم دون الرزق المادّي الذي تعهّد ربّ العالمين على إيصاله لجميع المخلوقات منها الإنسان، قال (عزّ وجلّ): ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٤).

(س) ماذا تقول السورة بشكل عام؟

(ج) السورةُ المباركةُ تقول: يجب طردُ وزجرُ كلَّ دعوة مشكوكة تَردُ على الإنسان، والالتجاءُ منها إلى الله (سبحانه وتعالى) سواء كانت هذه الدعوات جنّيّة أو إنسيّة. قال (عزّ وجلّ): ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٥).

---

(١) الإسراء: ٥٣.

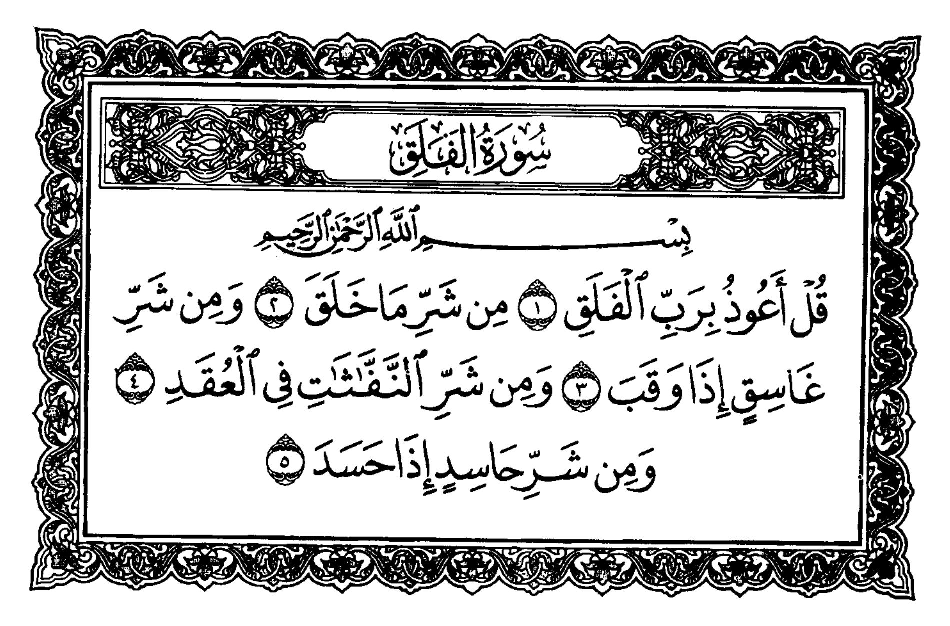
(٢) العصر: ٣.

(٣) غافر: ٦٠.

(٤) هود: ٦.

(٥) الأعراف: ٢٠١.

سُورَةُ الفَلَق



فضلها:

عن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال جاء جبرئيل إلى النبي وهو شاك، فرقاه بالمعوذتين وقل هو الله أحد، وقال بسم الله أوقيك والله يشفيك من كل داء يُؤذيك خذها فلتهنيك.

المفردات:

الفلق: الشقّ أو الفرق الواسع، ويُطلق عادةً على الصبح لأنّه المشقوق من الظلام.

الغاسق: أوّل ظلمة الليل، وفي اللغة: هو الهاجم بضرره.

وقب : دخل .

النفّاثات : النافخات .

الحسد : انفعال نفساني يحدث بسبب ضعف الإيمان بالله سبحانه وتعالى .

موضوع السورة المباركة:

السورةُ تأمرُ النّبيّ ﷺ والسائرينَ على نَهجه أن يلتجئوا إلى الله من كُلّ شرّ ومن بعضه خاصّةً .



الأسئلة والأجوبة

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.

(س) لماذا جاءت سورة الفلق بعد سورة التوحيد؟ و ماهي العلاقة الموجودة بين السورتين؟

(ج) لّما بيَّنَ الله (سبحانه وتعالى) في سورة التوحيد الصفات الخالصة لله (عزّوجلّ) وأنّها نزّهتهُ عمّا لا يليق به ، ودعت المؤمنين إلى توحيد الله (عزّوجلّ) ، فكأنّ العبد يقول : إلهي لقد أمرتني بتوحيدك وعدم التوجّه إلى غيرك وهذه طاعة عظيمة ، فكيف أستطيع أدائها بالشكل المطلوب؟ فجاءت سورة الفلق ، ثم سورة الناس لتقول لـه : التجئ إليَّ لكي أُوفّقكَ لهذا الأمر العظيم ؛ وذلك بحفظك من شرِّ المخلوقات الشرّيرة[1] ، وبحفظ قلبك من وساسو الشياطين .

(س) هل الاستعاذة عامة لجميع الناس؟

(ج) الاستعاذة لمَن يجمع في قلبه خوف الله وخوف الخلق ، وهم الأعم الأغلب . أما الذين ليس في قلوبهم سوى الله (تبارك وتعالى) لذا فهم يخشونه : ﴿وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ

(١) التفسير الكبير : سورة الفلق (الآية) .

الله﴾[1] وهؤلاء هم الأنبياء والأئمة المعصومون عليهم السلام فنرى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «والله لو تظافرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها»[2].

(س) لماذا جاءت الاستعاذة في هذه السورة (بربّ الفلق) دون استخدام اسم الله الأعظم، بينما أُمرنا باستخدام لفظة الجلالة (الله) عند قراءة القرآن، فقال (عزّوجلّ): ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[3]؟

(ج) أمَرَ الله (سبحانه وتعالى) عباده باستخدام لفظ الجلالة (الله) في الاستعاذة به عند قراءة القرآن الكريم، وذلك للمهمّة العظيمة والعبادة الجليلة التي يُريدون القيام بها، بينما الاستعاذة في سورة الفلق جاءت لأجل حفظ النفس والبدن من شرور المخلوقات، فأين ذلك من هذا[4].

(س) أُمرَ العبدُ مرّتينِ في السورتين الأخيرتين من القرآن الكريم بالاستعاذة بصفة الربوبيّة لله (عزّوجلّ) فلماذا جاء التأكيد بهذه الاستعاذة في آخر الذكر الحكيم؟

(ج) ذكْر كلمة الربّ ودعوة الناس إلى الالتجاء إليه بهذه الصفة في آخر القرآن الكريم، هو من أعظم أنواع الوعد بالإحسان والتربية، كأنَّ الله (عزّوجلّ) يُريد أن يقول في نهاية كتابه الشريف إلى أنَّ تربيتي وإحساني لا ينقطع عنكم أيُّها الناس[5].

(س) لماذا جاءت الاستعاذة في السورة بربّ الفلق دُونَ بأمر آخر، وما علاقة الاستعاذة بآيات السورة؟

(ج) في هذه الاستعاذة نوعٌ من الدعوة إلى الاطمئنان وتحقّق الأمر للإنسان وذلك بإنقاذه من الشرور التي قد يواجهها في حياته، تقول السورة المباركة فكما أنَّ الله (عزّوجلّ) قادرٌ

---

(١) الأحزاب: ٣٩.

(٢) نهج البلاغة، ص٤١٨.

(٣) النحل: ٩٨.

(٤) التفسير الكبير: ج٣٠ الآية.

(٥) المصدر

على إزاحة الظُلمة وإخراجِ النهار، فكذلك قادرٌ على إزاحة الشرور التي تهجم على الإنسان من حيث يحتسب أو لا يحتسب. وإنّ طلوع الفجر مثالٌ لمجيء الفرج.

(س) هل هناك قولٌ آخر في معنى الفلق؟

(ج) نعم، قيل: إنّه عبارةٌ عن كُلِّ ما يشُقّهُ الله (سبحانه وتعالى) ويخرجُ الخيرَ منه؛ كشقّ الأرض وإخراج النبات، قال (تعالى): ﴿... وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[1]، وكشقٍّ الجبال وإخراج الماء، قال (عزّ وجلّ): ﴿...وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ...﴾[2][3].

وهكذا الأمطار من السحاب، والأولاد من الأرحام، وصغار الحيوانات بعد انفلاق البيوض، وخلق السموات والأرض بعد تفجير الماء (المادّة الأوّلية)، قال (عزّ وجلّ): ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ...﴾[4].

وقيل: إنّ الفلق هو وادي في جهنّم.

۞ قال تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

(س) أمرنا الله (سبحانه وتعالى) بالاستعاذة به من شرّ مخلوقاته، فهل يُوجِدُ الله الشَّرَ في مخلوقاته؟

(ج) قد يخلق الله تعالى في بعض مخلوقاته نوعاً من الشرّ وذلك لحكمة عالية لا ندركها نحن ولا نعرف مصلحتها، ولكن له هدف من وراء ذلك قال تعالى: ﴿لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[5]، وقد يكون سببُ إيجاد الشرّ في بعض المخلوقات هو أنّ الدُّنيا دارُ ابتلاء وامتحان، قال (عزّ وجلّ): ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْء

(١) الحج: ٥.
(٢) البقرة: ٧٤.
(٣) تفسير الفرقان: الآية.
(٤) هود: ٧.
(٥) الأنبياء: ٢٣.

قَدِيرٌ. الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً...﴾ [(١)]، ولعلّ في هذه الشرور منافعاً ولكن لم تصل معرفة الإنسان إلى ذلك.

وقيل من الأمور التي يجب أن يستعيذ الإنسان منها هي شرور الاطعمة، وشرور الماء وطغيانه والنار ولدغ الحيّة والعقرب وغير ذلك. وعن ابن عبّاس (رضوان الله عليه) قال: أنّه إبليس خاصّة لأنّ الله (عزّوجلّ) لم يخلق خلقاً شرّاً منه.

وقيل: إنّه جهنّم وهي من شدائد ما خلق الله (عزّوجلّ)، قال (تبارك وتعالى): ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ...﴾ [(٢)].

۞ قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾.

(س) لماذا قال تعالى ﴿وَمِن شرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ولم يقل ومن شر الظلام إذا دخل؟

(ج) إنّ كلا اللفظين (غاسق ووقب) يدلاّن على الشدة، شدة الظلام وشدة الدخول، وهنا عدة أقوال في الغاسق ودخوله:

١ - هو الليل وما فيه من وحشة ووحوش ولصوص وحوادث مع قلة العدد وخذلان الصديق.

٢ - إنّ المراد من الغاسق هو ظلام النفس والقلب، ومع دخوله في النفس الإنسانية تنتج الكثير من المصائب والمعاصي والابتعاد عن الإيمان أشد على الإنسان من ظلام الليل ودخوله، وقد يدخل الظلام من جراء لقمة حرام أو صديق لا يخاف الله (عزّوجلّ) أو من وسوسة الشيطان لارتكاب الحرام، فعلى الإنسان أن يتوجه إلى الله (تعالى) لكي ينقذه من هذه المهلكة ويخرجه منها سالماً، كما يُفلق الظلام ويخرج منه النور والصباح.

وقد ورد عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام: «أفضل الجهاد مَن جاهد نفسه التي بين جنبيه».

٣- بلاءُ الغفلة ونسيان الله (تبارك وتعالى) واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ

---

(١) الملك: ١ و ٢.

(٢) آل عمران: ١٨٥.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[1]، ونسيان الله (عزّوجل) يوجب نسيان الإنسان نفسه ثم خسران الدنيا والآخرة، وهذا البلاء مرفوع عن النبي وأهل بيته المعصومين إذ أنّهم لا يغفلون عن الله (تعالى) حتى في المنام وفي أشدّ الظروف والأحوال.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لو كُشفَ لي الغطاء ما ازددتُ يقيناً»، وقال عليه السلام: «ما رأيتُ شيئاً إلاّ ورأيت الله قبله وبعده ومعه».

۞ قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾.

(س) لماذا يأمرنا الله تعالى بالالتجاء والاعتصام به عند دخول الليل، وهل الليل شَرٌّ لكي يَتحرّز الإنسانُ منه ويطلب من الله (عزّوجل) المحافظة والأمن، بينما ذكر الله لنا في آيات عديدة بأنّ الليل من النِّعم الإلهية الكبرى ولولا الليل لاضطربت حياة الإنسان بصورة كاملة؟

(ج) الليلُ محطّةٌ مهمّة في حياة الإنسان يستريحُ فيه من تعب النهار وصَخَبه. القرآن يصفه بأنّه وقتُ سكن واستقرار حيث قال (عزّوجل): ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً...﴾[2]، وبانعدامه تتدهور حياة الإنسان حتى تُقعدهُ عن الحركة في النهار أيضاً، وهناك فوائد كثيرة أخرى للّيل، ولكن في نفس الوقت هناك بعض المشاكل والأذى يواجهها الإنسان مع مجيء الليل منها خروج الحشرات والحيوانات المؤذية والسباع، وهكذا يهجم السرّاق ويقع الحريق ويقلُّ الناصر، ويهجم العدوّ والحاقد. لهذا يدعونا القرآن الكريم بالاعتصام بالله (عزّوجل) من شرور الليل. وهناك ضيقٌ خانقٌ يشعرُهُ الإنسان مع دخول الغاسق لا ينجو منه إلاّ بذكر الله (سبحانه وتعالى) والالتجاء إليه.

(س) لماذا جاءت الاستعاذة بصورة مخصّصة من ثلاثة أمور وهي (غاسق الليل والنفّاثات في العُقد والحاسد) وذلك بعد أن جاءت الاستعاذة بصورة مطلقة من جميع المخلوقات

---

(١) الروم: ٧.

(٢) يونس ٦٧.

التي تحمل شراً؟

(ج) لأجل تنبيه الناس إليها، أنّها من الشرور العظيمة، أو قد يكون السبب هو غفلةُ أكثر الناس عن هذه الشرور، فلا يُعيرُونَ أهمّيةً إليها بالرغم من تأثيرها وخطرها على الإنسان[١].

❁ قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾.

(س) ما هو المراد من العُقَد في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ والتي يمكن النفخ فيها؟

(ج) ١) يمكن أن تكون العقد هي ملكات السوء الموجودة في الإنسان، والمَلَكة هي الصفة الراسخة التي لا تنفك فتشبه العقدة، والنفث فيها هو التسبب إلى إبقائها وزيادتها كالنفخ في النار لأجل ازدياده.

٢) إنّها ملَكات الخير والنفثَ فيها لأجل تضعيفها وزلزلتها وأخيراً لإزالتها.

٣) هو السلوك الصالح للإنسان والاعتياد عليه، والنفث فيه محاولة لإفساده وتبديله، وكما هناك نفث سيئ وشر، هناك نفث صالح ومرغوب، سئل نبي الله عيسى (على نبينا وآله وعليه السلام): مَن نجالس يا نبي الله؟ قال عليه السلام: «جالسوا مَن يذكّركم بالله رؤيته، ويزيدكم في العلم منطقه، ويذكّركم بالآخرة عمله»، فهذه الأمور تنفث في الإنسان الخير والنور والكمال.

(س) قيل أن المقصود من الآية هي النساء الساحرات اللآتي يسحرنَ بالعَقد على المسحور ومن ثمّ ينفخن بالعُقَد، لماذا خصّت الآية النساء دون الرجال بالتعوّذ منهنّ؟

(ج) خَصّت الآية النساء بالذكر لأنّ السحْر فيهنّ أكثر ممّا في الرجال.

(س) من المتّفق عليه عند العلماء بأنّ السّحر حرامٌ وأنّه من عمل الشيطان، فهل له حقيقة وتأثيرٌ على الناس، وما هي عاقبة السّحر والساحر في الدُّنيا؟

(ج) الآية المباركة في سورة الفلق تُصدّقُ تأثيرَ السحر على الطرف المقابل، وتقول الآية من

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

سورة طه ﷺ بأنّ السحرة ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[١]، والسحر له تأثيرٌ لحدٍّ ما على عقول الناس وأفكارهم، ولهذا السبب أوجس موسى عليه السلام خوفاً في نفسه، وما كان خوفهُ على حدّ قول الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على نفسه وإنّما كان على مستقبل رسالته بانخداع الناس بالسحر. قال الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «لم يُوجِس موسى خِيفَةً على نفسه بل أشفق من غَلَبَة الجُهّال وَدُوَل الضّلال»[٢].

وأمّا نتيجة الساحر فإنّها الفشل والخسران، قال تعالى: ﴿وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[٣].

(س) هل يمكن إطلاق كلمة النفّاثات على الرجال كما أنّها تُطلق على النساء؟

(ج) يمكن إطلاق النفّاثات على الرجال الشرِّيرين كما أنّها تطلق على النساء الشِّريرات، فهؤلاء الشرّيرون ينفخون بكلّ ما يمتلكون من طاقات وإمكانيّات في الأُمور التي فيها نوعٌ من الغموض والتعقيد على أغلب الناس، ينفثون فيها ليزيدوها عقدةً وغموضاً، لأجل الوصول إلى أهدافهم الشيطانيّة الكافرة كالقول بأنّ الدين لا علاقة له بالسياسة والاقتصاد وإدارة البلاد، وكنفثهم في ثقافات الناس بتجميد عقولهم على الأفكار الغابرة ومنعهم من استخدام عقولهم في معرفة السليم من السقيم.

وفي الأمور العقائدية كالافتراء على المذهب الحق والصحيح المنتهج بنهج رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام[٤].

(س) لماذا عرَّفَ الله (سبحانه وتعالى) النفّاثات بينما ذكر الغاسق والحاسد بصورة نَكِرَة.

فقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ

---

(١) الأعراف: ١١٦.

(٢) نهج البلاغة.

(٣) طه: ٦٩.

(٤) تفسير الفرقان: الآية.

حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾؟

(ج) عَرّفَ النفّاثات لأنّ جميعها شرّيرة ، ونكّر الغاسقَ لأنّه ليس كلّه شرّ إذ مع مجيء الليل يحصل الإنسان على فوائد كثيرة أيضاً . ونَكّر الحاسدَ لأنّه رُبَّ حَسَد يكون محموداً وهو الحسد في الخيرات .

❁ قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

(س) كيف يحدثُ الحسد؟

(ج) الحسد إنفعالٌ نفساني يحدث في نفوس الجهّال في قبال بعض الأشخاص ، لامتلاكهم لبعض النعم الإلهية ، ويحدث الحسد إمّا عن طريق رؤية النعم على الآخرين أو السماع بها ، ولهذا قال نبيُّ الله يعقوب عليه السلام لبنيه : ﴿لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[١] .

(س) ماذا على الحاسد أن يَعرف؟

(ج) على الحاسد أن يعرف بأنّ الحَسَدَ نوعٌ من الاعتراض على الله (سبحانه وتعالى) لأنّ النعم التي تُعطى للإنسان إمّا هي :

١- جزاء للإنسان بسبب سَعْيه حيث قال ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾[٢] ، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٣] ، فإذا أراد الحاسد أن يحصل على ما حصل عليه المحسود لابدّ عليه من السعي لأجل ذلك .

٢- تارَةً تكون النِّعم التي بيد الإنسان قضاءً وقدراً إلهيّاً لأجل الامتحان والاختبار ، وليس مسألة تفضّل وإكرام ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي

---

(١) يوسف : ٦٧ .

(٢) النجم : ٣٩.

(٣) العنكبوت : ٦٩ .

أَكْرَمَنِ...﴾[١].

٣- وتارةً يكونُ الإعطاءُ الإلهي لأجل إدارة الحياة بشكل مُنظَّم، قال (عزّوجل): ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً...﴾[٢].

٤- وعلى الحاسد أن يعرف أخيراً بأنَّ حسناتَهُ تذهب فيما إذا استمرّ على هذه الحالة الشيطانية، قال رسول الله ﷺ: «إنّ الحسد ليأكُلُ الحسنات كما تأكل النار الحطب».

(س) كيف نواجه الحسد والحُسّاد؟

(ج) ١- الالتجاء إلى الله والاعتصام به، قال (تعالى): ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

٢- إخفاءُ النِّعم، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «استعينوا على أموركم بالكتمان فإنّ كُلّ ذي نعْمة محسود».

٣- إخمادُ نار الحسد بمياه الأخلاق الطيّبة والموعظة الحسنة والعشرة الصالحة والنافعة للحاسد[٣].

(س) ما هو نوع الحسد الذي تدعونا السورة المباركة في الالتجاء منه إلى الله (عزّوجل)؟

(ج) الحسدُ موجودٌ غالباً لدى أكثر الناس، ولكنّ المحظور منه والذي تدعونا السورة بالالتجاء إلى الباري (جلّ وعلا) منه هو الحسد العملي أو الحسد الذي يظهر على ساحة التطبيق والفعل ولعلّه هذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾.

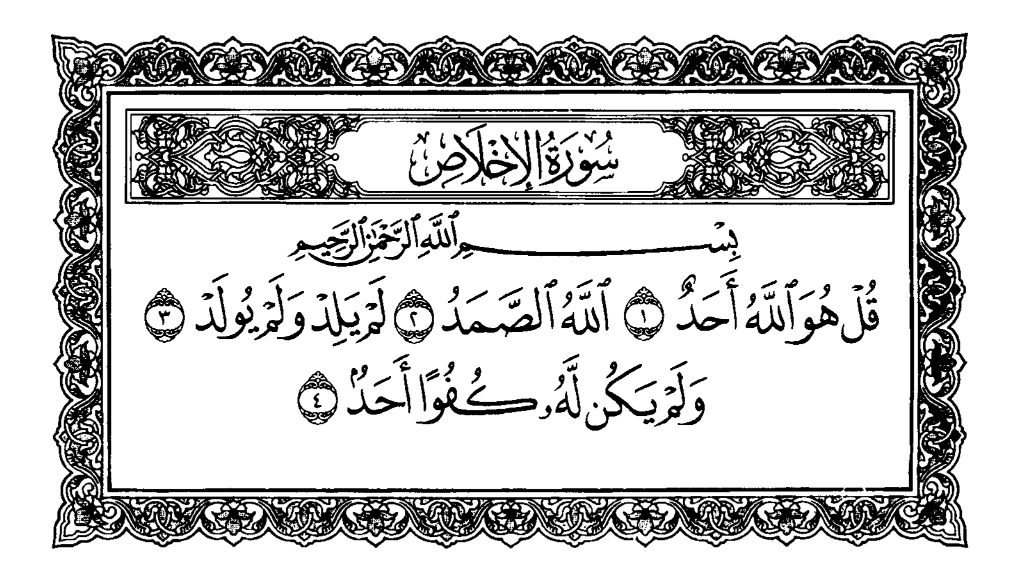
---

(١) الفجر: ١٥.

(٢) الزخرف: ٣٢.

(٣) تفسير الفرقان: الآية.

سورة الإخلاص



من فضائل السورة:

١ ـ عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ (قل هو الله أحد) حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة».

٢ ـ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ (قل هو الله أحد) مرة واحدة فكأنما قرأ ثلث القرآن وثلث التوراة وثلث الأنجيل وثلث الزبور».

٣ ـ عن أبن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «إنما مثلك مثل (قل هو الله أحد) فإن من قرأها مرة، فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فكمن قرء القرآن كُلَّهُ. وكذلك أنت من أحبك بقلبه

كان له ثلث ثواب العباد، ومن أحبك بقلبه ولسانه كان له ثلثا ثواب العباد ومن أحبك بقلبه ولسانه ويده كان له ثواب أجمع العباد»[(١)].

٤ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من مضى به يوم واحد فصلى فيه خمس صلوات ولم يقرأ فيها (قل هو الله أحد) قيل له يا عبد الله لست من المصلين».

٥ ـ وعنه عليه السلام قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع أن يقرأ في دبر الفريضة (قل هوالله أحد) فإنه من قرأها جمع الله له خير الدنيا والآخرة وغفر له ولوالديه وماولدا».

٦ ـ عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أن النبي صلى الله عليه وآله صلى على سعد بن معاذ، فقال: «لقد وافى من الملائكة سبعون ألفاً وفيهم جبرئيل يصلون عليه، فقلت له يا جبرئيل بما يستحق صلاتكم عليه؟ فقال بقراءته (قل هو الله أحد) قائماً وقاعداً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً».

٧ ـ وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من قرأ (قل هو الله أحد) حين يخرج من منزله عشر مرات لم يزل في حفظ الله عز وجل وملائكته حتى يرجع الى منزله».

٨ ـ عن الفضيل بن يسار قال: أمرني أبو جعفر عليه السلام أن أقرأ (قل هو الله أحد) وأقول إذا فَرِغتُ منها كذلك الله ربي ثلاثاً[(٢)].

سبب النزول:

عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: انسب لنا ربك؟ فلبث ثلاثاً لا يجيبهم ثم نزلت (قل هو الله أحد) إلى آخرها»[(٣)].

المفردات:

هو: ضمير للتعريف بشأن الإلوهية، وهو من أسماء الغيب لله (عزّوجلّ).

الله: عن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: الله معناه المعبود الذي يأله (يتحيّر) فيه

(١) تفسير البرهان، م ٤، ص ٥٢٢، ح ١٢ / ١٣ / ١٩.
(٢) المصدر نفسه: ح ٢ / ٣ / ٤ / ٥ / ١٠ / ٢٥ / ٢٦ / ٢٧.
(٣) المصدر نفسه: ص ٥٢٣، ح ٢.

الخلق وَيُؤْله (يُفْزَعُ) إليه .

أحد : تفسير لـ (الله) وأنّه يطلق على مـا لا يقبـل الكـثرة خارجاً ولا في الذهـن بخـلاف واحد .

الصمد : القصد .

كُفواً : مأخوذةٌ من الكَفاءة والمُماثلة .

موضوع السورة:

السورة تَصف الله (سبحانه وتعالى) بأحديّته في كلّ الأُمـور ، سـواء في ذاتـه أو صفاتـه ، ورجوع مـا سـواه إليـه في جميـع الأمـور الوجوديَّة ، وأنّـه لا يُشـاركه شـيءٌ في ذاتـه وصفاتـه وأفعاله .



الأسئلة والأجوبة

﴿ قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾.

(س) لماذا بدأت السورة بفعل الأمر : قل؟

(ج) المراد من السورة ليس الإخبار بأنّ (الله أحد) بل لأجل الأمر بالإقرار بذلـك ، لكـي يتبـع الإنسان الهدى ، ويشهد بالتوحيد[1] .

(س) لماذا سُمّيت السورة بسورة الإخلاص؟

(ج) لأنّه لم يُذكر فيها سوى الصفات الخالصة للّه (عزّوجلّ) ، ومن اعتقدها كان مُخلصـاً في دينه ، ولأنّها تُخلِّصُ مَن آمَنَ بها من النار[2] .

(س) لماذا تُعادل سورة الإخلاص ثُلث القرآن كما ورد ذلك عن النبيّ ﷺ بأنّ من قرأها قبـل

---

(١) منة المنان : الآية .

(٢) التفسير الكبير : الآية .

المنام ثلاثاً كأنّما قرأ القُرآن كلّه؟

(ج) لأنّ معارف القرآن تنقسم إلى ثلاثة أقسام: التوحيد، النبوّة، والمعاد. فبما أنّ سورة الإخلاص تتحدّث عن التوحيد، فإذاً هي تُعادل ثُلث القرآن. فمن قرأها ثلاثاً قبل النوم كأنّما قرأ كُلَّ القرآن.

(س) هل كان النبيّ ﷺ جاهلاً بصفات الله (عزّوجلّ) الخالصة لكي يُعرِّفها الله (عزّوجلّ) بقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾؟

(ج) النبيّ ﷺ ما كان جاهلاً بربّه أبداً، بل كان في قمّة التوحيد والمعرفة بالله (عزّوجلّ) من بين جميع المخلوقات، ولكن السورة نزلت عندما جاء جماعةٌ من اليهود إلى النبيّ ﷺ وقالوا له: انسب لنا ربّك، فَلَبثَ ثلاثاً لا يُجيبَهم ثمّ نزلت ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ...﴾ وأنّه لم يُجبهم عمّا طلبوا بالرغم من معرفته بربّه، لأنّه لا ينطق بشيء حتّى يرى أمر الله (عزّوجلّ) ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[1] [2].

(س) نزلت السورة بسبب طلب اليهود معرفَة نسبة الله (تعالى)، فهل من وجود السورة فائدة للمكلّفين؟

(ج) السورة تُبيّن وحدانيّة الله (عزّوجلّ) وعدم وجود شريك له في ذاته ولا في صفاته وأنّها تقول: بأنّ الجميع يحتاجون إليه، دون أن يحتاج إلى أحد من مخلوقاته، وليس له مثيلٌ وكفؤٌ وأنّه هو الغنيّ المطلق، هذه الصفات الكبرى لله (عزّوجلّ) تبعثُ في نفس المؤمن الاطمئنان الكبير والسلوك المستقيم في حياته الدُّنيا، ولو كان الإله أكثر من واحد لحدث الاضطراب في قلبه حيث لا يستطيع استقبال حُبّين ونُورين، قال (عزّ وجل): ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...﴾[3]، وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إنّ الله (عزّوجلّ) عَلِمَ أنَّهُ يكون في آخرِ الزمان أقوامٌ مُتَعَمِّقون، فأنزل هذه السورة».

---

(١) النجم: ٣ و ٤.

(٢) تفسير الفرقان: سورة الإخلاص، الآية.

(٣) الأحزاب: ٤.

(س) هناك روايات تدعونا إلى كثرة قراءة سورة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ...﴾ فما الجزاء الذي يراه المؤمن من كثرة قراءته لهذه السورة المباركة؟

(ج) ١- الحصول على الشُهرة عند الملائكة: روي «أنّه كان جبرئيل عليه السلام مع الرسول صلى الله عليه وآله إذ أقبل أبو ذرّ الغفاري فقال جبرئيل: هذا أبو ذرّ قد أقبل، فقال صلى الله عليه وآله: أوَتعرفونه؟ قال: هو أشهر عندنا منه عندكم، فقال صلى الله عليه وآله: بماذا نالَ هذه الفضيلة؟ قال: لصغره في نفسه وكثرة قراءته قُلْ هو الله أحد».

٢- دخولُ الجنّة: «إنَّ رَجُلاً كان يقرأ في جميع صلاته ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فسأله الرسول عن ذلك، فقال: يارسول الله إنّي أُحبّها، فقال: حُبُّك إيّاها يُدخلُك الجنّة».

٣- حضور الملائكة: سمّيت السورة بسورة المحضر، لأنّ الملائكة تحضر لاستماعها إذا قُرئت.

٤- فرار الشيطان: وسُمّيت السورة بالمُنفرة لأنّ الشيطان ينفرُ عن الشخص فيما إذا قرئها.

٥- البراءة من المشركين: أنّ الرسول صلى الله عليه وآله رأى رجُلاً يقرأ هذه السورة، فقال صلى الله عليه وآله: «أمّا هذا فقد بَرئَ من الشرك».

٦- النجاة من الشرك والكفر والنفاق: وأنّها تمنع عذاب القبر ولفحات النيران كما رُوي عن ابن عبّاس (رضوان الله عليه).

٧- الرزق: جاء رجلٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وشكا إليه الفقر، فقال له النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «إذا دخلت بيتك سَلّم إن كان فيه أحد أو لم يكن، ثُمَّ صَلِّ عَلَيَّ واقرأ سورةَ التوحيد»، ففعل الرجل ذلك، فأنزل الله له الرزق حتّى فاض على جيرانه[1].

(س) لماذا جاءت السورة بهذا الترتيب في تبيين نسبَة الله (عزّ وجلّ): ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فما المراد من هو، الله، أحد وهل في الآية نوع من التسلسل؟

(ج) الآية الشريفة في مَعْرَض التعريف لخالق السماوات والأرض، فـ(هو) ضمير للتعريف

(١) التفسير الكبير: سورة الإخلاص.

بشأن الإلوهية، تُشير إلى أنّه تعالى محجوبٌ، رغم ظهوره كالشمس في وسط النهار، ظهوراً بالآيات دون الذات، فـ(هو) من أسماء الغيب للّه وهو اسمُ الله الأعظم الغير ظاهر، والله هو تعريفٌ ثان له (جلّ وعلا) وهو الاسم الأعظم الظاهر وأنّها تفسير لـ (هو) كما أحد تفسير لـ (الله)، والصَمَد تفسير لـ (أحد)، كما أنّ باقي السورة تفسيرٌ لـ (الصمد) ﴿اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[1]، ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[2].

(س) لماذا قالت السورة المباركة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ دون واحد؟

(ج) الواحدُ يدخُلُ في باب الأعداد، بينما الأحد لا يدخل في ذلك، ويُطلق على ما لا يَقبلُ الكثرة خارجاً ولا ذهناً، والله (سبحانه وتعالى) واحدٌ أيضاً ولكنّه واحدٌ أحدي لا واحدٌ عددي، وأنّ لفظ (أحد) لا تستعمل في الإيجاب إلاّ لله (عزّوجلّ)، بينما تستعمل بصورة منفيّة في غيره، (أحد) في السورة تُبيِّن حقيقة الله (عزّوجلّ) إنّه أحدٌ في صفاته وذاته وخالقيّته وفاعليّته..[3]

۞ قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ﴾.

(س) لماذا جاءت كلمة «أحد» بصورة نَكرة بينما (الصمد) جاءت بصورة مَعرفة؟

(ج) قال (عزّوجلّ): (أَحَد) دون الأحد من غير الحاجة إلى أل العهد أو الحصر وذلك لإفادة معنى الوحدة الخاصّة بالله (في الذات والصفات) إذ لا تطلق في الإثبات على غير الله (عزّوجلّ) فلهذا لا تحتاج إلى أل التعريف، بينما جاءت كلمة الصّمد معرفة وذلك لإفادة الحصر بأنّه تعالى هو المقصود الوحيد في كلّ الأشياء ولو مال البعض إلى الآخرين الفقراء[4].

(١) طه: ٨.
(٢) الأعراف: ١٨٠.
(٣) التفسير الكبير: الآية.
(٤) المصدر نفسه.

(س) لماذا تكرّرت لفظة الجلالة في قوله: ﴿اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ﴾ ولم يكتفِ بلفظ واحد للجلالة؟

(ج) ١- تكرّرت لفظة الجلالة مع أحد والصمد وذلك لتبيّن مسألتين: الأُولى أحديته التي هي عينُ ذاته، والثانية رجوع الجميع إليه لقضاء حوائجهم وهو المقصود من الصمد.

٢- وللإشارة أيضاً إلى أنّ كُلا من الجملتين كافيةٌ لتعريفه فلا يحتاج اقترانهما معاً.

٣- ولو لم تتكرّر لفظة الجلالة (الله) لوجب في اللفظتين (أحد، الصمد) أن يَردا إمّا نكرتين أو معرفتين وهذا لا يصحّ ولا يمكن[1].

(س) ما هو الدليل على أنّ الله (عزّوجلّ) هو الصمد، دون غيره؟

(ج) ربّنا (عزّوجلّ) هو المقصود الوحيد للمخلوقات دونَ غيره، لأنّه لم يلد ولم يُولد، ولا يوجد أحدٌ ممّن يمتلك كفاءَةً مثل كفائته ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾، وليس هناك ممّن يمتلك كما يمتلك هو (جلّ وعلا) ﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾[2] وأنّه يعلم بما في السماوات والأرض وغيره لا يمتلك علماً كعلمه، فلهذا تقصدهُ المخلوقات لقضاء حوائجها، وغيره (عزّوجلّ) لا يستحقّ القصدَ.

(س) هل أنّ (قل) في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ تكفي المكلّفين للوصول الىوحدانية الله (عزّ وجلّ)؟

(ج) لا شكّ أنّ القول الذي لا يلازمه العمل الصالح لا يوصل الإنسان إلى أي حالة من حالات التوحيد لله (سبحانه وتعالى) قال الإمام علي عليه السلام: «الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان»، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[3].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) طه: ٦.

(٣) الصف: ٢ و ٣.

❁ قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

(س) ما هو الدليل على أنّه (سبحانه وتعالى) لم يَلد؟

(ج) الولادةُ إنّما تتمّ عن طريق اتّخاذ صاحبَةً من جنسه، وأنّه (عزّوجلّ) لم يُجانس أي لم يتّخذ صاحبة، قال تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ...﴾[1]، ولو أنّه اتّخذ صاحبة لكان فقيراً ومُحتاجاً ولما كان إلهاً تصمد إليه الخلائق، إذاً فإنّه لم يلد، وهكذا إذا كان له أبٌ وأنّه انولَد فهو فقيرٌ أيضاً، تعالى الله عن ذلك، فمن لم يكن له أبٌ ولا أُمّ لم يكن له ولدٌ أيضاً، والولد يُتّخذ لأجل الحاجة واللهو، ولا يمكن للخالق أن يحتاج إلى مخلوقه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاَتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[2][3].

(س) لماذا تقدَّم قوله (لم يلد) على قوله (لم يُولد) مع أنّه يجب تقديم لم يُولد على لم يلد؟

(ج) قال الفخر الرازي في تفسيره: وقعت (لم يلد) في البداية لأنّ أغلب المشركين ادّعوا بأنّ له ولد، فمشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾[4]، ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾[5] في حين لم يدّعي أحدٌ بأنّ له والد ولهذا بدأ بالأهمّ ثمّ ذكر عدم امتلاكه للوالدَ وهو دليلٌ أيضاً على عدم امتلاكه للوَلد[6].

(س) لماذا اقتصرت الآية على ذكر الماضي فقال (لم يلد) ولم يَقُل لن يلد ليدُلّ على المستقبل أيضاً؟

(ج) إنّما وُرد في الماضي جواباً على قولهم (ولد الله) بالماضي إذ قالوا: ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ

---

(١) الأنعام: ١٠١.

(٢) الأنبياء: ١٧.

(٣) التفسير الكبير: الآية.

(٤) التوبة: ٣٠.

(٥) التوبة: ٣٠.

(٦) التفسير الكبير: سورة الإخلاص.

لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[1] ، ولما جاءت الآية لتنفي هذا الادّعاء والاتّهام لهذا جاءت بصورة الماضي .

(س) ما الفرق بين قوله «لم يلد» وقوله «ولم يتّخذ وَلَداً» وقوله «وقالوا اتّخذ الرحمنُ وَلَداً سبحانهُ وهو الغنيّ . . »؟

(ج) المقصود من كلامهم اتّخاذ الله (سبحانه وتعالى) وَلَداً هو لأجل تشريف وتعظيم الولد ولأجل حاجته إليه ، دون أن يُولدَهُ من نفسه ، إذ أنّ بعض النصارى يقولون بأنّ عيسى (على نبيّنا وآله وعليه السلام) أَوْلَدَهُ الله من ذاته ، والقسم الآخر من النصارى يقولون بأنّ الله (سبحانه وتعالى) اتّخذ عيسى عليه السلام وَلَداً له تشريفاً وتعظيماً كقوله : ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[2] .

فقوله (لم يلد) نفي الولد حقيقةً ، وقوله (لم يتّخذ الله ولداً) نفي للادّعاء الثاني وهو تشريفه للمخلوق أو احتياجه إليه .

۞ قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

(س) لماذا تقدّم (كفواً) على (أحد) إذا قال (عزّوجلّ) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ ولم يقل العكس؟

(ج) ١ – لو تقدّمت كلمة (أحد) على كفواً ، لاختلّ نسق الآيات ووزنها .

٢ – قالوا في اللغة : إنّ التقديم يفيد التركيز والالتفات ، و الأمر هنا كذلك ، فلا يمكن أن نحتمل بأنّ له كفؤاً إذ كل شيء فقير ومحتاجٌ إليه[3] .

(س) أيّ كفاءة تنفي الآية وجودها في غير الله (جلّ وعلا)؟

(ج) الآية تنفي وجود الكفاءة الفعلية والتدبيريّة في غيره (تعالى) ، إذ لم يَقُل أحدٌ من المشركين وغيرهم بتعدّد الكفاءة الذاتية أو بوجود إلهٍ يمتلك مثل كفاءات الله (عزّوجلّ)

---

(١) الصافات : ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٢) النساء : ١٢٥ .

(٣) منة المنان في الدفاع عن القرآن : الآية .

الذاتية والفعلية. الجميع يقول: بأنّ الكفاية المطلقة والكاملة لله (سبحانه وتعالى) ﴿ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ...﴾ [(١)]، ولكنّهم يقولون: بأنّ الله (عزّوجلّ) جعل تلبية حاجات معبوديه إلى الآلهة من دونه فلهذا يجب أن نعبدها ونتقرّب بها إلى الله (عزّوجلّ)، بينما يقول القرآن الكريم: ﴿وقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[(٢)]، وقال (عزّوجلّ): ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ...﴾ [(٣)].

(س) ماذا يجب على الإنسان عند قراءته لهذه السورة المباركة؟

(ج) ورد عن الإمام الرضا عليه السلام عندما كان يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ كان يقول بصوت خافت (الله أحد) امتثالاً لقوله (قل) والتزاماً بمضمونه[(٤)].

وورد في الأخبار أنّه يُستحب أن يقول القارئ بعد الانتهاء من السورة: كذلك الله ربي، لأجل الانتفاع بما قرأ، وأنّ المخاطَب بـ(قل) هم جميع البشر والخلق على مختلف درجاتهم ومستوياتهم.

---

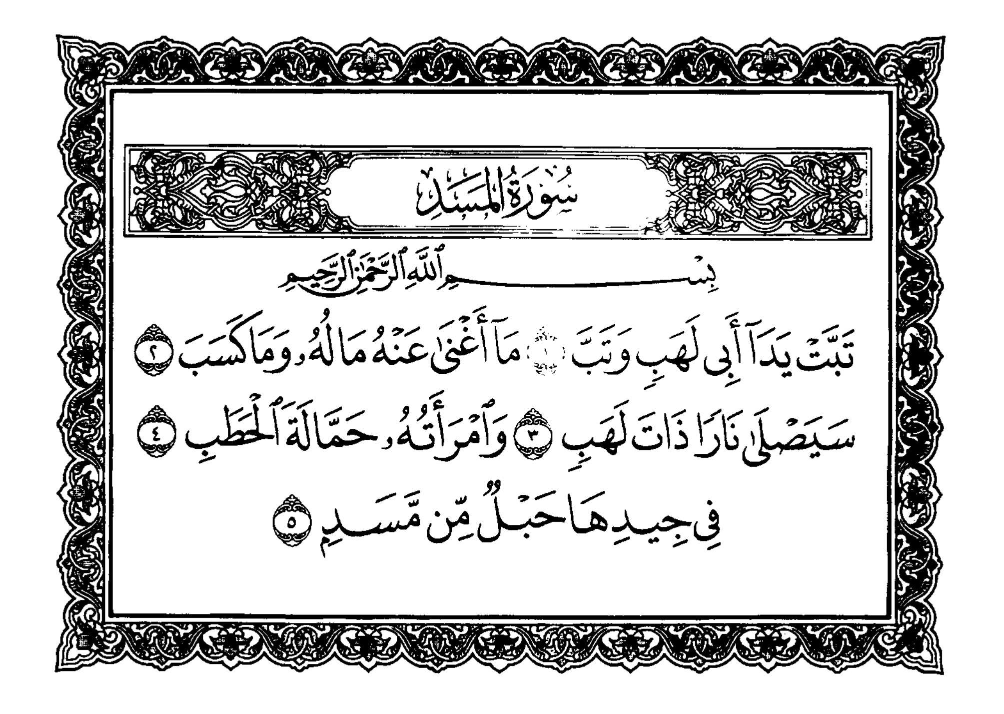
(١) لقمان: ٢٥.

(٢) الإسراء: ٢٣.

(٣) يوسف: ٤٠.

(٤) انظر وسائل الشيعة ج٤ ص٧٥٦.

سورة المسد



فضلها:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا قرأتم (تَبت يدا أبي لهب) فادعوا على أبي لـهب، فإنه كان من المكذبين، الذين يكذبون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به من عند الله عزّ وجل».

مفردات السورة:

تبت: هلكت، فشلت، خسرت.

يدا أبي لهب: كناية عن أعماله التي كان يقوم بها.

سيصلى : سيُلازم، سيُوقد.

جيدها : عنقها.

مسد : ليف.

موضوع السورة:

السورةُ المباركة توعدُ أبا لهب وَتُظهر فشـل مساعيه التي بذلها لأجل حبط الرسالة، وتخبر بهلاك نفسه في الدُّنيا والآخرة بسبب ما اقترفت يداه، وأنّه سيصلى نار جهنّم، وهكذا الأمر بالنسبة لامرأته التي كانت تحمل الحطب والأشواك لتضعه في طريق الرسولﷺ، وأنّها تفنّد القومية والقرابة الخاليتين من الإيمان والهدى وتبيّن عدم قيمتها، وتشير أيضاً إلى خسران وفشل عمل كلّ من يشعل ناراً مقابل نور الرسالة الإلهية وأنهم لن ينجحوا في عملهم أبداً.



الأسئلة والأجوبة

❁ قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.

(س) لماذا كنّاه القرآن الكريم بـ (أبي لهب) منع أنّه كالكذب إذ لم يكن له ولد اسمه لهب، وأنَّ الكُنية تفيد التعظيم؟

(ج) تكون لبعض الناس أسامي بصورة كُنية وذلك لكثرة مزاولة العمل الذي كُنّوا به، فبعضهم يعمل الخيرات بشكل كثير حتّى يسمّى أبو الخير، والبعض الآخر بالعكس يُسمّى أبو الشرّ لكثرة شرّه، فإذاً يُراد من الكُنية هنا هو الاسم، فبهذا يخرج من مفاد التعظيم، وأنّ عبد العزّى لمّا كان من أهل النار بسبب مخالفته وَصَدِّه للحقّ، ومصيره إلى النار ذات لهب، وأنّ ذاته وجهوده كانت كالنار أمام نور الرسالة، لهذا استحقّ هذه الكُنية، والقرآن الكريم لم يذكر اسمه الحقيقي، لكراهته له، وأنّ عزّى اسم لصنم، بل ذكر كُنيته التي اكتسبها بأعماله ومواقفه الملتهبة ضدّ الإسلام، وذلك تهكّماً

به، وللإشارة أيضاً إلى أنّ الذات النارية لا تحرقُ إلاّ صاحبها في الدُّنيا والآخرة[١].

(س) لماذا نَزَلت سورةٌ خاصّة في أبي لهب تُندّدُ به وتُبيِّنُ مصيرهُ في الدُّنيا والآخرة، دون أن تنزل في غيره من الناس الذين كانوا يؤذُون النبيّ ﷺ بنفس الدرجة أو أكثر؟

(ج) هناك عدّة أسباب أدّت إلى اختصاصه في نزول هذه السورة عليه دون غيره من المعادين للرسول وللرسالة الإسلامية منها قرابَتُهُ للرسول ﷺ ولكبر سنّه وأهمّيته في مجتمع قريش، فكان من زُعمائها، وأنّه خالف الرسول منذُ اليوم الأوّل، فكُلّما كان يأتي وَفدٌ لمقابلة النبيّ ﷺ يسألون عنه عَمَّهُ أبا لهب وذلك لكبره وقرابته وأهمّيته، فكان يقول إنّه ساحرٌ، فيرجعون دون أن يلقوه، وكان بيتُ أبي لهب بالقرب من بيت النبيّ ﷺ، فَلخُطورَته الشديدة على النبيّ ﷺ نزلت سورةٌ في حقّه تُندّد به وتبيّن للجميع أنّ أعماله في خُسر وأنّه خاسرٌ في الدُّنيا والآخرة[٢].

۞ **قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.**

(س) لماذا تقدَّمَ قوله (تعالى): ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ على قوله: ﴿وَتَبَّ﴾؟

(ج) وذلك للإشارة إلى أنّ هلاك ذاته جاء بسبب أعماله السيّئة، ثم يُريد الله تعالى أن يُبيِّن حقيقةً للناس بأنّ مَن يسلك طريقاً منحرفاً سوفَ يفشل وتخسر جهوده ولا يحصل على نتيجة مرضية، وفي نهاية المطاف يخسر نفسهُ ويُهلكها نتيجة اختياره السيء. وتبيّن الآية أيضاً بأنّ كلّ إنسان يُولَدُ على الفطرة الصالحة ولكنّ البعض ينتهجون الطرق السيّئة، فلهذا يُلوّثون أنفسهم ويردونها أسفل سافلين قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٣] [٤].

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) تفسير الفرقان: الآية.

(٣) الحج: ١٠.

(٤) التفسير الكبير: الآية.

(س) ما علاقة السورة بالقرآن كَكُلّ؟

(ج) تبيّنُ السورة جزاءَ ونتيجة مَن سعى في محاربة الحقّ وأهله وجزاء العاصي والُمخالف لأوامر الله (عزّوجلّ) وتضرب للجميع مثالاً بأبي لهب الذي لم يصل إلى نتيجة صالحة في عمله ومحاربته للرسول ﷺ وأنّه خَسرَ الدُّنيا والآخرة بسبب انحرافه وابتعاده عن الحقّ، فالسورة بشكل عامّ تُبيِّنُ نتيجةَ العاصي في الدُّنيا والآخرة بعد أن بيّن القرآن الكريم سببَ خلقة البشر حيث قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

(س) هل يليقُ بالنبيّ ﷺ أن يُواجه عمّهُ بمثل هذا الكلام الذي فيه غلظة وشدّة، وهو نبيّ الرحمة والخُلق العظيم، بينما عندما أمر الله (عزّوجلّ) نبيّه موسى وهارون عليهما السلام بالذهاب إلى فرعون الطاغية، أوصاهما بأن يتكلّما معه باللّين، قال (عزّوجلّ): ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً..﴾[2]، وكان إبراهيم عليه السلام يُخاطب أباه باللين والشفقة بالرغم من كُفره ﴿إِذْ قَالَ لاَِبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ...﴾[3]، وأنّ نُوحاً عليه السلام تأثر على وَلده الكافر وقال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ..﴾[4]، فهل يَصُحّ للنبيّ ﷺ الذي هو على خلق عظيم أن يواجه عَمّه بهذه الصورة ولو لم يكن بشكلٍ مُباشر؟

(ج) إنّ أبا لهب كان يبذل جميعَ جهوده وطاقاته لأجل صرف الناس عن الرسالة والإيمان بدين الإسلام فكانَ خطرهُ شديداً على الرسالة، ولأنَّ الناسَ ما كانوا يَعْرِفُونَ حقدَهُ وعداوَته للنبيّ ﷺ وللرسالة، فكان كالمانع في أداء الرسالة، ولكن عندما واجهه الرسول ﷺ بهذه السورة، أظهر عداوته الشديدة والمخفية للناس، فعرفوا ذلك وافتُضِحَ أمرُهُ وحقدهُ، بينما لم يكن الأمر كذلك مع موسى عليه السلام أمره الله تعالى بأن

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) طه: ٤٤.

(٣) مريم: ٤١.

(٤) هود: ٤٥.

يتكلّم مع فرعونَ باللين وذلك لأهمّية منصبه الرسمي بالإضافة إلى ذلك ما كان متّصفاً بصفات أبي لهب.

وكذلك لكي يعطي الرسولﷺ درساً للبشرية بعدم جواز المداهنة والمسامحة بالدين حتّى مع أقرب الأشخاص، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1][2].

❁ قال تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾.

(س) الآية المباركة تقول: أنّ أبا لهب لم ينتفع بماله ولا بالذي حصل من رأس المال الأصلي، السؤال الذي يظهر هو بأيّ شيء لم ينتفع بهما؟

(ج) قال البعض في عَداوَة الرسولﷺ إذ لم يقدر أن ينالَ منه ومن رسالته، وهكذا لم يدفع عنه ماله وما كسبَ تَباب نفسه وهلاكها في الدُّنيا والآخرة ولذلك قال: ﴿سَيَصْلَى﴾.

❁ قال تعالى: ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾

(س) لماذا وُصفت النار بذات لهب، قال (عزّوجلّ): ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ مع أنّ كل نار هي ذات لهب؟

(ج) ١- لأجل حفظ النسق القرآني.

٢- وصفته بذلك لأجل زيادة الإهانة والتنقيص بأبي لهب.

٣- جميع النيران ذات لهب ولكن شتان الفرق بين نار الدنيا ونار الآخرة، نار الدنيا ليست سوى تذكرة ومتاع، قال تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾[3]، بينما نار الآخرة يحدث فيها انفجارات فتتطاير إثر ذلك شرارات، وكل شرارة كالقصر، قال

---

(١) التوبة: ٢٣.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

(٣) الواقعة: ٧٣.

تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾[١][٢].

(س) لماذا قال (جلّ وعلا): ﴿سَيَصْلَى نَاراً﴾ دونَ أن يقول: سوف يصلى ناراً ذات لهب، أو سوف يدخُلُ ناراً؟

(ج) وذلك للإشارة إلى أنّ العذاب الذي سيواجهُهُ قريبٌ ولا محالة ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾[٣]، بموته يواجه تلك النار، عندما يكون قبره حفرةٌ من حُفر جهنّم. بينما (سوف) تدلّ على البعد.

(س) هل تحدّثت الآيات عن أُمور مستقبلية حين نزولها؟

(ج) الآيات الثلاث تحدّثت عن الغَيب أو المستقبل من ثلاثة أوجه:

١- من جانب أنّها أخبرت بأنّ أعمال وجهود أبي لهب سَيُكتب عليها الفشل والخسران، وأنّه لا يصل إلى هدفه في الإساءة إلى الرسالة وهذا ما حصل بالفعل إذ باءت جميعُ جهوده بالخسران والبُطلان.

٢- أخبرت السورة بعدم انتفاعه بماله في سبيل القضاء على الإسلام وهذا ما حصل أيضاً.

٣- وأخبرت بأنّه سوف يكونُ من أهل النار وهذا ما تحقّق، حيث مات على الكفر.

(س) هل كان أبو لهب يستطيع الإيمان والهداية إلى الصالحات بعد أن أخبرَ الله بأنّه من أهل النّار، وأنّه لو آمن لكان فيه تكذيبٌ لخبَرَ الله (سبحانه وتعالى) بدخوله النار؟

(ج) بيَّن الله تعالى نتيجة أبي لهب الحتمية وذلك بعد وجود حالة الاختيار الكاملة لديه، فهو مع امتلاكه للإرادة والاختيار الكامل في الرجوع عن الكفر، يبقى ويصرّ على حالته الأولى، وهناك آيات من هذا النوع كقوله تعالى عن كفّار قريش ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) المرسلات: ٣٢-٣٣.

(٢) منة المنان: للسيد الشهيد محمد الصدر (رضوان الله عليه).

(٣) الأحزاب: ٦٣.

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[١] [٢].

۞ قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾.

(س) من الواضح أنّ امرأة أبي لهب ما كانت فقيرة الحال لكي تشتغل بحمل الحطب وجمعه لتبيعه، لأنّ زوجها كان من زعماء قريش وطغاتها، فلماذا وصفتها الآية بحمالة الحطب، إذ قال: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾؟

(ج) ١- كلمة (حمّالة) صيغة مبالغة، تشير إلى أنّها كانت تكثر من حمل الحطب لإيذاء الرسول المصطفى ﷺ ولم يكن قصدها بيعه، ولو كان قصدها هذا لما ذمّتها الآية المباركة بهذه الصورة. يذكر التاريخ أنّها كانت تتعمّد في حمل الحطب الذي فيه (سُلاة) وتضعه في طريق النبي ﷺ لكي يكون أشد إيذاءً له، وبهذه الصورة كانت تؤذي نفسها وتظلمها وتؤذي الرسول أيضاً.

٢- إنّ في هذا الوصف زيادةَ الازدراء بأبي لهب، بأنّه يصلى ناراً ذات لهب وهو متزوج من امرأة سافلة وحطابة، وكان راضياً من عملها.

٣- قيل: كان لأبي لهب عدّة زوجات، فلأجل التمييز بين هذه الزوجة وبين الأُخريات وصفها بحمّالة الحطب وهي أُمّ جميل أُخت أبي سفيان، وما كان شُغلُها حمل الحطب، بل كانت تستهدف من حمل الحطب أذى الرسول ﷺ[٣].

۞ قال تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾.

(س) كانت زوجة أبي لهب تحمل الحُزم من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطّابون وتطرحُها في طريق النبي ﷺ في الليل لكي تؤذيه، هل سيكون مصيرها في جهنّم كالحالة التي كانت عليها في الدُّنيا؟

(ج) نعم، سوف تُعذَّب في نار جهنّم على الهيئة التي كانت عليها في محاربة الرسول ﷺ

---

(١) البقرة: ٦.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

(٣) منة المنان: سورة تبت، الآية.

وكما قال (عزّوجلّ) في كتابه: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١]، فيكون على ظهرها حزمَةٌ من حطب النار من شجر الزّقوم.

(س) فإن قيل: بأنّ الحَبلَ الذي كانت تحملُ به الحطبَ في الدُّنيا من الليف، كيف يمكن بقاءُهُ دائماً في النار؟

(ج) يبقى الحبلُ في النّار كما يبقى ما هو أرقُّ منهُ، وهو الجلد واللحم والعظم، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾[٢]، وكانت تحمل عدّة أنواع منه الحبال، حبلاً من الليف لأجل حمل الحطب، وحبلاً من الشيطان لأجل حمل النميمة والتُّهمة ضدّ الرسولﷺ وحبلاً ممّا تملك من الذهب والثروة وتحمله على الرُّسول لأجل تعييره، فلهذا فإنّ لَها عدّة أنواع من الحبال في جهنّم مقابل الأحبال التي كانت في الدُّنيا، ﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾[٣][٤].

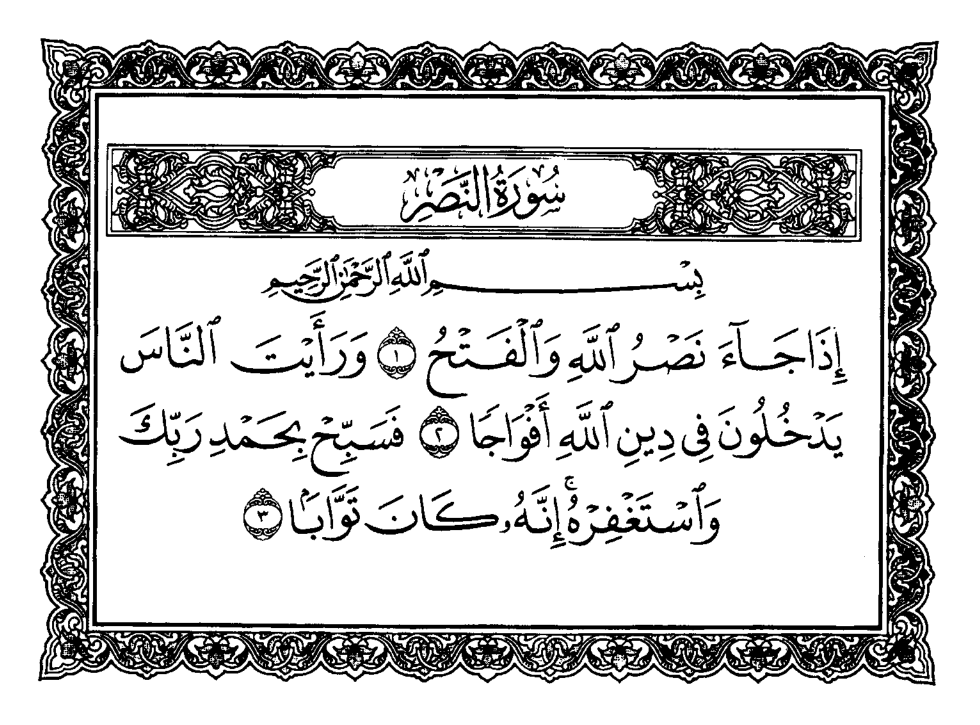
(١) الصافات: ٣٩.

(٢) النساء: ٥٦.

(٣) النبأ: ٢٦.

(٤) تفسير الفرقان: الآية.

سورة النصر



فضلها:

ابن بابويه باسناده، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ «إذا جاء نصر الله والفتح» في نافلة أو فريضة نصره الله على جميع أعدائه وجاء يوم القيامة ومعه كتابٌ ينطق قد أخرجه الله من جوف قبره، فيه أمان من حر جهنم ومن النار ومن زفير جهنم، فلا يمر على شيء يوم القيامة الا بشره وأخبره بكل خير حتى يدخله الجنة، ويفتح له في الدنيا من أسباب الخير ما لم يتمن ولم يخطر على قلبه.

المفردات:

النصر : الإعانة على تحصيل المطلوب .

الفتح : تحصيل المطلوب .

أفواجاً : جماعات .

التسبيح : التنزيه .

الاستغفار : طلب المغفرة وهي رفع الذنوب الماضية ودفع الذنوب القادمة .

التوبة : الرجوع .

موضوع السورة:

وعدٌ جميل من الله (سبحانه وتعالى) لنبيّه ﷺ بالنصر والفتح لمكّة ، وأنّه سيرى النـاس يَدخُلُونَ في الإسلام أفواجاً ، ولهذا أمَرَهُ بالتسبيح والتحميد والاستغفار .



الأسئلة والأجوبة

(س) ما علاقةُ السورة بالسورة التي قَبلَها وهي (سورة الكافرون)؟

(ج) في سورة النصر وَعدٌ جميلٌ للنبيّ ﷺ بالنصر والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجاً ، هذه الأُمـور جـاءت بعـد أن تـبرّأ ﷺ مـن ديـن الكفّـار ، وبعـد أن أخـبرهم بعـدم قبولـه لدينهم ، فكأنّـه (سـبحانه وتعـالى) يقـول لرسـوله ﷺ : هـل تعلـم لمـاذا شـرّفتك بـهذه التشريفات الثلاث وهي النصر والفتح لمكّة ودخول النّاس في دين الله(عزّوجـلّ) وذلـك لأنّك نصرتني بلسـانك وفتحـت قلبـك بـالتوحيد علمـاً وعَمَـلاً لـهذا فتحنـا لـك مكّـة ، وأدخلت جوارحك في عبادتي ، فأدخلت عبادي في طاعتك ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُـولَ فَقَـدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[١][٢] .

---

(١) النساء : ٨٠ .

(٢) التفسير الكبير : سورة النصر .

۞ قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾.

(س) لماذا تقدّم نصر الله على الفتح وهل هناك فرق بينهما؟

(ج) النصر هو الإعانة على تحصيل المطلوب، بينما الفتح هو تحصيل المطلوب والوصول إلى الهدف ولا شكّ أنّ الوصول إلى الهدف يحتاج إلى الإعانة على ذلك، ولهذا تقدّم قولُهُ نَصر الله على الفَتح.

(س) لماذا تأخّر فتح مكّة سنتين؟

(ج) وضع الله عز وجل سنةً في الأرض لأجل مصلحة الإنسان، وهي أنّه لا يُعطي لعباده شيئاً إلاّ بعد السعي، وبيّن سبب ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾[1]، ومنها فتح مكّة، إنّه (عزّوجل) أعانَهُم على ذلك، وطلب منهم السعي لأجل الحصول على النصر والفتح الكامل، ثم أنّ النُصرة الإلهية تنزّل على الناس متى ما استحقّوا ذلك، ولهذا كانت الفاصلة بين نزول السورة وفتح مكّة المكرّمة سنتين.

(س) النبيّ ﷺ مَنصورٌ دائماً من قبل الله (عزّوجلّ) وأنّه لن ينساه أبداً، فلماذا خَصَّصَ نُصرَتَهُ هنا بفتح مكّة؟ أولم ينصُرُهُ من قبل في معركة بدر وحنين والمعارك الأُخرى؟

(ج) إنّ نصر الله للمسلمين في فتح مكّة هو النصر الأكبر الذي كانت تنتظرهُ القلوب الطاهرة فلعَظَمَة هذا النصر والتأييد الإلهي جعل ما قبله كالمعدوم، كالذي يدخُلُ الجنّة، يتصوّر حَينها لَم يذق نعمة قبلها قط، وذلك لعظمة النعمة التي حَلَّ فيها[2].

(س) النصر الحقيقي لا يكون إلاّ من عند الله تعالى، قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[3] فما الفائدة من إقران اسمه الشريف بالنصر بقوله ﴿نَصْرُ اللهِ﴾ ولماذا لم يقل إذا جاءك النصر والفتح..؟

(١) الشورى: ٢٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) آل عمران: ١٢٦.

(ج) ١- المراد منه تعظيم حال تلك الصفة «النصر» أي: جاءكم النصر العظيم اللائق بالله (عزّوجلّ).

٢- قال: نصر الله لأنّه استجابةً لدعائهم ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾[١] فقال هذا الذي سألتموه.

(س) وصفُ النصر بالمجيء مجازي، وحقيقته إذا وقع نصر الله، فما الفائدة من ترك الحقيقة وذكر المَجاز؟

(ج) وذلك للإشعار بأنّ الأُمور الإلهية مربوطة بأوقات معيّنة، وأنّه قَدَّر لحدوث كلّ حادث أسباباً معيّنة يستحيل فيها التقديم والتأخير والتغيير، فإذا تهيأت الأسباب وحان وقت الاستحقاق، حضرَ ذلك الأثر، وإليه أشار (عزّوجلّ) ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[٢]. [٣]

(س) لماذا قال (سبحانه وتعالى): ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ...﴾ ولم يقل: إذا جاء نصر ربّك؟

(ج) ١- لأنّ الله تعالى يصير رباً بعد إيجاد الفعل، وقبله هو إله، فالله سبحانه قبل خلقه للمخلوقات ما كان يحمل صفة الربوبية لهم، ولكن بعد أن خلقهم وأعطاهم ما يحتاجونه أصبح رباً لهم بالإضافة إلى إلوهيّته.

٢- النَّصر الذي جاء عند فتح مكّة المكرّمة لَم يكن خاصّاً للنبيّ ﷺ بل هو لجميع المسلمين الذين استحقّوا ذلك، فهي نعمة لكلّ الناس دون اختصاص بالرسول ﷺ، ولهذا لم يَقُل (إذا جاء نَصر ربّكَ..)[٤].

(س) لماذا قال (جلّ وعلا): ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ﴾ ولم يقل: إذا أتى؟

(ج) الفعل (جاء) تُستخدم في الأُمور التي فيها نوعٌ من المشقّة والتكليف، بينما (أتى) خلاف

(١) البقرة: ٢١٤.

(٢) الحجر: ٢١.

(٣) التفسير الكبير: الآية.

(٤) التفسير الكبير: سورة النصر، الآية.

ذلك فكأنّما هنا تلميحٌ إلى أنّ النصر الإلهي لا يأتي بسهولة وبدون شروط، وإنّما يأتي بعد تحقّق مستلزمات ذلك، قال (عزّوجلّ): ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(١).

۞ **قال تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً﴾.**

(س) هل جميع النّاس دخلوا الإسلام بقوله: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ...﴾ ولفظ الناس يدلّ على العموم، بينما في المدينة ومكّة، اليهود والنصارى والمشركون ممّن لم يقبلوا الإسلام أبداً، وبعض المنافقين دخلوا الإسلام بالصورة الظاهرية دون أن يدخل في قلوبهم؟

(ج) لفظة الناس هُنا تُشير إلى الذين يمتلكون الإنسانية والعقل أو شيء من ذلك، والذي أعرض عن الإنسانية والعقل والحقّ بشكل كامل ليس بإنسان ﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾(٢).

سُئِلَ الإمام الحسن عليه السلام: مَن الناس؟ فقال: نحن الناس، وأشياعُنا أشباه الناس وأعداؤنا النسناس، فَقَبَّلَهُ الإمام عليّ عليه السلام بين عينيه، وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

(س) إن قيل: كيف يستحقّ أهل مكّة هذا المدح العظيم والنصر الكبير في حين أنّهم دَخَلوا الإسلام بعد مدّة طويلة وتقصير كثير، وأنّهم آذوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه والمؤمنين بشكل كثير؟

(ج) في الآيات إشارة إلى سعَة رَحمَة الله (عزّوجلّ)، حيث إنّ الله يقبل توبة العبد ولو كانت في آخر حياته ويشمله برحمته عليها. كما قال (عزّوجلّ) مخاطباً جميع خلقه ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

---

(١) محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: ٧.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

﴿جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١] .[٢]

(س) ما المراد من دين الله في قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً﴾[٣]، ومن الواضح أنّ المجتمع الذي عاصره النبي الأكرم ﷺ لم يدخل في دين الله تعالى بالصورة المطلوبة، لأنّ الكثير منهم جهلة وبعضهم تلبّس بالإسلام لأغراض دنيوية وشيطانية كما قال (عزّوجلّ): ﴿أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[٤]؟

(ج) ١- إنّ المراد من (دين الله): إظهار الشهادتين وهو ما حصل عند فتح مكة وبعدها دخل الناس أفواجاً في الإسلام.

٢- هناك الكثير ممّن أظهر الشهادتين والتزم مقداراً ما بأوامر الله ورسوله ﷺ.

٣- أنّ المراد من دين الله تعالى: هو الدين الخالص والواقعي، والذين دخلوا فيه هم الناس، وكأنّ غيرهم ليسوا بناس، ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٥].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ﴾ ولم يقل: في دين الربّ؟

(ج) إنّ لفظة الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم الدالّ على الذات والصفات الحسنى الخاصّة بالله فكأنّه يقول: لو لم يكن في هذا الدين سوى أنّه دينُ الله (عزّوجلّ) الذي يمتلك الصفات العُليا ولا يمتلكُها غيره، فعلى الإنسان أن يقبله، بينما كلمة الربّ تدلّ على التربية والإحسان، وعندها تكون الطاعة معلّلة، ولا يكون الإخلاص حاصلاً بشكل كامل[٦].

---

(١) الزمر: ٥٣.
(٢) التفسير الكبير: الآية.
(٣) النصر: ٢.
(٤) آل عمران: ١٤٤.
(٥) الفرقان: ٤٤.
(٦) المصدر السابق.

(س) هل يمكن القول بأنّ المراد من ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً..﴾ هم الناس والأجيال المتعاقبة من أوّل الإسلام إلى يوم القيامة؟

(ج) يمكن قبول هذا القول بشكل كامل، إذ أنّ النبي ﷺ يرى الأمور في كل زمان ومكان باعتبار حقيقته الواقعية وروحه العليا. وسيتجلى الدين بصورته الكاملة ويظهر على جميع الأديان، في زمن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام حيث سيملؤها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً[1].

۞ قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾.

(س) إنّ التسبيح والحمد والاستغفار في قوله (تبارك وتعالى): ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ..﴾ مطلوب على كل حال، فما علاقته بالنصر بصورة خاصة كما ذكرت السورة المباركة؟

(ج) إنّ الآيات الكونية والحوادث المهمة في حياة الإنسان، ينبغي زيادة الذكر فيها؛ لأنّها تدل على عظيم قدرة الله (تبارك وتعالى)، والحوادث إن كانت خيراً وشراً فكلاهما امتحان وابتلاء، قال (عزّوجلّ): ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[2].

فعند نزول النصر الإلهي والنعمة الكبيرة لابدّ من الإكثار من ذكر الله (عزّوجلّ) كما نذكره عن التغيّرات الكونية والشدائد كصلاة الآيات والاستسقاء وصلاة الميت[3].

(س) لماذا أمر (سبحانه وتعالى) بالتسبيح والاستغفار ولم يقل فاشكر وهو المطلوب؟

(ج) إنّ التسبيح مصداق للشكر لا سيما إذا كان يصاحبه التفكير في خلق الله (عزّوجلّ)، قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[4].

---

(١) منة المنان: سورة النصر، الآية.

(٢) الأنبياء: ٣٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) آل عمران: ١٩١.

(س) لماذا جاء الأمرُ بالتسبيح ثُمّ الحَمد ثم الاستغفار بعدَ ذكر نعْمَة النّصر والفتح لمكّة ودخول الناس في دين الله أفواجاً، فهل هناك تسلسلٌ هادفٌ؟

(ج) لاشكّ هناك هدف من تسلسل ذكر الأوامر وذكر النِّعم، إذ لم تأتي بصورة اعتباطية، فالسورة ذكرت ثلاث نعم إلهية وبعدها أردفت ثلاثة أوامر، فوضعت مقابل النصر التسبيح، ومقابل فتح مكّة الحمد لله (عزّوجلّ)، ومقابل دخول الناس في دين الله أفواجاً الاستغفار، إذاً يوجد هدف من هذا التسلسل.

(س) لماذا وضع مقابل (نصر الله) التسبيح، ومقابل الفتح الحمد، ومقابل دخول الناس في الإسلام الاستغفار؟

(ج) وضع مقابل النصر التسبيح ؛ لأنّ التسبيح تنزيهٌ لله (عزّوجلّ) من النقص والعيب، كأنّ الله (عزّوجلّ) يقول للناس إيّاكم أن تظنّوا بأنّكم تستحقّون على الله أن ينصركم، بل إنّ نصرته لكم فضلٌ منه أيضاً، والتسبيح دعوةٌ للذين شكّكوا في نصرة الله (عزّوجلّ) وسبب تأخيره سنتين بأنّه تخلّى عن المسلمين، فالآية تقول نزّه الله (عزّوجلّ) من هذا الظنّ الخاطئ، ووضع مقابل فتح مكّة الحمد، لأنّ النعمة الكبرى لا يمكن أن تُقابل إلاّ بالحمد وهو مختصّ بالله (عزّوجلّ)، ووضع الاستغفار مقابل دخول الناس في دين الله فهو المراد من قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[1] ؛ وأنّ كثرة الاتباع تُشغل الإنسان شيئاً ما عن الله (عزّوجلّ)[2].

۞ **قال عز وجل: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.**

(س) كيف يتحقّق التسبيح بواسطة الحمد، وهناك فرقٌ بينهما بالمعنى؟

(ج) معنى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي سبّحه بواسطة حمده، أي أنّك إذا حمدته فقد سبّحته لأنّ الثناء على الله والشكر له لابدّ أن يتضمّن تنزيهه (عزّوجلّ) عن النقائص، وعندما يَحمد إنسانٌ إنساناً بشكل كثير معناه ينزّههُ عن النواقص والعيوب، فكيف يكون ذلك

(١) سورة محمّد: ١٩.

(٢) التفسير الكبير: سورة النصر.

إذا كان لله (عزّوجلّ)[١] .

(س) ما المراد من التسبيح؟

(ج) سُئل الرسول ﷺ عنه فقال: تنزيه الله (عزّوجلّ) عن كلّ سوء، وأصل التسبيح من سَبحَ، فكما أنّ الإنسان لا يقبل السباحة في الماء العكر ولا يستطيع ذلك، بل يسبح في الماء الصالح، يضبط نفسه لكي لا يقع نحو الأسفل حتّى يصل إلى الهدف، فكذلك الله (عزّوجلّ) لا يقبل ما لا ينبغي له، فتسبيحهُ هو تنزيههُ من كلّ سوء ونقص.

(س) لماذا أُمرَ النبيّ ﷺ بالاستغفار بقوله ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ هل كان له ذنب؟ وأنّه ﷺ معصومٌ من العصيان مُطهّر من جميع الأرجاس ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[٢] .

(ج) ١ - النبيّ ﷺ معصومٌ من العصيان وليس طلب المغفرة منه هو من الذنب بمعنى مخالفة المواد القانونيّة دينيّة كانت أو دنيوية بل إنّه من باب حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين حيث أنّ المعصوم يرى الاشتغال بالأمور الحياتية الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عنها مثل الأكل والشرب هو اشتغال بغير المحبوب وإعراضٌ عنه وهو من الذنب لهذا يطلبون من المولى (جلّ جلاله) المغفرة عليها، وهناك قصورٌ وتقصير موجود عند جميع الناس إزاء نعم الله (عزّوجلّ) الذي ﴿**وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا**﴾[٣] فمن هذا التقصير والقصور الذاتي يكون الاستغفار حيث قال ﷺ: «ما عرفناك حقّ معرفتك وما عبدناك حقّ عبادتك».

٢ - الاستغفار من الخلط بالناس الذي يلازمه الغبار على القلب ومن ثُمّ غفلة ما عن ساحة الربوبيّة، ولذلك حينما عُرج النبيّ ﷺ عن الكائنات واستغفل عنها، أصبح قريباً جداً من ربّه من الناحية المعنوية بدرجة ﴿**قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا**

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) إبراهيم: ٣٤.

أَوْحَى﴾[(١)].

٣- وأنّه من باب إيّاك أعني واسمعي يا جارة أيضاً فالاستغفار للملابسات الكثيرة التي تدخل في النفوس مثلاً الزهو من نشوة النصر وفرحة الظفر، أو سبب تأخير النصر أو الاعتقاد باستحقاق النصر، و. . .

٤- إنّ قوله ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ سؤال إدامة المغفرة فإنّ الحاجة إلى المغفرة بَقاءاً كالحاجة إليها حدوثاً، وبذلك يتمّ شكرَه لربّه (عزّوجلّ)، وإنّ من معاني المغفرة هو طلب دفع الذنوب القادمة ورفع المنزلة والدرجة[(٢)].

(س) لماذا أمرنا الله (سبحانه وتعالى) بالتسبيح ثمّ الحمد ثمّ الاستغفار، في حين يجب على العبد أوّلاً الاستغفار ومن ثُمّ الحمد وبعدها التسبيح؟

(ج) لعلّه ابتدأ بالأشرف نازلاً إلى الأدنى، فالتسبيح والحمد إشارةٌ إلى التعظيم لأمر الله (عزّوجلّ) والاستغفار إشارةٌ إلى الشفقة على خلقه، وأنّ النزول من الخالق إلى الخلق أشرف من الصعود من الخلق إلى الخالق[(٣)].

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾.

(س) لماذا قالت السورة المباركة ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ الذي يدلّ على الماضي، وحاجتنا إلى قبول التوبة في المستقبل؟

(ج) إنّ صيغة الماضي أبلغ، فيكون معناه منذ القديم كنت أقبل توبة العُصاة، فكيف لا أقبل توبة من دخل بيتي وأنظمّ تحت لواء نبيّ ﷺ، وكأنّه (عزّوجلّ) يقول: كنت توّاباً قبل أن آمركم بالاستغفار، أفلا أقبل ذلك وقد أمرتكم به[(٤)].

(س) لماذا قال الله (عزّوجلّ): ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ ولم يَقُل غفّاراً كما في سورة نوح (على

---

(١) النجم: ١٠.
(٢) منة المنان: الآية.
(٣) التفسير الكبير: الآية.
(٤) المصدر نفسه.

نبيّنا وآله وعليه السلام) حيث قال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾[١]؟

(ج) لعلّه خَصَّ هذه الأُمّة بزيادة الشرف، وأنّه لا يُقال للعبد إذا كان آتياً بالتوبة إنّه غفّار، بل يُقال له توّاب[٢].

(س) لماذا قال (عزّوجلّ): ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ ولم يَقُل (بحمد الله) كما في بداية السورة (نصر الله، دين الله)؟

(ج) إنّه (عزّوجلّ) راعى العدل فذكر اسم الذات مرّتين واسم الفعل مرّتين وهما (الربّ والتوّاب).

(س) هل السورة تدلّ على نعي لرسول الله ﷺ وإشعارٌ له بخاتمة حياته المباركة؟

(ج) في المجمع عن مقاتل: لمّا نزلت هذه السورة قرأها ﷺ على أصحابه ففرحوا واستبشروا وسمعها العبّاس فبكى فقال ﷺ: «ما يبكيك يا عمّ؟ قال: أظنّ أنّه قد نعيت إليك نفسك يارسول الله فقال: إنّه لكما تقول فعاش بعدها سنتين ما رؤي بعدها ضاحكاً مستبشراً». وقيل: إنّ سياق السورة يُلَوِّحُ إلى فراغه ﷺ ممّا عليه من السعي والمجاهدة وتمام أمره، وعند الكمال يرقب الزوال[٣].

(س) قوله تعالى: ﴿فِي دِينِ اللهِ﴾ هل إنّ سائر الأديان الإلهية التي كانت في زمن فتح مكّة ليست دين الله؟ فكيف يُعتبر دخول غير المسلم في الإسلام دخولاً في دين الله؟ أولم يكن في دين الله سابقاً؟

(ج) إنّ الداخلين في الإسلام حينذاك كانوا بين مشرك لم يكن في دين الله (تعالى) وبين كتابي غير ملتزم بما عنده، وإنّ من التسليم لله (عزّوجلّ) اعتناق الجديد وترك السابق، ولا معنى للإسلام بعد نزول شريعة القرآن إذ علينا التسليم له وترك غيرهُ.

(س) لماذا استعمل صيغة المبالغة في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ ولم يقل: إنّه كان تائباً، بصيغة

---

(١) نوح: ١٠.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

(٣) المصدر نفسه.

اسم الفاعل؟

(ج) ١- لو قال: إنّه كان تائباً لاختل السياق اللفظي والنسق القرآني.

٢- إنّ صيغة المبالغة تفيد بأنّه (سبحانه) كثير التوبة وسريع بها، فإنّه يتوب ويغفر وإن كانت الذنوب كثيرة ومتكررة[1].

(س) هل للسورة ارتباطٌ بحياة الإنسان؟

(ج) لاشكّ للسورة ارتباط كبير مع حياة الإنسان، فالسورة تعطي للإنسان دروساً كثيرة لحياته منها:

١- نَصرُ الله (عزّوجلّ) وتأييده للإنسان يأتي بعد السعي والحركة، قال (عزّوجلّ): ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إلاَّ مَا سَعَى﴾[2].

٢- لا يستحقّ الإنسان شيئاً على الله (عزّوجلّ) وكلّ ما يحصله فضلٌ منه، فيجب أن يُنزّه الله عن التفكير في أنّه يستحقّ شيئاً من ذلك.

٣- أفضل الذكر هو الحمد وأنّه يتضمّن التسبيح أيضاً.

٤- لا يمكن للإنسان الاستغناء عن الاستغفار مهما كان مؤمناً ومتّقياً، إذ في الاستغفار الزيادة.

٥- يدعو الله (سبحانه وتعالى) عباده دائماً بالرجوع إليه، مهما كان الوضع الذي هم فيه، قال (سبحانه وتعالى): ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[3].

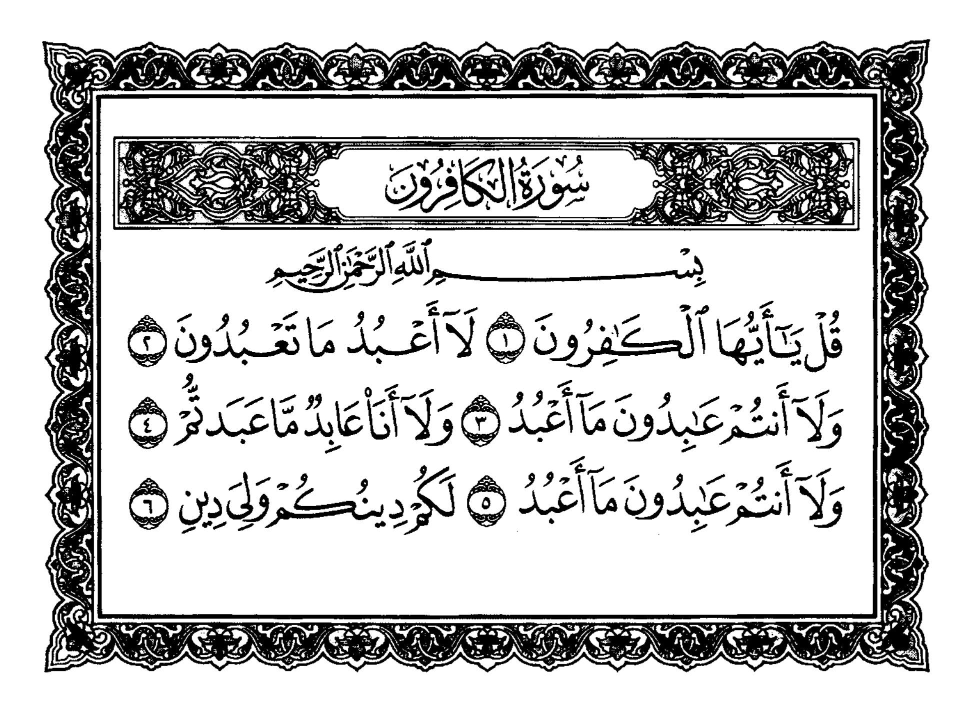
---

(١) منة المنان: الآية.

(٢) النجم: ٣٩.

(٣) الزمر: ٥٣.

سُورَةُ الكَافِرُونَ


سُورَةُ الكَافِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

فضلها:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قرأ إذا أوى إلى فراشه (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد) كتب الله (عز وجل) له براءة من الشرك».

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قرأ (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد) في فريضة من الفرايض غفر الله له ولوالديه وما ولد وان كان شقياً مُحي من ديوان الأشقياء، وأثبت في ديوان السعداء، وأحياه الله سعيداً وأماته شهيداً وبعثه شهيداً».

سبب النزول:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان سبب نزولها وتكرارها، أنّ قُريشاً قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: تعبد إلهنا سنة، نعبد الهك سنة، وتعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة، فأجابهم الله عز وجل بمثل ما قالوا...»[(١)].

مفردات السورة:

كَفَرَ: سَتَرَ.

العبادة: إظهار التذلّل.

الدّين: الطاعة أو الجزاء، واستُعيرت للشريعة المقدّسة بقوله (عزّ وجلّ): ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾.

موضوع السورة:

إنَّ قريشاً طلبوا من النبيّ صلى الله عليه وآله المداهنة والصلح بينهم وبينه على أن يعبدوا الله (عزّوجلّ) سنة ويَعبُد آلهتهم سنة فيحصل بينهم صلح وتزول العداوة، فنزلت السورة لتأمُر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يُظهر للكفّار براءته من دينهم ويخبرهم بعدم قبولهم لدينه، أي كلا الدينين لا يتعدّى إلى الطرف الآخر، لذا فلييأسوا من أيّ مداهنة ومساهلَة.

ولاشكّ هؤلاء الكفّار هم قوم معيّنون، وليس المراد منهم جميعهم[(٢)]، إذ أنّ مهمّة الرسول صلى الله عليه وآله هي دعوةُ الكفّار إلى الإسلام والهداية، ولكن عندما يرى عنادهم وعدم نفع التبليغ لابدّ عليه من إظهار موقفه القاطع معهم.

---

(١) تفسير البرهان، م ٤، ص ٥١٦، ح ١.

(٢) إنّهم كقوم نوح عليه السلام عندما قال الله (عزّوجلّ): ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (هود: ٣٦).

السورة تشمل وتخاطب الكفّار الذين هم ككفّار قريش حيث كانوا مصرّين على عنادهم ونهجهم الباطل والفاسد. وأنّ هؤلاء الكافرين الذين تشير إليهم السورة هم قومٌ معهودون ولا يُراد بهم كلّ الكافرين ونستفيد هذا من كلمة (قُل) في بداية السورة التي تدلّ على أنّ السورة لها سبب نزول.

الأسئلة والأجوبة

❁ قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

(س) في رواية معروفة أنّ النبيّ ﷺ اعتبر سورة الكافرون بأنّها ربع القرآن، فما سببُ ذلك؟

(ج) إنّ ما يُقارب نصف القرآن وأكثر يهدي إلى حقائق التوحيد، وأنَّ التوحيد يتشكّل من جزئين الإيمان بالله ونفي الشركاء كما في (لا إله إلاّ الله) كلمة التوحيد، وبما أنّ سورة الكافرون تُبيِّن خلاصة رفض الشركاء في القرآن، لذا فأنّها تعادل رُبع القرآن[1].

(س) لماذا جاء الخطاب بـ (يا أيّها) التي تفيد النداء للبعيد في حين كان الكفّار المعاندون الذين تخاطبهم السورة قريبين من الرسول ﷺ بل كانوا ينتظرون الجواب على اقتراحهم الذي أظهروه له ﷺ؟

(ج) (يا أيّها) التي تفيد النداء قد لا يقصد من البُعد هو البُعد المكاني، المقصود من البعد هنا هو البُعد المعنوي والروحي والعقلي لهم عن الحقائق والبراهين الواضحة والكثيرة التي تدلّ على عظمة الله (تعالى) ووحدانيّته[2].

(س) قوله (سبحانه): ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ الظاهر أنّهم قوم معهودون ومعيّنون ويدلّ على ذلك أنّ الله (عزّوجلّ) أمر نبيّه أن يخاطبهم ببرائته من دينهم وامتناعهم من قبول دينه العظيم، فإذا كان الأمر هكذا فما علاقة ذلك بنا؟

(ج) القرآن نَزَل من باب إيّاك أعني واسمعي يا جارة، كما ورد عن الإمام عليه السلام فعندما يأمر الله (عزّوجلّ) رسوله باتّخاذ هذا الموقف مع الكفّار والمشركين وأن يُعلن برائته الكاملة من دينهم، ولذا فمن الواجب علينا أن نمتلك موقفاً كموقفه إزاء الكفّار والمشركين المعاندين، والقرآن الكريم يقول لنا ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3].

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الأحزاب: ٢١.

(س) لماذا بدأ الله (سبحانه وتعالى) هذه السورة بكلمة (قُل) وما فائدة وجودها في بداية السورة؟

(ج) ١- فيها تأكيد بإيجاب تبليغ الوحي.

٢- وفيها إشارة إلى الكافرين وغيرهم بأنّه ﷺ مأمورٌ بهذا الكلام ولم يذكره من نفسه، إذ أنّ الكفّار والمشركين مقرون بوجود الله (عزّوجلّ) ﴿و لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[1] ولهذا فهم يتحمّلون من الله ما لا يتحمّلونه من غيره، فلو ابتدأ بـ (يا أيّها الكافرون) دون كلمة (قل) لجوّزوا أن يكون هذا الكلام منه ﷺ ولربّما يؤذونه، فلمّا سمعوا كلمة (قل يا أيّها . .) عرفوا بأنّه ﷺ مأمور بنقل هذا الكلام.

٣- وأنّها (قل) تردّ الذين يريدون ويسعون في الطعن بشخصية النبيّ ﷺ وخُلقه الكبير، فلو كانت السورة خالية من (قل) لقال المشكّكون والانتهازيّون كيف يتلائم قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم﴾[2] وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[3] مع قوله (يا أيّها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . . .) وفيه نوع من الحدّة والغلظة.

٤) إنّه (عزّوجلّ) لو قال: (يا أيّها الكافرون) من دون قل لكان فيه شيء من التعظيم للكفّار لأنّه من غير واسطة ونوعٌ من المشافهة، ولكن عندما أمر الرسول ﷺ بمخاطبتهم رجع التشريف للنبيّ ﷺ وازدادت الإهانة عليهم[4].

(س) قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ هل هو خطابٌ مع جميع الكفّار أم مع قسم منهم؟

(ج) لا يمكن أن يكون قوله تعالى خطاباً لجميع الكفّار، لأنّ الكفر أنواع مختلفة فهناك ممّن يؤمن بالله ولكنّه لا يؤمن برسوله، وآخر يؤمن بالله ورسوله ولا يؤمن بما قال وأوصى، بينما اليهود والنصارى يؤمنون بالله (عزّوجلّ) ولكنّهم لم يؤمنوا بالنبيّ محمّد ﷺ،

---

(١) لقمان: ٢٥.

(٢) القلم: ٤.

(٣) الأنبياء: ١٠٧.

(٤) التفسير الكبير: الآية.

إذاً فقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ خطابٌ مع أقوام مخصوصين.

❁ قال تعالى: ﴿وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ * وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾.

(س) هل في السورة تكرار؟

(ج) قيل: إنّ قوله: ﴿وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ * وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ تكرارٌ مضمون الجملتين السابقتين وذلك لزيادة التأكيد[١].

(س) إذا قلنا: بأنّ سبب التكرار لأجل التأكيد والمبالغة في النفي، فلماذا لم تستخدم الآية أداة النفي (لن) التي تُفيد النفي القاطع، وأنّ أصحاب الكهف لمّا بالغوا قالوا: ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً﴾[٢]، فلماذا لم يَقُل الرسول ﷺ هنا: لن أعبد ما تعبدون... وذلك لأجل التأكيد والمبالغة الكاملة؟

(ج) المبالغة إنّما يحتاج الإنسان إليها في موضع التهمة، وقد علمَ الجميع أنّ النبيّ ﷺ ما عبدَ صنماً قبل الإسلام، فكيف يعبُدَهُ وقد أصبح رسولاً للعالمين، بينما كان في أصحاب الكهف ممّن يعبد غير الله من قبل[٣].

(س) إنّ لفظة ما المتكرّرة في السورة تتناول المجهول أو الذي لا يعلم، وأنّ آلهتهم كذلك، فكيف يصحّ إطلاق ذلك على الله (عزّوجلّ) بقوله: ﴿وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾؟

(ج) قالوا: أُريد به الصفة كأنّه ﷺ قال: لا أعبدُ الباطلَ وأنتم لا تعبدون الحقّ.

(س) أليس في ذكر سبب عدم عبادته لآلهتهم هو أفضل من هذا التكرار؟

(ج) قد يكون التأكيد والتكرار أفضل من ذكر الحجّة وسبب عدم عبادته ﷺ لآلهتهم، لأنّ

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) الكهف: ١٤.

(٣) التفسير الكبير: الآية.

المخاطب بليد وأحمق ينتفع بالتأكيد والرفض ولا ينتفع بالحجّة والدليل[١].

(س) إنّ أوّل السورة اشتملت على التشديد والنداء بالكفر، بينما آخر السورة فيها نوعٌ من اللطف واللين وهو قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ فكيف يمكن الجمع بينهما؟

(ج) كأنّه ﷺ قال لهم إنّي قد بالغت في تحذيركم عن عبادة الأصنام وما قصرت فيه فإن لم تقبلوا قولي فاتركوني، لكم حسابكم على ما تفعلون ولي حسابي على ما أفعل وأعبد.

❁ **قال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.**

(س) هل في قوله (عزّوجلّ): ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أنّ النبيّ ﷺ أذنَ لهم بالكفر وأنّه لم يبعث إلاّ لأجل المنع من الكفر؟

(ج) الآيات القرآنية تدفع القول بأنّ النبيّ أباح لهم البقاء على الكفر وعدم التعرّض لهم بالسوء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ..﴾[٢]، وأنّ قول الرسول لهم ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣] فهو نوع من التهديد.

(س) الكافر هو الساتر على الأُمور والحقائق التي توصل إلى الله (تعالى) فما هي هذه الأُمور وكيف يستر عليها وهل يتعرّض المؤمن والى الكفر أيضاً كما الذين اختاروا ذلك بصورة كاملة؟

(ج) الأُمور التي يستُر عليها الكفّار هي السُبُل الواضحة التي تدعو إلى الله تعالى منها:

١- الرسالات الإلهيّة.

٢- الأنبياء والمرسلين.

---

(١) منة المنان: سورة الكافرون، الآية.

(٢) التوبة: ٧٣.

(٣) سورة فصّلت: ٤٠.

٣- الآيات الافاقية .

٤- الآيات الأنفسية .

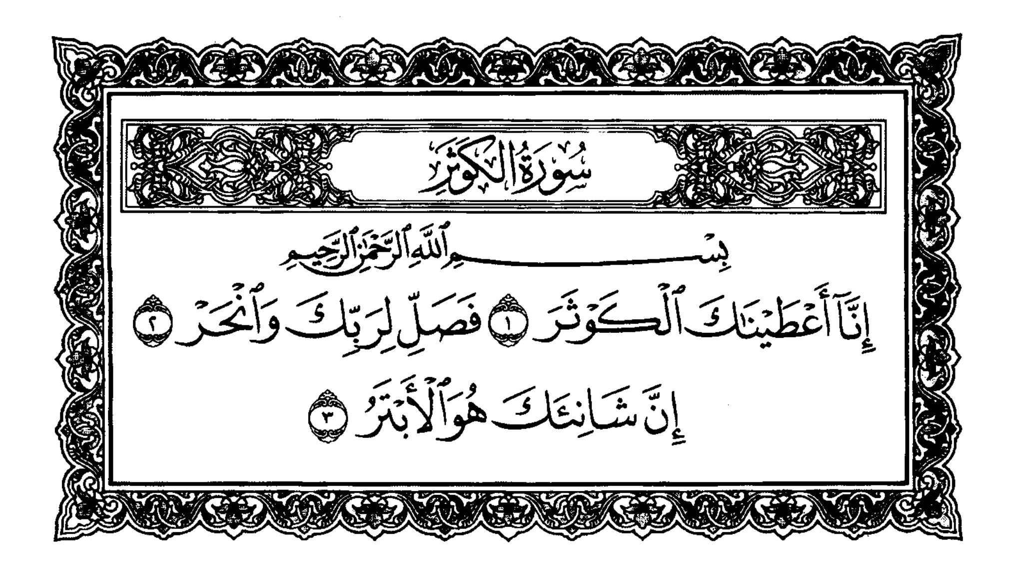
٥- العقل .

٦- الفطرة .

٧- المعجزات الإلهية كعصى موسى عليه السلام وناقة صالح عليه السلام و . . .

وقد يتعرّض المؤمن إلى الكفر خلال مسيرة حياته اليومية بسبب ابتعاده عن ربّ العالمين (عزّوجلّ) ولكن يجب إدراك ذلك بأسرع وقت ممكن عن طريق التوبة والاستغفار .

سُورَةُ الكَوثَرِ



فضل السورة:

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من كانت قراءتُهُ (أنا أعطيناك الكوثر) في فرائضه ونوافله سقاه الله من الكوثر يوم القيامة، وكان محدثه عند رسول الله صلى الله عليه وآله في أصل طوبى».

سبب نزول السورة:

كان أكبر وُلد رسول الله صلى الله عليه وآله القاسم ثمّ زينب ثمّ عبد الله ثمّ أُمّ كلثوم ثمّ فاطمة ثمّ رقية فمات القاسم وهو أوّل ميّت من ولده بمكّة ثمّ مات عبد الله، فقال العاص بن وائل

السهمي: قد انقطع نَسلُهُ فهو أبتر، فأنزل الله هذه السورة.

مفردات السورة:

إنّا: تُفيد التعظيم وفيها تنبيهٌ على عظمة العطية

أعطيناك: الإعطاء يدلّ على التفضّل بدون مقابل، وأنّه يُوجِبُ الاختصاص والتمليك دون الإيتاء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾ (١).

الكوثر: الخير الكثير.

فصلِّ: أصل الصلاة هو الدُّعاء، وسُمِّيت هذه العبادة بها كتسمية الشيء ببعض ما يتضمّنه.

النحر: رفع اليدين في تكبير الصلاة إلى النحر.

الشانئ: المبغض.

الأبتر: المقطوع، الذي لا عَقِبَ له.

موضوع السورة:

امتنانٌ على النبيّ ﷺ بإعطائه الكوثر، وتطييبٌ لنفسه الشريفة بأنَّ شانئَهُ هو الأبتر، وهي أقصر سورة في القرآن الكريم.



الأسئلة والأجوبة

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.

(س) إنّا التي يُراد منها التعظيم للباري (جلّ وعلا) هل يمكن حمله على الجمع؟

(ج) لا يمكن حمله على الجمع إلاّ إذا أُريد أنّ هذه العطية العظمى كان للملائكة والأنبياء المتقدّمين نوعٌ من الدور الغير المباشر في تحصيلها للرسول ﷺ، فنرى نبيّ الله إبراهيم عليه السلام يدعو إلى الله (عزّوجلّ) لأجل ذلك بقوله (سبحانه وتعالى): ﴿رَبَّنَا

(١) الحجر: ٨٧.

وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ (١) وعيسى عليه السلام يُبشِّر أُمّته بمجيئه ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُول يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (٢) . (٣)

(س) لماذا قال الله (عزّوجلّ) : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ولم يقل آتيناك الكوثر؟

(ج) ١) الإيتاء يحتمل أن يكون واجباً وأن يكون تفضّلاً ، بينما الإعطاء فإنّه بالتفضّل أشبه وكثيراً ما يُستعمل به ، فالإعطاء يدلّ على التفضّل بدون وجوب ذلك على الله (عزّوجلّ) ، وتفيد التمليك والاختصاص ، بينما الإيتاء لا تُفيد ذلك ، ولهذا قال (عزّوجلّ) : ﴿آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٤) .

٢) الإعطاء يستعمل في القليل والكثير ، بينما الإيتاء لا يُستعمل إلاّ في الشيء العظيم ﴿..وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ..﴾ (٥) ﴿..وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً﴾ (٦) ، فقوله : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ يُفيد تعظيم حال النبيّ صلى الله عليه وآله وهو أنّ ما أُعطي له في الدُّنيا قليلٌ بالنسبة لمقامه وشأنه وجهوده التي بذلها في سبيل الإسلام ، فكأنّه (عزّوجلّ) يقول هذا الذي أعطيتك وإن كان كوثراً لكنّه في حقّك قليل إذ هو إعطاء وليس إيتاء ، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٧) . (٨)

(س) لماذا قال (سبحانه وتعالى) : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ولم يَقُل : سنُعطيك الكوثر؟

(ج) كلمة أعطيناك تدلّ على الماضي ، بينما سنُعطيك يدلّ على المستقبل ، كأنّه (سبحانه وتعالى) يقول لرسوله صلى الله عليه وآله إنّا قد هيأنا لك الخيرات الكثيرة قبل دخولك في الوجود

---

(١) البقرة : ١٢٩ .
(٢) الصف : ٦ .
(٣) التفسير الكبير : الآية .
(٤) الحجر : ٨٧ .
(٥) البقرة : ٢٥١ .
(٦) سبأ : ١٠ .
(٧) الضحى : ٥ .
(٨) التفسير الكبير : الآية .

ومجيئك إلى هذه الحياة فكيف نهملك بعد ذلك، وإن من كان في الزمن الماضي عزيزاً أشرف ممّن سيصير كذلك، ولهذا قال ﷺ: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين»[١].

(س) لماذا قال (سبحانه وتعالى): ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ولم يَقُل: إنّا أعطينا الرسول أو النبيّ الكوثر؟

(ج) لأنّه لو قال كذلك لأشعر أنّ تلك العطية أُعطيت لذلك السّبب، فلمّا قال (إنّا أعطيناك) عُلِمَ أنّ تلك العطية غير معلّلة بعلّة أبداً، بل هي محضُ اختيار منه (عزّوجلّ)[٢].

(س) هناك آية في القرآن الكريم تقول: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[٣] فهل تكلّم الله (سبحانه وتعالى) مع رسوله بصورة مباشرة وهل هذه السورة (إنّا أعطيناك) تدلّ على الكلام المباشر مع الرسول ﷺ؟

(ج) هذه السورة المباركة تدلّ على الكلام المباشر مع الرسول ﷺ كما تكلّم (سبحانه وتعالى) مع نبيّه موسى عليه السلام، فالرسول محمّد ﷺ الذي هو أعظم مرتبة ودرجة من موسى عليه السلام، فليس هناك شيء عند موسى عليه السلام ما ليس عنده ﷺ.

(س) ما الكوثر؟

(ج) الكوثر: هو الخير الكثير، والخيرات التي أُعطيت للنبيّ ﷺ كبيرة وكثيرة في نفسها.

فالكوثر نَجِدَه في رسالته التي هي خير الرسالات، وفي قرآنه المبارك الذي هو نورٌ ورحمةٌ وشفاءٌ للعالمين، ونجده أيضاً في بنته الزهراء (سلام الله عليها) ونسلها المبارك الذي انتشر في جميع الأرض، ونجد الكوثر في الإمام عليّ عليه السلام الذي قام بسيفه الإسلام والذي كان كلّه خير في حياته وهكذا بعد مماته، ونجد الكوثر في الأئمّة الطاهرين عليهم السلام الذين مَلأوا الدُّنيا بنورهم وسيملئها آخرهم وهو الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه) قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظُلماً وجوراً، وقيل: الكوثر هو نهرٌ في الجنّة وهو أيضاً من الخير الكثير الذي

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) النساء: ١٦٤.

أُوتيه ﷺ، وخديجة عليها السلام أيضاً من الخير الكثير، وهكذا علمه الوافر وسنّته الشريفة، وقيل: هي الشفاعة، واللفظ يحتمل الكلّ فقد أعطاه الله الخير الكثير في الدُّنيا ووعده الخير الكثير في الآخرة أيضاً[١].

۞ قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾.

(س) لماذا قال (جلّ وعلا): ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ ولم يقل: فاشكُر، وإنَّ اللائق عند النعمة هو الشُكر؟

(ج) الشكر عبارةٌ عن التعظيم ولا يكون باللسان فقط، بل هناك شكر في القلب واللسان والأركان إذ يُبيِّن الإنسان شكره لله (عزّوجلّ) عن طريق التطبيق العملي بجوارحه في القيام بخدمة الآخرين، وهذه الحالات من الشكر موجودةٌ في الصلاة وأكثر منها أيضاً، فالصلاة تشمل جميع أنواع الشُكر وزيادة[٢].

(س) ما المراد من النحر في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾؟

(ج) روى الأصبغ بن نباتة عن الإمام عليّ عليه السلام قال: «لمّا نزلت هذه السورة قال النبيّ ﷺ لجبرئيل عليه السلام: ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربّي؟ قال: ليست بنحيرة ولكنّه يأمرك إذا تحرّمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبّرت، وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع، وإذا سجدت فإنّه صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السماوات السبع، وأنّ لكلّ شيء زينةٌ وزينة الصلاة رفع اليدين عند كلِّ تكبيرة»[٣].

(س) لماذا قال (عزّوجلّ): ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ ولم يقل: فصلِّ لله؟

(ج) قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ أبلغ وفيه نوع من التكريم والوعد الجميل للنبيّ ﷺ في المستقبل، إذ أنّها تُشير أنّه (سبحانه وتعالى) مستمرٌّ في تربيته وإحسانه له ﷺ[٤].

---

(١) تفسير الفرقان: سورة الكوثر.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) التفسير الكبير: الآية.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾.

(س) كيف نعرف أنّ شانئ النبيّ ﷺ هو الأبتر؟

(ج) يتجلّى لنا الأمر بوضوح كامل عندما نرى نسله الطاهر هو الباقي وهو المنتشر في كلّ مكان، وهم يفتخرون بنسبهم ورجوعهم للنبيّ ﷺ وأنّهم معزّزون ومكرّمون بين الآخرين، بينما نَسلُ مبغضيه وأعداءه هو الذي انقطع واندثر ولم يبقى له أيّ أثر.

(س) عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «ما أُوذي نبيٌّ مِثلَ ما أُوذيت» فكيف نجمع هذا القول مع السورة المباركة؟

(ج) النبيّ محمّد ﷺ أُوذي كثيراً كما لم يُؤذَ أحدٌ من العالمين. أُوذي في حياته وبعد مماته، أُوذي في بضعته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام إذ غُصبَ حَقُّها وكُسرَ ضلعها، وأُوذي ﷺ في وصيّه الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام حيث صار جليس بيته ولم يُعطى حقّه، وأُوذي في أولاده الطاهرين المعصومين عليهم السلام وهكذا أُوذي في الكثير من الأُمور الأُخرى ولكن في نفس الوقت أُوتي الخير الكثير في الدُّنيا والآخرة ما لم يؤت أحدٌ من الأوّلين والآخرين.

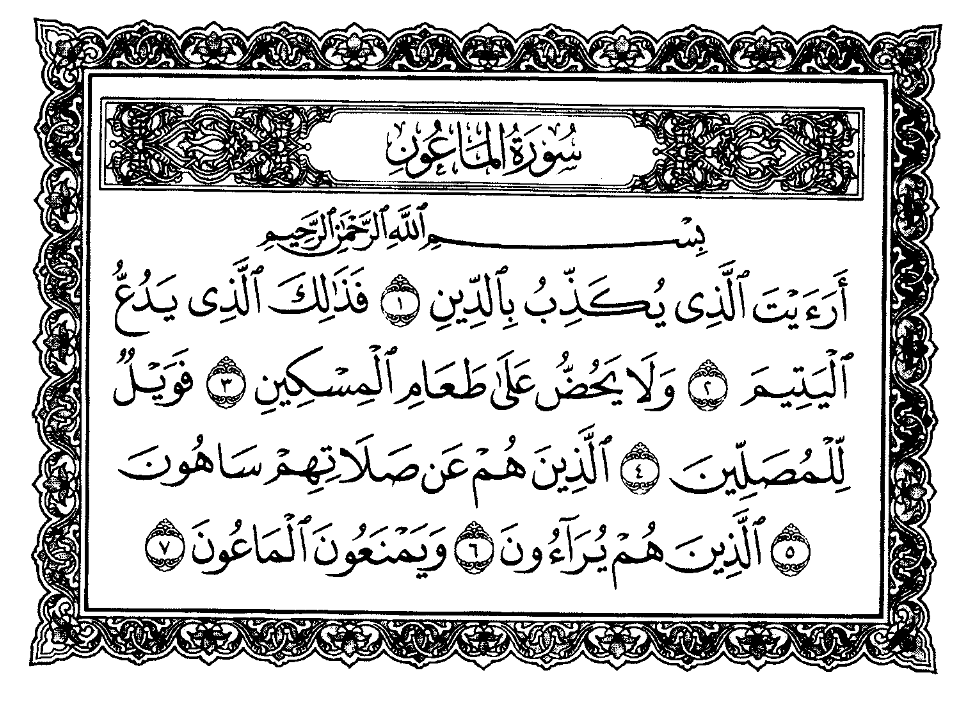
(س) هل في السورة دلالاتٌ على صدق نبيّنا ﷺ وصحّة نبوّته؟

(ج) السورة المباركة تقول بأنّ الرسول الأعظم ﷺ أُعطي الخير الكثير وأنّ أعداءه مقطعوا الذكر والنسل، تجلّى وتحقّق هذا الأمر في زمنه المبارك حيث الانتصارات توالت عليه من كلّ حَدب وصوب، تارةً كان الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (سلام الله عليه) هو السبب فيها بإذن الله (عزّوجلّ) حيث كان المحور في انتصارات الرسول ﷺ حتّى قال ﷺ: «قام الإسلام بسيف عليّ ومال خديجة»، ومرّة أُخرى كانت الزهراء (سلام الله عليها) السبب في تجسيد الخير الكثير الذي أُوتي النبيّ ﷺ بشخصها الشريف وبأولادها الأطهار عليهم السلام حيث دافعوا عن الحقّ وأهله وبذلوا في سبيل ذلك الغالي والنفيس حتّى حفظوا الإسلام من أهواء وأيدي الظلمة والطُّغاة، ويتجلّى الخير الكثير ويكمل مع ظهور الإمام الحجّة المهدي المنتظر عليه السلام حيث (سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلِئت ظلماً وجوراً) وأنّ الإسلام انتشر منذ بدايته رغم الأعداء

والمناوئين، واندحر أولئك المبغضين والأعداء منذ الزمن الأوّل وإلى يـوم القيامـة، ومـا من راية سواء تُرفع إلاّ وَيُكتب لها الفشل والاندحار. ويبقى صوت الإسلام والحقّ هو الظاهر وهو الذي ينتشر في الآفاق ولو كَرِه الكافرون، هذا ما نَبّأت بـه السـورة المباركة حيث بعثت في قلب الرسول ﷺ والسائرين على هَدْيه الاطمئنان بالفلاح والنصر علـى الأعداء إلى قيام يوم الدين[1].

(١) تفسير الفرقان: الآية.

سُورَةُ المَاعُون



تحتمل أنّها مكّية ومدنية ، وقيل : نصفها مكّي والآخر مدني

فضلها:

عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : «من قرأ سورة (أرأيت الذي يكذب بالدين) في فرائضه ونوافله كان فيمن قَبِلَ الله عز وجل صلاته وصيامه ولم يحاسبه مما كان فيه في الحياة الدنيا» .

مفردات السورة:

الدّين : الطاعة أو الجزاء .

يَدُعُّ: يدفع بشدّة.

اليتيم: المنقطع عمّا يحقّ له الاتّصال به من نِعَمِ الله.

يحضّ: يحرّض، يَحُثُّ.

الوَيل: كلمة تهديد ووعيد تُقال في مواقف التقبيح.

ساهون: غافلون.

الماعون: كُلّ ما فيه المنفعة أو كلّ ما يعين الآخر في رفع حاجة من حوائج الدنيا.

موضوع السورة:

عرضٌ للتكذيب العملي للدّين الناشئ عن التكذيب العقائدي وهو اللامبالاة بشأن الخلق والخالق، وتُشير السورة إلى الاهتمام بأمور اليتامى والمساكين، وفيها وعيدٌ لمن أخذ بالدين ولكنّه تخلّق بأخلاق المنافقين كالسهو عن الصلاة والرياء.



الأسئلة والأجوبة

۞ قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾.

(س) ما المراد من الرؤية في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ... ﴾؟

(ج) ١- قيل إنّها الرؤية البصرية.

٢- ويُحتمل أن تكون بمعنى المعرفة.

٣- أن تكون الرؤية بالبصيرة، وهي الرؤية القلبية[١].

(س) لماذا لم يقل: أرأيت الذي يكذّب بالله (تعالى) أوليس الإيمان بالله (عزّوجلّ) أعظم من الإيمان بالدّين؟

(ج) أكثر الناس يؤمنون بالله (تعالى) ولكن ما فائدة ذلك من دون الإيمان بيوم القيامة؟

(س) ما علاقة السورة بما سبقتها من السور المباركة؟

---

(١) منة المنان: الآية.

(ج) سورة الماعون جاءت بعد سورة الفيل وقريش اللّتان تُشيران إلى عظم نعم الله (تعالى) التي أنزلها على قريش، ولكن مع ذلك ظهر هناك من القرشيين كأنّه لم يَرَ تلك المعجزة الإلهية الكبرى في إهلاك إبرهة وجيشه ولم يشعر بالنعم الإلهية الكثيرة التي أغدقت على قريش، فلهذا جاءت السورة لتظهر التعجّب من هذه الشريحة الفاسدة والتي جاء فسادها بسبب تكذيبها بيوم القيامة.

(س) ما هو المراد من الدّين في قوله (عزّوجلّ): ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾؟

(ج) المراد بالدّين في اللغة هي الطاعة والجزاء، فالدّين الطاعة هو التسليم لله (عزّوجل) بكافّة المظاهر والأسرار، والدين الجزاء هو الاعتقاد واليقين بيوم القيامة والحساب، ويمكن أن يكون المراد في الآية المباركة كلا المعنيين.

(س) هل الرؤية التي هي وسيلةٌ للمعرفة والإدراك لدى الإنسان تتحقّق بواسطة حاسّة البصر فقط أو يمكن الحصول على ذلك بواسطة جارحةٍ أُخرى؟

(ج) الرؤية والمعرفة لا تتحقّق للإنسان عن طريق النظر فقط، بل تتحقّق عن طريق السمع والعقل أيضاً، فعندما يسمع شخصٌ بحادثة ما حدثت منذ زمن بعيد، من أشخاص كثيرين يحصل له علم قاطعٌ بها كأنّما رآها أمام عينيه، وتارةً تحصل الرؤيا والمعرفة لدى الإنسان عن طريق العقل والقلب، كرؤية الله (عزّوجلّ). سئل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هل رأيت الله؟ فقال عليه السلام: «لم أكن أعبد رباً لم أراه».

(س) لماذا جاءت الآية بصورة استفهام بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ وما فائدة ذلك؟

(ج) الغرض من الاستفهام هو لأجل المبالغة في التعجّب والافهام.

۞ **قال تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾.**

(س) لماذا ذكر الله (سبحانه وتعالى) صفتين للمكذّب بالدين دون غيرهما وهما دَع اليتيم وعدم الحضّ على طعام المسكين، في حين لا يقتصر المكذّب بالدِّين على هاتين

الصفتين؟

(ج) تنبيهاً على أنّ المُكذِّب بالدِّين يمتلك أسوء الصفات القبيحة والرذيلة، بحيث يتعدّى سوءُه وأذاهُ حتّى إلى اليتيم المنقطع عن حقوقه الطبيعيّة، فيدفعه بشدّة، ومن جانب آخر لا يهتمّ بالمساكين أبداً، فذكرت السورة هاتين الخصلتين، فكما أنّهما قبيحتان ومنكرتان حسب الشرع فكذلك الأمر بحسب المروءة والإنسانية[1].

۞ **قال تعالى: ﴿وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.**

(س) لماذا قال (تبارك وتعالى) في صفة المكذِّب بالدِّين إنّه: **﴿وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾** دون أن يقول: ولا يحض على إطعام المسكين؟

(ج) قيل: إنّ التعبير بالطعام دون الإطعام وذلك للإشعار بأنّ المسكين كأنّه مالكٌ لما يُعطى له، كما قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ*لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾**[2]، وقال (عزّوجل): **﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾**[3] [4].

(س) الآية تُشير إلى وجوب الحضّ على طعام المسكين بالإضافة إلى إطعامه، أليس قد لا يحضُ الإنسان المؤمن في كثير من الأوقات والأحوال على إطعام المسكين ولا يكون فيها آثماً؟

(ج) لأنّ الكثير من المؤمنين لا يُسمَعُ كلامُهُم ولا يَقبَلُونهُ إذا تكلّموا، وإذا قامَ غيرهم بهذا الأمر سقط عنهم، وبعضهم يترك الحضّ وحثّ الآخرين على الإطعام خوفاً من مَفسَدة يتوقّعها، والسورة ذكرت سبب عدم الحضّ على طعام المسكين هو عدم الإيمان بالآخرة، والمؤمنون يؤمنون بالآخرة، ولا يتركون الحضّ والترغيب على إطعام

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) المعارج: ٢٤ـ٢٥.

(٣) الذاريات: ١٩.

(٤) التفسير الكبير: الآية.

المساكين إلاّ لعذر صحيح[١].

(س) لماذا لم تقل الآية المباركة: ولا يُطعمُ المسكين، وإنّما قالت: ﴿وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾؟

(ج) إنّ المُكذِّب بالدِّين يمنع اليتيم من حَقّه العام إذ لا يحثُّ الآخرين على إطعام المسكين فكيف يُطعمهُ من ماله الخاصّ، فهو بَخيل أيضاً في مال غيره، وهذه نهاية الخِسّة[٢].

۞ **قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾.**

(س) لماذا قال (سبحانه وتعالى): ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ مع أنّ الصلاة عمود الدين، وأنّها تنهي عن الفحشاء والمنكر، أوَلا يكون في قوله تنقيص لشأن المصلّين؟

(ج) ١- في السورة قرائن واضحة تدل على أن ليس المراد من المصلين الذين تعنيهم الآية هم الجميع وإلاّ لوصل الذمّ إلى رسول الله ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام مع أنّ مدحهم في القرآن أشهر من أن يُذكر، وأنّهم كانوا يتفاعلون مع الصلاة ويأنسون بها بصورة تتعلّق أرواحهم بالملكوت الأعلى، فلا يشعرون بما يجري حولهم وبهم من أمور الدينا، يروى أنّ ناراً شبّت في بيت الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام وكان الإمام مشغولاً بالصلاة ولم يلتفت إلى النار، فلما أنهى صلاته، قالوا له: ألم ترَ النار التي اندلعت في بيتك؟ قال عليه السلام: لقد شغلني عنها نار الآخرة. وهكذا كان الأمر مع بقية أئمة أهل البيت عليهم السلام.

٢- يوجد تقييد سابق وآخر لاحق للآية يدل على أنّهم مجموعة خاصة وليسوا الجميع، قال العلاّمة الطباطبائي وجود فاء التفريع في قوله ﴿فَوَيْلٌ..﴾ تطبيقٌ للآية المسبقة التي تحدثت حول التكذيب بالدين، وأمّا التقييد اللاحق فهو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) المصدر نفسه.

صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾، وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[١].

۞ قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

(س) لماذا قالت الآية المباركة: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولَم تقُل في صلاتهم؟

(ج) الآية المباركة تُشير إلى المنافقين الذين عن أداء صلاتهم غافلون تماماً، فلا يبالوا إن صلّوا أم لا لكونهم لا يرجون منها ثواباً ولا يخافُونَ على تركها عقاباً، فهم يصلّون إذا حضروا مع المؤمنين لكي ينالوا بصلاتهم شيئاً من متاع الدُّنيا، ويتركونها كاملاً إذا غابوا عنهم، وإنّه لم يقل (في صلاتهم) فلو قال (عزّوجلّ) هكذا لشملت المؤمنين، لأنّ المؤمنين غالباً ما يسهون في صلاتهم بسبب وساوس الشيطان الكثيرة[٢].

(س) هل يمكن تطبيق وتوجيه الآية إلى الذين قبلوا الدِّين والصلاة ولكنّهم لا يطبّقون ما قالوا وما آمنوا به، ولا يهتمّون بصلاتهم كما أوصى القرآن الكريم؟

(ج) نعم، في السورة وعيدٌ وتحذيرٌ أيضاً للذين قبلوا الدِّين والصلاة ولكن أعمالهم كأعمال المنافقين فتراهم لا يهتمّون بصلاتهم ولا يجعلون لها قيمة أبداً، فعن ابن عبّاس (رضوان الله عليه) قال: «. . . هم الذين يُؤخِّرون الصلاة عن أوقاتها»، بينما يصلّونها بصورة جيّدة إذا حضروا بين الناس، والصفة الأُخرى التي يمتلكونها أنّهم لا يهتمّون بقضاء حوائج الآخرين[٣].

(س) قد يسأل سائل ويقول: أليست الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فلماذا نرى بعض المصلين يفعلون بعض المنكرات مثل الرياء ومنع الماعون؟

(ج) الصلاة التي لها فاعلية وتأثير في الإنسان وتمنعه عن الفحشاء والمنكر هي ما كانت ممزوجة بالتسليم لله (عزّوجلّ) والإيمان بالحساب والعقاب الإلهي الذي يأتي للإنسان مباشرةً مع كلّ صغيرة وكبيرة تصدرُ منه، قال (عزّوجلّ): ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) تفسير الفرقان: الآية.

(٣) المصدر نفسه.

خَيْراً يَرَه. وَمَنْ يَعْمَـلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَـرّاً يَـرَه﴾[١]، فإذا كان المصلّي لا يخاف الله (عزّوجلّ) فلاشكّ ستكون صلاتُهُ باهتة وعديمة التأثير في نفسه وأعماله.

(س) هل هناك من لا يَسهو في صلاته؟

(ج) الأنبياء والأئمّة المعصومون عليهم السلام هم الذين لا يَسْهُون في صلاتهم أبداً، ولهذا نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «أشهدُ أنّك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرتَ بالمعروف ونهيت عن المُنكر...» فإقامة الصلاة بشكلها الكامل لا يمكن لأحد أدائُها إلاّ المعصوم عليه السلام.

❁ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤونَ﴾.

(س) لماذا تظهر حالة الرياء عند الكثير من المصلِّين، فتراهم يصلّون بصورة جيّدة أمام الآخرين، بينما يقلُّ اهتمامهم بها في الوحدة؟

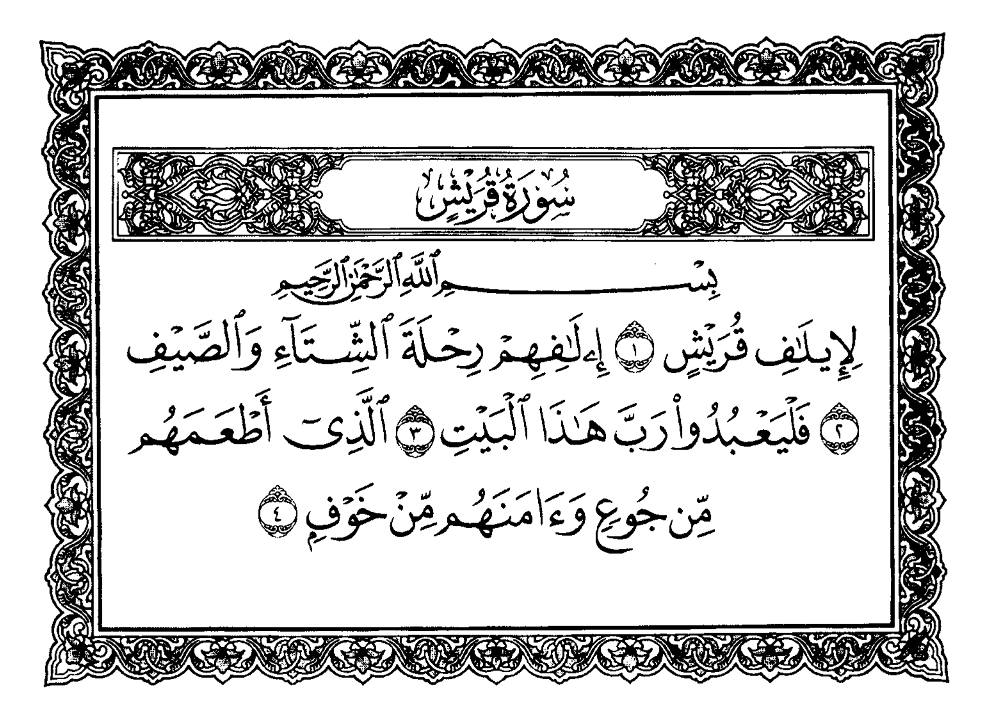
(ج) سببُ الرياء هو ضعف الإيمان واليقين بالله (عزّوجلّ) وفي القيامة، والرغبة إلى الحصول على متاع الدُّنيا، ولكن الذي لا يرجو في حياته إلاّ الحصول على طاعة الله ورضوانه لا تتغيّر صلاته سواء كان أمام الآخرين أو في خلوة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[٢].

---

(١) الزلزلة: ٧ ـ ٨.

(٢) الكهف: ١١٠.

سورة قريش



فضلها:

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أكثر من قرائة (لايلاف قريش) بعثه الله يوم القيامة على مركب من مراكب الجنة حتى يقعد على موائد النور».

مفردات السورة:

الإيلاف: نقيضُ الإيحاش، وهو الاجتماع مع الالتئام ومنه الأُلفة.

قريش: هم عشيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم ولد النضر بن كنانة.

الرحلة : حال السير على الراحلة وهي الناقة القويّة على السير .

موضوع السورة:

السورة المباركة تَمُنُّ على قريش باجتماعهم وائتلافهم في الرحلتين رحلة الشتاء والصيف ، وفي السورة دعوة لهم إلى التوحيد وعبادة رَبّ البيت (سبحانه وتعالى) .



الأسئلة والأجوبة

❁ قال تعالى: ﴿لإيلافِ قُرَيْشٍ﴾.

(س) قال بعض علماء أهل السُنّة بأنّ سورتي (الفيل) و(قُريش) واحدة وهكذا الأمر بالنسبة لسورتي (الضحى) و(ألم نشرح لك) ، بينما يخالفهم علماء الشيعة في هذا الرأي بشكل قاطع ، فما هو دليل علمائنا (رضوان الله عليهم)؟

(ج) هناك رواياتٌ تقول بجواز القران أو الجمع بينهما في الركعة الواحدة من الفرائض وعدم الجواز في غير الفرائض ، وإنَ دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على جواز قرائتهما معاً في ركعة واحدة ، دون أن يحقّ لنا جعلهما سورةً واحدة ، وذلك لوجود البسملة بينهما ، التي تفصلهما بشكل كامل حيث تجعل لكلٍّ منهما إطاراً خاصّاً .

(س) ما هو الدليل على أنّ البسملة آيةٌ خاصّةٌ ذاتُ معنى يرتبط بالسورة والآيات التي تليها ، وإنّها تفصل السورة عمّا قبلها وتجعل لها استقلالاً معيّناً؟

(ج) إنّ أوضح وأقوى دليل يدلّ على أنّ البسملة آية خاصّة مرتبطةٌ بالسورة التي تليها وأنّها تختلف عن البسملات الأُخرى ، هو تكرارُها في القرآن الكريم ١١٤ مرّة ، فإذا كانت جميعها ذات معنى واحد ، لصارَ في القرآن تكرارٌ كثير ، وهذا خلاف المنطق والصحّة .

والأمر الثاني هو وجودها في وسط سورة النمل وأنّها محسوبة آية منها ، فإذا كانت آية في وسط السورة فكيف لا تكون آية في بداية السورة .

والأمر الثالث هو الروايات الكثيرة الموافقة للقرآن الكريم التي تدعونا إلى وجوب

قرائتها قبل السورة .

(س) هناك من احتجّ وقال : لمّا كانت أوّل هذه السورة ﴿لإيلاف قُرَيْش﴾ متعلّقة بالسورة المتقدّمة لها وهي سورة الفيل لوجب أن لا تكون سورةً مستقلّةً بنفسها وإنّما هي جزءٌ من السورة المتقدّمة؟

(ج) هذا الاحتجاج غير صحيح ، فالقرآن كلّه كالسورة الواحدة ، بعضه يُبيِّن بعضاً ، وبعضهُ يُفسِّر البعض الآخر(١) .

(س) ما هو الارتباط الموجود بين سورتي قُريش والفيل ، بحيث دعى البعض أن يقول إنّهما سورة واحدة؟

(ج) الارتباط يظهر من تعلّق اللام في ﴿لإيلاَف قُرَيْش﴾ التعليليّة بقوله في السورة المتقدّمة ﴿كَعَصْف مَأْكُول﴾ ، فيكون المعنى : فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمةً منّا على قريش لكي يتمّ الائتلاف والوئام بينهم ، بالإضافة إلى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف فكأنّه (عزّوجلّ) يقول نعمةٌ إلى نعمه(٢) .

۞ قال تعالى: ﴿لإيلاَف قُرَيْش * إيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ﴾.

(س) ما إعراب قوله تعالى : ﴿لإيلاَف قُرَيْش * إيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ﴾؟

(ج) (لإيلاف) جار ومجرور متعلّق بقوله «فليعبدوا» . فيكون المعنى فليعبُدُوا رَبَّ هذا البيت لاجتماعهم وائتلافهم في رحلتي الشتاء والصيف ، بعد أن كانوا متفرّقين متناحرين بعضهم يقتل الآخر(٣) .

(س) فإن قيل : إنّ الارتباط بين قوله : ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْف مَأْكُول﴾ وقوله (عزّوجلّ) : ﴿لإيلاَف قُرَيْش﴾ ضعيفٌ وحجّتهم هي أنّ الله (سبحانه وتعالى) أهلَكَ جيش إبرهة

---

(١) تفسير الفرقان : الآية .

(٢) تفسير الميزان : الآية .

(٣) المصدر نفسه .

وجعلهم كعصف مأكول وذلك لأنّهم كفروا بالله (عزّوجلّ) وأرادوا تخريب بيته الشريف، ولم يكن ذلك لأجل قريش، فما جواب هذا الاحتجاج؟

(ج) من سُنن الله (عزّوجلّ) في هذه الحياة أنّه يُعامل خلقه جميعاً برحمته الواسعة، بحيث يعطي للجميع ما يحتاجونه، دون أن يُعاقبهم على أعمالهم بشكل كامل قال (عزّوجلّ): ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾[١]، وأنّ الجزاء الكامل على الأعمال مؤخّرٌ إلى يوم القيامة، قال (سبحانه وتعالى): ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[٢]، ولكن أحياناً يُعاقب بعض الناس والأُمم ببعض العقوبات لتنبيههم أو لإراحة الآخرين منهم، ولتطهير الأرض من وجودهم المضرّ، ولهذا أهلك الله (سبحانه وتعالى) جيش إبرهة لكي يُهيىء الحياة السليمة للأجيال القادمة، وأنّه (عزّوجلّ) لم يهلك إلاّ من يستحقّ الهلاك الكامل ولم يهلك ممّن هو أقلّ درجة، فكم يوجد من الكفّار وَلَم يُهلَكُوا، لذا فإنّ ربّنا (سبحانه) يُعاقب البعض لما فيه المصلحة العامّة.

والدليل الآخر الذي يُثبت ارتباط السورتين هو أنّ الخيرات والنِّعم جاءت لمكّة بعد هلاك أصحاب الفيل[٣].

(س) لماذا تقدّمت سورة الفيل على سورة قريش؟

(ج) لابدّ من العلم أنّ بعض النِّعم والأُمور الأساسية في حياة الإنسان لا يمكن الحصول عليها وإيجادها من دون توفير مقدّماتها، فمثلاً لا يستطيع الإنسان تنمية الإيمان والهُدى في نفسه لو كان يعيش في محيط خال من الأمن والحريّة الدينيّة، لذا فدفع الخوف والظالم أوجب للنفس، وأنّه المقدّمة لحصول الإيمان لها، نقرأ في الدُّعاء: (اللّهمّ أسألك الأمن والإيمان بك والتصديق بنبيّك...)، وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ

---

(١) النحل: ٦١.

(٢) غافر: ١٧.

(٣) التفسير الكبير: الآية (مع تصرف قليل).

عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ﴾[(١)]، فلذا فكأنّ سورة الفيل هي دفع الضرر وسورة قريش جلب الخير والنفع، هذا هو سبب التقديم والتأخير والله العالم.

(س) لماذا أطلَقَ اللهُ (سبحانه وتعالى) الإيلافَ في بداية السورة المباركة وَمن ثمّ قيّدها بقوله ﴿إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ﴾ إذ جعله بدلاً عن المطلق؟

(ج) إنّ معنى قوله: ﴿لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ﴾ عامّ يجمع كلّ مؤانسة وموافقة كانت بينهم، ثمّ خصّ إيلاف الرحلتين بالذكر وذلك لأنّه أساس معاشهم ولتذكيرهم بعظمة هذه النِّعمة حيث حصلوا على الأمان الكبير بعد أن كانوا يعيشون في الخوف والاضطراب الشديدين وهم في بيوتهم[(٢)].

(س) لماذا سُمّيت قريش بهذا الاسم؟

(ج) سُئل ابنُ عبّاس بمَ سُمّيت قريش؟ قال: بدابّة في البحر تأكُل ولا تُؤْكَل، تَعلُو ولا تُعلى[(٣)]. وهذا ما حصل وما يحصل في المستقبل إذ نرى النور ظهر منها وطاف العالم وأصبح عدد الذين يتوجّهون بقلوبهم إليها أكثر من مليار مسلم، فإنّ رسول الله ﷺ الذي هو نبيّ البشرية إلى يوم القيامة منها والأئمّة عليهم السلام منها أيضاً وسيظهر منها مهدي هذه الأُمّة، وأنّه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً.

۞ قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ﴾.

(س) ما هي العبادة التي دُعيت إليها قريش؟

(ج) ١- الدخول في الإسلام، إذ كانوا يعبدون الأصنام، فخوطبوا بذلك ليتحولوا إلى عبادة الله (تبارك وتعالى) أو الدخول في الإسلام.

٢- تقديم الشكر لله (عزّوجلّ) على النعم الكثيرة التي فضّلهم بها.

٣- حجّ بيته الحرام وتقديسه ورفع الأوثان التي نصبت عليه.

---

(١) طه: ٨٠.

(٢) تفسير الميزان: الآية.

(٣) التفسير الكبير: الآية.

(س) ربّنا (سبحانه وتعالى) بيّن في هذه السورة المباركة مجموعةً من النِّعم لقريش منها الألفة بينهم ونزول الخيرات والنِّعم عليهم بعد أن كانوا يأكلون القدّ ويشربون الطرق، ومن ثمّ جعلهم في أمن كبير ومنزلة عالية بين الناس، ثمّ دعاهم لعبادته، فهل لا يتوجّه الإنسان إلى عبادة الله إلاّ بعد أخذه للنِّعم والخيرات منه؟

(ج) إنّ من الواجب على الإنسان التوجّه لعبادة الله (عزّوجلّ) وإطاعته في ما يأمر وينهى، من دون قيد وشرط، لأنّه هو الذي يستحقّ العبادة دون غيره، فهو الذي خلق السماوات والأرض وهو الذي يُدير أمرها، وغيره لا يستطيع دفع الضُرّ عن نفسه، الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام عبدوا الله (عزّوجلّ) عبادة خالصة لا لأجل ما أخذوا من ربّهم، ولكن أغلب الناس إنّما يعبدون الله (عزّوجلّ) إمّا خوفاً من عقابه وسخطه، وإمّا طمعاً في جنّته ورحمته، ربّنا (سبحانه وتعالى) يعلم حال خلقه ولهذا يعرض عليهم نعمهُ ويذكّرهم بها، وبعدها يأمرهم بعبادته، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ...﴾** (1).

۞ قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

(س) نعمُ الله (عزّوجلّ) على قريش وعلى الناس كثيرةٌ بحيث لا يمكن إحصائها **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾** (2) فلماذا يُذكّرهم بنعمتين فقط وهي إنقاذهم من الجوع والخوف ويأمرهم بعبادته لأجلهما؟

(ج) نعمُ الله (عزّوجلّ) لا تُحصى على خلقه، وأنّه (عزّوجلّ) ذكر في هذه السورة نعمتين دون غيرهما، فكأنّه (عزّوجلّ) يقول لهم اجعلوا عبادتكم شُكراً لهاتين النعمتين إن لم

---

(1) البقرة: ٢١ ـ ٢٢.

(2) إبراهيم: ٣٤.

تعبدوني لسائر النِّعم الأُخرى[١].

(س) كيف حصلت قريش على الأمان في رحلتيها إلى اليمن والشام، في وقت كانت تعيش الخوف واللا أمن في بلدها وموطن سكنها؟

(ج) ١- لمّا حدثت واقعة الفيل ونزلت الهزيمة النكراء بجيش إبرهة، شاع الأمر في الجزيرة العربية وأطرافها، لهذا أخذ الناس في الجزيرة العربية يحترمون قريشاً لمكان البيت الحرام، فلا يتعرّضون لهم بقطع طريق أو الإغارة عليهم في بلدهم، قد يكون خوفاً من نزول غضب الله (عزّوجلّ) عليهم أيضاً كما نزل على أصحاب الفيل.

٢- إنّ تلك التجارة كانت خطرة من عدة جهات، منها وجود اللصوص والوحوش المفترسة، فكانوا في كل عام يذهبون سالمين ويرجعون سالمين.

٣- إنّ القوى الكبرى في العالم يومئذ، ككسرى وقيصر، لم يتعرّضوا لهم بالشر، بالرغم من تمكنّهم على ذلك، وقلة إمكانيات الدفاع لدى قريش[٢].

(س) كيف حصلت قريش على طعامها بعد أن كانوا يعيشون في جوع وفقر؟

(ج) عندما حصلت قريش على الأمن الكامل في بلدها وخارجه، أصبح ذلك سبباً في قدرتهم على التحرّك والعمل والسعي لأجل الحصول على رزقهم، وهكذا انقطاع السلب والإغارة عليهم جعلهم يعيشون في خير وأمن من الناحية الاقتصادية، بالإضافة إلى النواحي الحياتية الأُخرى.

(س) لماذا قال (عزّوجلّ) ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ * الَّذِي﴾ ولم يقل فليعبدوا الله؟

(ج) ١- إنّما خص بالذكر لوضوحه في أذهانهم وقربه منهم.

٢- أنّهم كانوا يدركون بأنّ البيت مرتبطٌ بالله (تبارك وتعالى)[٣].

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

(٣) المصدر نفسه.

۞ قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ﴾.

(س) لماذا قال (سبحانه وتعالى): ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ﴾ دون فليشكُروا؟

(ج) لاشكّ أنّ العبادة أعمّ من الشُّكر، وليس الشكر إلاّ جزءاً من العبادة التي هي الخضوع الكامل للّه (عزّوجلّ)، كما قال: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ﴾ ولم يقل فَاشكُر[1].

(س) لماذا أمر الله (سبحانه وتعالى) قريشاً بعبادته بعد أن أنعم عليهم بالأمن والخير الكبيرين، فهل كانوا لا يعبدونه؟

(ج) لاشكّ أنّ قريشاً ما كانت تَعبد الله (عزّوجلّ) بالشكل الصالح، إذ كانت الأصنام فيهم منصوبة يعبدونها من دون الله (عزّوجلّ) لكي تقرّبهم إليه زُلفى حسب زعمهم، إفتراءً عليه إذ أنّه ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾، فالمراد من العبادة هنا هو التوحيد، فالمعنى (فليوحِّدوا ربّ هذا البيت لأنّه هو الذي حفظ البيت وهو الذي رزقهم من الطيّبات دون غيره).

(س) لماذا قال (عزّوجلّ): ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ﴾ ولم يَقُل: فليعبدوا الله؟

(ج) الإشارة إلى البيت وذلك لأجل تعظيمه، ولأجل توجيه الناس إليه[2].

(س) العبادة وجبت على الإنسان بعد أن وضعت بين يديه النِّعم الكبرى، منها الخلق والحياة والعقل والفطرة الصالحة والهداية والنِّعم الأُخرى التي لا تُعدّ ولا تُحصى، وليس تسهيل الإطعام من أصول النِّعم، وأنّه هيئ مستلزمات الحصول على الرزق والطعام فلماذا علّل في السورة وجوب العبادة بالإطعام؟

(ج) أنّه (سبحانه وتعالى) أعطى العبد أصول النِّعم ولكن مع ذلك أساء، ثمّ إنّه أطعمهم مع إسائتهم هذه، فكأنّه (عزّوجلّ) يقول: إذا لم تستح من أصول النِّعم ألا تستحي من إحساني

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

إليك بعد إسائتك، وأنّ البهيمة تُطيع من يعلفها وليس الإنسان أقلّ من البهيمة[١].

(س) أليس الله (سبحانه وتعالى) جعل الدُّنيا مُلكاً لنا بقوله: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾[٢] فكيف تصحُّ منه المنَّة علينا بإعطائنا ملكنا، والطعام الموجود على الأرض هو جزءٌ من مُلكنا الذي جعله لنا؟

(ج) إذا نظر الإنسان إلى الأشياء التي لابدّ منها قبل تهيئة الطعام، التي منها العناصر الأربعة (الماء والهواء والشمس والتربة)، بالإضافة إلى الأفلاك والكواكب والهداية العامّة الموجودة في جميع المخلوقات، بالإضافة إلى الأمر الإلهي والمشيئة الإلهية، وهكذا إذا فكّر الإنسان في الأعضاء التي جعلها الله (سبحانه وتعالى) في بدن الإنسان وذلك لاستقبال الطعام وتحويله من حال إلى حال، فبعد النظر إلى هذه الأُمور، يعرف الإنسان أنّ عليه التوجّه الخالص لله (عزّوجلّ) وعبادته وحده لا شريك له، لأنّه هو الذي هيئ الأسباب لأجل الحصول على الطعام.

(س) هل في الآية نوع من المنّة على الإنسان، والمنّة لا تصحّ على الكريم فكيف بأكرم الأكرمين؟

(ج) الشيء الوحيد الذي يَمُنُّ الله (عزّوجلّ) به على عباده هو إرساله للرسول محمّد ﷺ للناس بقوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[٣] وهذه المنّة لصالح الإنسان نفسه ولا يُريد الله (عزّوجلّ) منها إلاّ خَيرهُ وصلاحه، وأنّه لم يمُنّ على خلقه بشيء آخر أبداً، وإذا ظهر في كلامه (عزّوجلّ) شيءٌ من التفضّل والمنّة، فليس الغرض منه المنَّة عليهم، بل لأجل إرشادهم إلى الطريق المستقيم وحثّهم على الطاعة بعد الأكل وليس المقصود من الأكل والطعام التوجّه إلى المعصية والانحراف عن الهداية والصراط المستقيم[٤].

---

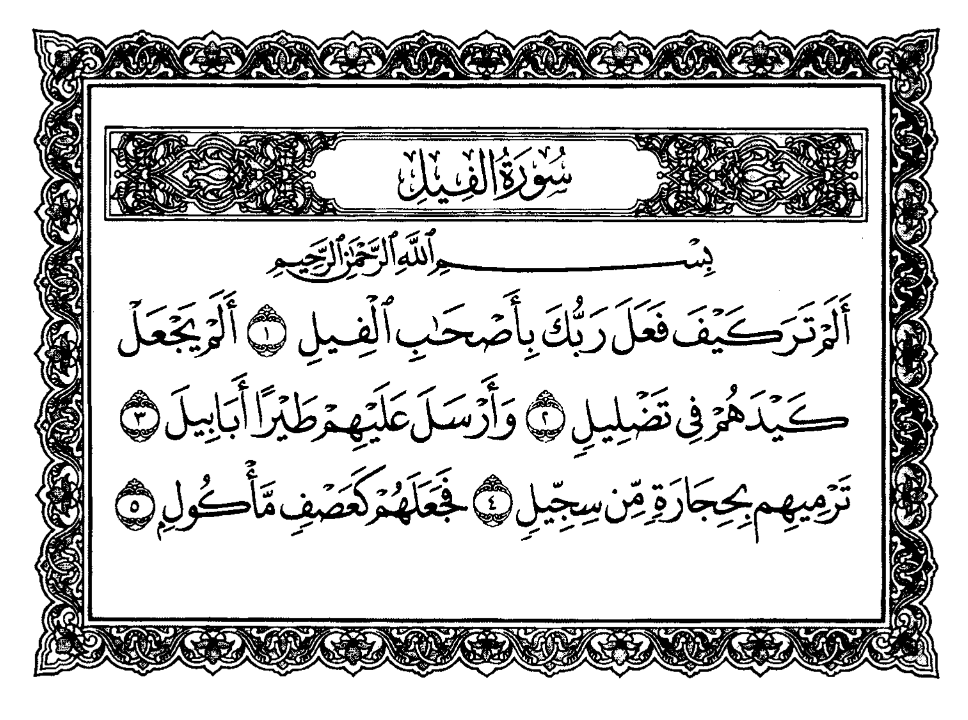
(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) البقرة: ٢٩.

(٣) آل عمران: ١٦٣.

(٤) التفسير الكبير: الآية (مع تصرف).

سُورَةُ الفِيلِ



فضلها:

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ في فرائضه «ألم تر كيف فعل ربك» شهد له يوم القيامة كل سهل وجبل ومدر بأنه كان من المصلين، وينادى له يوم القيامة مناد صدقتم على عبدي، قبلت شهادتكم له، وعليه ادخلوه الجنة ولا تحاسبوه، فإنه ممن أحبه الله وأحب عمله.

المفردات:

الرؤية في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: هو العلم الظاهر كظهور الحسّ.

الكيد: نوع من الاحتيال قد يكون مذموماً وقد يكون ممدوحاً ويستعمل في المذموم أكثر ﴿أَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[1]، ويهدي كيد المؤمنين إلى النجاح كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾[2]، ﴿وكَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾[3].

التضليل: أي جعل سعيهم ضالا وضائعاً لا يهتدي إلى الغاية المقصودة.

الأبابيل: الجماعة التي في تفرقة، يُقال: جاءت الخيل أبابيل أي من هنا وهناك.

السجِّيل: عن ابن عبّاس (السنك وكل) أي الحجارة المصنوعة من الحَجَر والطين.

العصف: ورق الزرع الذي يبقى على الأرض بعد الحصاد وتعصفه الرياح وقيل: هو التبن.

موضوع السورة:

السورة تتحدّث عن قصّة أصحاب الفيل الذين قصدوا هَدم الكعبة الشريفة ولكنّ الله (سبحانه وتعالى) حفظ بيته والذي حوله عندما أرسل عليهم طيراً أبابيل، رمتهم بحجارة من سجِّيل، فجعلتهم كعصف مأكول، وكانت هذه الواقعة والتي هي من آيات الله الكبرى، في السنة التي وُلدَ فيها النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، وفي السورة تعظيمٌ وتطمينٌ للنبيّ صلى الله عليه وآله، واستفهام إنكاري على الكفّار والجاحدين.



الأسئلة والأجوبة

۞ **قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾.**

(س) ما المراد بالرؤية في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾؟

---

(١) يوسف: ٥٢.

(٢) الأنبياء: ٥٧.

(٣) يوسف: ٧٦.

(ج) ١ - هو العلم الظاهر ظهور الحس، فيكون المعنى: ألم تعلم علماً قريباً من الإحساس، فكأنّه مشاهد للحادثة وإن لم يكن كذلك فعلاً.

٢ - أنّ المخاطب غير النبي ﷺ من باب إياك أعني واسمعي يا جارة، لأنّ الفاصل بين الحادثة وبين نزول القرآن أربعون سنة، والمخاطَبون هم كثيرٌ من كبار السن الموجودين في ذلك المجتمع ممّن شاهدها فعلاً[1].

(س) كلمة تَرَ في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ فعل مضارع يدلّ على الاستمرار في الحال والمستقبل، هل رأى النبيّ ﷺ الحادثة، كما تصوّره السورة، بينما ينقل التأريخ أنّ الحادثة وقعت في سنة ولادته المباركة؟

(ج) المراد من الرؤية هنا هو العلم الذي حصل للنبيّ ﷺ بسبب تواتر الخبر وشياعه بشكل كبير، حتّى صار هذا العلم مساوياً للرؤية الحالية، فكما أنّ النظر وسيلة للمعرفة والعلم لدى الإنسان فكذلك السمع والتفكّر يؤدّيان إلى العلم أيضاً. ولهذا السبب قال (عزّوجلّ) للجاحدين على سبيل الذمّ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[2] فالذي يمكن إدراكه ذهنياً يجوز استعمال الرؤية فيه.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ﴾ ولم يَقُل: خلق ولا جعل ولا عمل؟

(ج) كلمة خلق تستعمل لابتداء الفعل وجعل لتغيّر الكيفيّات وأنّها تأتي بعد الخلق، وكلمة عمل تستعمل لبعد الطلب، بينما كلمة الفعل عامّة تجمع الأفعال الثلاثة، فهو (سبحانه وتعالى) خلق الطيور التي كان لها خراطيم كخراطيم الفيل كما قيل وأكفّ كأكفّ الكلاب، وأنّه (عزّوجلّ) جعل طبع الفيل على خلاف ما كانت عليه، إذ رفضت سماع كلامهم والتوجّه نحو الكعبة الشريفة، وأنّه سألوه أن يحفظ البيت فعمل إذ كان فيهم من يستحقّ الإجابة، فلو ذكر الألفاظ الثلاثة في السورة لطال الكلام

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) الأنعام: ٦.

لكنّه (عزّوجلّ) ذكر لفظاً واحداً وهي كلمة (فعل) فشملتِ الكل[١].

(س) كلمة ربُّك في قوله: ﴿أَلَمْ تَـرَ كَيْـفَ فَعَـلَ رَبُّـكَ﴾ فيه نوع من التعظيم والتكريم للنبيّ ﷺ دون قريش إذ لم يقل: (فعل الله، أو ربّ قريش، أو الربّ) لكي تشمل قريشاً أيضاً، فلماذا اختصّ هذا التكريم بالنبيّ ﷺ دون قريش في حين كان النصر رحمةً لهم بالإضافة إلى النبيّ ﷺ؟

(ج) إنّ التكريم الذي حصله النبيّ ﷺ واختصّ به من دون قريش لم يأتي اعتباطاً إذ ربُّنا لا يعطي شيئاً إلاّ بعد سعي الإنسان في ذلك ﴿وَأَنْ لَـيْسَ لِلإنسَـانِ إلاَّ مَـا سَـعَى﴾[٢]، فالنبيّ محمّد ﷺ لم يُشاهد الحادثة بأُمِّ عينيه ولكنّه اعترف بها كاملاً فشكر الله (سبحانه وتعالى) على انتقامه من جيش إبرهة ومن ثمّ أطاع الله (عزّوجلّ) وعبده حقّ عبادته، بينما شاهدت قريش تلك الواقعة والحادثة الهائلة ولكنّهم مع ذلك لم يتركوا عبادة الأوثان والأصنام، إذاً لا يستحقّ التكريم والتعظيم إلاّ مَنْ أخلص دينه وقلبه لله (عزّوجلّ) وهو نبيّنا محمّد ﷺ، فقولُ (ربُّكَ) أي أنا لك ولست لهم بل عليهم إن لم يؤمنوا ويعملوا صالحاً[٣].

(س) قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّـكَ﴾ فيه نوع من الإظهار لعظمة قدرة الله وعجيب صنعه بأعداء بيته المحرّم، فهذا الأمر ليس عجيب وكبير بالنسبة إلى قدرة الله (عزّوجلّ)، فما السبب من هذا التعجّب؟

(ج) إنّ المراد من قوله هذا هو إعطاء نوع من الاطمئنان الكبير للنبيّ ﷺ بالنصر والفلاح فكأنّه (عزّوجلّ) يقول لرسوله الكريم ﷺ إنّ الملك العظيم لمّا طعن في المسجد هزمته وأفنيته، فمن طعن فيك وأنت المقصود من الكلّ ألا أفنيه وأعدمَهُ؟ إنّ هذا لعجيب وكأنّه (سبحانه وتعالى) يقول لرسوله أيضاً: إنّ الكعبة قبلةُ صلاتك وأنا حفظتها من

(١) التفسير الكبير: الآية.
(٢) النجم: ٣٩.
(٣) التفسير الكبير: الآية (مع تصرف قليل).

الأعداء، أوَلا أحفظ قلبك الذي هو قبلة معرفتك ؛ عن الآثام والمعاصي[١] .

(س) إنّ صاحب الفيل هو إبرهة الحبشي، فلماذا عبّر عن الجيش كله بأصحاب الفيل، مع إنّ صاحبه واحد؟

(ج) ١- لأنّهم أتباع إبرهة صاحب الفيل وأنّهم وافقوه كاملاً ورضوا بمشاركته في عمله المشؤوم، فلهذا فكأنّهم أصحاب الفيل أيضا.

٢- إنّ الفيل تقدم على الجيش كقائد، وإنّ إبرهة مسيرٌ من قبل الفيل، وهم مسيّرون من قبل إبرهة، فيكون المجموع مسيراً من قبل الفيل. فصحت النسبة إلى الفيل.

٣- إنّ المكيّين لو نظروا إلى الجيش المعادي لقالوا: جاء الفيل مع جيشه المواكب له وإن لم يلتفت الجيش إلى هذا الأمر، والسورة نزلت من زاوية فهم الجيش المعادي[٢] .

(س) لماذا قال (سبحانه وتعالى): ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ولم يقُل بأرباب أو مُلاّك الفيل أو أصحاب إبرهة أو بجيشه..؟

(ج) الآية فيها نوع من المهانة والتحقير لهم، إذ أنّ المصاحبة تكون من الجنس الواحد، وعندها يُقال للأدون أنّه صاحب الأعلى ولا يُقال العكس، فمثلاً نقول: أصحاب الرسول ﷺ وأصحاب الإمام علي عليه السلام، فعندما تقول الآية عن جيش إبرهة بأنّهم أصحاب الفيل فكأنّما تقول لهم بأنّكم في عمق البهيميّة وعدم الفهم والعقل، إنّ الفيلة رفضت في التوجّه إلى جهة الكعبة لهدمها بينما أنتم توجّهتم لذلك، ولذا فهي أشرف وأفضل منكم[٣] .

(س) كيف عرف فيلُ إبرهة الحبشي إنّه على مشارف البيت الحرام، ممّا دعاه أن يرفض دخولها احتراماً وتقديساً لها؟

(ج) يُقال: لمّا وجّهوا الفيل إلى مكّة، أقبل أحد المؤمنين ووقف إلى جانب الفيل وكان اسمه

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

محموداً، فقال في أُذُنه: ابرك يا محمود وارجع راشداً من حيث جئت فإنّك في بلد الله الحرام، فبرك الفيل، بعدها جاءوا إليه في ساعة الهجوم وضربوه ليقوم أبى، ضربوه بالطبر على رأسه ليقوم أبى أيضاً، ضربوه بأنواع العصي لم يُفلحوا في توجيهه نحو الكعبة، فوجّهوه راجعاً إلى اليمن، قام يهرول، وجّهوه إلى الشام، فعل ذلك، وجّهوهُ إلى المشرق فعل ذلك أيضاً[١].

۞ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾.

(س) أليس كفّار قريش ملأوا الكعبة بالأوثان منذ القديم وحتّى بعد الواقعة، ولاشكّ إنّه أقبح من تخريب جدران الكعبة، فلمَ سلّط الله (عزّوجلّ) العذاب على من قصد هدمها ولم يسلّط العذاب على من ملأها بالأوثان؟

(ج) إنّ وضع الأوثان على الكعبة وحولها تعدّي على حقّ الخالق، بينما تخريبها تعدٍّ على حقّ المخلوق، وجود البيت نعمة كبيرة لجميع الساكنين حولها، نظير هذه المسألة المسلم القاتل والسارق إذ يقتصّ منهما ويُقتلون مع أنّهم مسلمون، بينما لايُقتل الكافر الذي لا يتعدّى على الآخرين، بل يدعونا القرآن الكريم إلى الإحسان إليه، قال (عزّوجلّ): ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٢] [٣].

(س) لماذا سَمّى القرآن الكريم عملهم وسعيهم بالكيد بقوله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ والكيد هو نوعٌ من الحيلة والمكر أو قصد السوء للغير بصورة مخفيّة، بينما كان قصدهم ظاهراً وهو هدم الكعبة الشريفة وأنّهم صرّحوا بذلك مراراً؟

(ج) الذي كان في قلوب جيش إبرهة هو شرّ ممّا أظهروا إذ كانوا يقصدون صرف الناس عن بيت الله الحقيقي إلى بيت اللهو والزور الذي بناه إبرهة وهي الكنيسة والديانة المسيحيّة

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الممتحنة: ٨.

(٣) التفسير الكبير: الآية.

المحرّفة، فلذا كانوا يقصدون سوءاً كبيراً على المؤمنين والعرب الساكين في مكّة وأطرافها(١).

(س) قال البعض: إنّ الحجّاج (لعنه الله) هدم الكعبة دون أن ينتقم الله (عزّوجلّ) منه بصورة عاجلة، بينما انتقم من أصحاب الفيل عندما أرادوا هدمها، إذ جعلهم كعصف مأكول قبل أن تصل أيديهم إليها؟

(ج) عملُ الحجّاج جاء بعد قدوم النبيّ ﷺ وتثبيت أمره، فلهذا مهما حاول الحجّاج وأمثاله في هدم الكعبة وقتل المؤمنين فهم لا يقدرون على إطفاء نور الله (عزّوجلّ)، الذي جاء إلى الوجود وتَلَقَّتْهُ النفوس الطاهرة وثبت في قلوبها، بينما نزل الانتقام الإلهي على جيش إبرهة لكي يكون تثبيتاً وتهيئةً لأمر النبيّ ﷺ، فالتوطئة والتمهيد يحتاج إليها الرسول ﷺ قبل قدومه، وأمّا بعد تثبيت أمره، فلا حاجة إلى شيء من ذلك؛ لأنّ الله (عزّوجلّ) تعهّد بحفظ ونصر الحقّ، قال (عزّوجلّ) في كتابه العظيم: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾(٢)، وقال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٣).

۞ قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ﴾.

(س) كيف أبطل الله سبحانه سعيهم وكيدهم، وكيف حلّت بهم الهزيمة النكراء؟

(ج) ١ - أبطلَ الله (سبحانه وتعالى) كيدهم وجعله ضالا تائهاً دون أن يصل إلى الهدف المرسوم بعد أن أرسل عليهم طيراً بصورة منتشرة تحمل الحجارة بخرطومها وأرجلها، فما ترمي شخصاً من جيش إبرهة حتّى تجعله كعصف مأكول.

٢- جعل تخطيطهم قاصراً إذ لم يحسبوا كل الاحتمالات أو أنّ قائدهم إبرهة لم يتعظ ولم يحترز من قول عبد المطلب عليه السلام عندما قال له: للبيت ربٌّ يحميه، وإنّ الجيش لا شكّ

(١) المصدر نفسه.

(٢) غافر: ٥١.

(٣) الحجر: ٩.

سمع هذا الكلام ولكنهم لم يحترزوا من ذلك[١].

(س) لماذا تكرر الاستفهام في الآيتين المباركتين. إذ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾، وكان من الممكن أن يأتي باستفهام واحد؟

(ج) لأجل التركيز على هدف السورة، وتكرار الاستفهام من الجوانب البلاغية المهمة[٢].

(س) كيف جاءت كلمة (طيراً) بصورة مفردة، وأبابيل جمع، مع أنّ الواجب أن يكونا بصيغة واحدة؟

(ج) إنّ (طيراً) اسم جنس بمنزلة الجمع بل هو أشمل على الجمع من طيور لأنّ الأخيرة محدد بالكثرة والقلة، واسم الجنس يصدق على العدد اللاّمتناهي.

❁ قال تعالى: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾.

(س) لماذا قال تعالى ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ولم يقل يرمونهم..؟

(ج) ١- إنّ الجمع بمنزلة المؤنث في الذوق العربي. لذا يتعين التأنيث.

٢- إنّ الطيور ليست عاقلة، ويرمونهم تستخدم للذي يعقل[٣].

(س) كيف يمكن لهذه الحيوانات الغير مدركة، أن تهلك جيشاً جراراً؟

(ج) ١- إنّ العمل الذي جاء من هذه الطيور لا يمكن أن يأتي به أيّ طير من الطيور المعروفة، لذا فإنّها ليست من الطيور العادية، بل لعلّه خلق آخر ظهر على شكل طير أبابيل، كأن تكون جنّاً أو ملائكة إذ كانت في منتهى الدقة في إنجاز المهمة الملقى على عاتقها.

٢- إنّ الطيور موجهة ومسدّدة بتسديد إلهي وذلك لحفظ بيت الله الحرام الذي جعله قياماً للناس وأمناً وهدىً، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً

---

(١) تفسير منة المنان.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾[١].

(س) لماذا جاءت كلمة (طيراً) بصورة النكرة؟

(ج) جاءت بصورة نكرة وذلك لتعظيم أمرها، إذ مهما كانت صغيرة الحجم، لكنّها عظيمة العمل والفعل، حيث كانت ترمي الأعداء بأحجار صغيرة دون أن تُخطئهم.

(س) ما صفة تلك الطيور؟

(ج) روى ابن سيرين عن ابن عبّاس (رضوان الله عليه) قال: كانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الفيل وأكُفّ كأكفّ الكلاب، وروي عنه قال: طير سود جاءت من قِبل البحر فوجاً فوجاً، وعن سعيد بن جبير(رحمه الله): أنّها بيضٌ صغار، وقيل: كانت خُضراً ولها رؤوس مثل رؤوس السباع، أقول: لمّا كانت أفواجاً، فلعلّ كلّ فوج منها كان على شكل مختلف، فكلّ راوي وصف ما رأى[٢].

(س) كيف كانت عملية الرمي؟

(ج) كان كلّ طائر يحمل ثلاثة أحجار، حَجَرة في منقاره وحجرتين في رجليه يقتل بكلّ حجرة رجلاً، مكتوبٌ على كلّ حجر اسم صاحبه، وما وقع حجرٌ على موضع إلاّ وخَرَجَ من الجانب الآخر، وإذا وقع على رأس إنسان خَرَجَ من دُبُره، وكانت أصغر الأحجار مثل العدسة وأكبرها مثل الحمّصة[٣].

(س) هناك من أنكر هذا وقال: كيف يمكن لمثل هذه الأحجار الصغيرة أن يكون لها ثقلٌ قويٌّ بحيث إذا وقعت على رأس الإنسان خرجت من أسفله، وكيف كانت لا تُخطئ صاحبها إلى غيره؟

(ج) كانت قذائف قويّة في إصابتها بالرغم من صغرها ولا تخطئ العدوّ إلى المؤمن، لأنّها كانت بأمر الله وبعينه، على خلاف القذائف البشرية الهادرة التي تُحرق الأخضر

---

(١) آل عمران: ٩٦ ـ ٩٧.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

(٣) المصدر نفسه.

واليابس والتي تُصيب في وقوعها أقواماً أبرياء لا ذنب لهم ولا خطيئة[١].

(س) ما طبيعة الحجارة التي أرسلت على جيش أبرهة الحبشي؟

(ج) إنّ طبيعة الحجارة التي أُسقطت على أصحاب الفيل كانت من السجِّيل وهي المعرّبة عن (سنك وكلّ الفارسية) أي المتكوِّنة من الحجر والطين، هذا ما روي عن ابن عبّاس (رضوان الله عليه) وكما يذكره القرآن الكريم أيضاً قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾[٢]، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾[٣].[٤]

وتسمّى بالحجارة حين نزولها على المقصودين من شياطين الإنس ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٥]، وكما ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾[٦]، هذه الحجارة السماويّة المُهلكة نزلت على النعمان بن الحارث الفهري بطلب منه وذلك بعدما سمع من الرسول الأعظم ﷺ ولاية الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (سلام الله عليه) وأنّه هو الخليفة على المسلمين من بعده بأمر من الله (عزّوجل)..

❁ قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾.

(س) ما هو المراد من قوله (عزّوجلّ): ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾؟

(ج) أي أنّهم أصبحوا بعد رمي السجِّيل عليهم أجساداً بلا أرواح، إذ أحرق الحجر أجوافهم

---

(١) تفسير الفرقان: الآية.

(٢) الذاريات: ٣٢ ـ ٣٤.

(٣) هود: ٨٣.

(٤) تفسير الميزان: الآية.

(٥) الأنفال: ٣٢.

(٦) المعارج: ١ ـ ٣.

لشدّة حرارته، حتّى أصبحوا كورق الزرع الذي يبقى على الأرض بعد الحصاد، وقد أكلته البهائم وخرج منها[١].

(س) ما هي الامتيازات التي يمتلكها الفيل بحيث جعلتهم يستخدمونه في حربهم الباطلة هذه دون غيره من الحيوانات التي تُستخدم في الحروب والمعارك أيضاً؟

(ج) يمتاز الفيل عن غيره من الحيوانات ؛ بأنّه قادرٌ على أن يحمل على ظهره من ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف رطل، وعلى خرطومه ألف رطل، ويجرّ ما لا تقدر جرّه ستّةُ أفراس، ويسير في اليوم مائة ميل، بالإضافة إلى أنّ الفيل حيوانٌ سليم الطبع مؤالف ومؤانس، وليس من طبعه الأذى ويستعمل قوّته للدفاع عن نفسه عند التعرّض لاعتداء خارجيّ. ولهذا السبب استخدموا الفيل في هدفهم المشؤوم هذا، ولكنّهم لم يصلوا إلى ما أرادوا، إذ امتنع الفيل من إطاعتهم عندما عرف نواياهم الخبيثة، فبرك على أطراف مكّة المكرّمة دون أن يدخلها، بينما قام من مكانه وأخذ يهرول عندما وجّه إلى غير جهة الكعبة!![٢]

(س) ما هي الدروس التي يمكن استفادتها من هذه السورة المباركة؟

(ج) ١- ينزل الغضب والانتقام الإلهي في الوقت المناسب الذي فيه مصلحةٌ عامّة.

٢- يفقد الإنسان قيمته عندما يُضيعُ عقله ويتبع شهواته.

٣- في كثير من الأوقات تكون البهائم والحيوانات أفضل من الإنسان.

٤- لا يقوم الكفّار بخطوة إلاّ وهناك نوايا خبيثة في صدورهم. قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[٣].

٥- لا تصحّ الاستهانة بشيء من مخلوقات الله (عزّوجلّ) لعلّها تكون هي السبب في هلاك الإنسان.

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) تفسير الفرقان: للشيخ محمد الصادقي، الآية.

(٣) آل عمران: ١١٨.

(س) لماذا الحجارة من سجِّيل دون شيء آخر؟

(ج) إنّه هو النافع والمفيد لإهلاك الظَلَمة وجعلهم كعصف مأكول، ولعلّ غيره لا يجعلهم كذلك.

(س) هل خُلقت الطيور بصورة خاصّة لهذه الحادثة وما هو الدليل؟

(ج) الروايات الواردة تشير إلى أنّ الطيور كانت بمواصفات مختلفة، ومن المحتمل أنّها خُلقت بصورة مخصوصة لهذه الواقعة، كما أنّه (عزّ وجلّ) خلق من العصا حيّة في معجزة موسى (على نبيّنا وآله وعليه السلام) وكما أخرج لصالح ناقة كبيرة من وسط جبل تشرب جميع ماء القرية في يوم واحد[١].

(س) لماذا جاءت الطيور بصورة أبابيل؟

(ج) تُشير هذه الكلمة إلى أنّ عدد الجيش وعُدّته كان كثيراً، فلابدّ أن تكون الطيور منتظمة ومنتشرة لإهلاكهم جميعاً، لذا جاءت أبابيل أي بصورة موزّعة ومنسَّقة[٢].

(س) لماذا قال (عزّوجلّ): ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ ولم يقل فجعلتهم نسبةً إلى الأبابيل؟

(ج) ١- إنّ الأفعال الموجودة في السورة المباركة كلها تعود لله (تبارك وتعالى)، إلاّ فعل (ترميهم) فإنّه يعود إلى الأبابيل، لأنّ الله (تعالى) هو الأوّل والآخير في القضاء على أعداء بيته المعظم وإنّه السبب في خلق الأبابيل وإرسالهم لهذه المهمة الكبرى، لهذا السبب قالت الآية (فجعلهم) نسبة إلى الله ولم يقل غير ذلك؟

٢- القرآن الكريم نسب الكثير من الأسباب الطبيعية إلى الله (تبارك وتعالى)، قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[٣]، وقال: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ

---

(١) منة المنان: الآية.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) القمر: ١٣.

﴿فَأَنْجَيْناكُمْ وأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[١]، وقال: ﴿وَقَوْمَ نُوح لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ﴾[٢]، وقال: ﴿أَ فَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[٣].

٣- إنّه كان بالإمكان أن ينسب جميع الأفعال إليه (تعالى) ولكنه اختار ما هو الطف بلاغياً وعرفانياً[٤].

(س) من أين أتت الطيور بالسجيل؟

(ج) ١- القرآن الكريم يذكر بأنّ السجيل أرسل على أقوام ظالمين منهم قوم لوط عليه السلام، قال (عزّوجل): ﴿.. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيل مَنْضُود * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيد﴾[٥]، فلعل السجيل جاء من المخزون الذي عند الله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْء إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَر مَعْلُوم﴾[٦].

٢- ولعله جاءت به الطيور من الأحجار المتساقطة من الكواكب عند وصولها إلى الأرض تسمى أحجاراً ولو احترقت في السماء تسمى شهباً ونيازك نارية[٧].

٣- قيل إنّ الحجارة من نفس جهنم أخذتها الطيور ورمت بها جيش إبرهة، هذا على الافتراض أنّها لم تكن طيراً بل خلقاً آخر على صورة الطير، وعلى القول بأنّ جهنم موجودةٌ ومخلوقة[٨].

(س) كيف يتمكن الطير الصغير أن يُرسل حجراً يضرب الناس حتى يجعلهم كعصف

---

(١) البقرة: ٥٠.

(٢) الفرقان: ٣٧.

(٣) الواقعة: ٦٣ ـ ٦٤.

(٤) منة المنان: الآية.

(٥) هود: ٨٢ ـ ٨٣.

(٦) الحجر: ٢١.

(٧) تفسير الفرقان: الآية

(٨) منة المنان: الآية.

مأكول؟

(ج) ١- يتمكن ذلك بواسطة الإرادة الإلهية، بأن يجعل الله (تبارك وتعالى) السرعة الشديدة في الطائر والحجر، كأن يجعل سرعة الحجر كسرعة الضوء، بحيث تدخل جسم الأعداء وتخرج من الجانب الآخر.

٢- وجود الحرارة العالية جداً في الحجارة باعتبارها من (سجّين)، لهذا لا تنطفئ حتى تخرق الجسد وتنهي صاحبه كاملاً.

٣- أن تكون الأحجار مسددة بتسديد إلهي بحيث لا تخطئ في إصابتها لهدفها المرسوم لها[١].

(س) لماذا قال (تبارك وتعالى): ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ ولم يقل: فجعلهم عصفاً مأكولاً؟

(ج) إنّه لم يقل: فجعلهم عصفاً مأكولاً لوجهين:

١- إنّه (تعالى) لم يجعلهم كذلك بنحو الحقيقة. بل جعلهم كعصف مأكول، أي مثل العصف المأكول، والجثث المتناثرة لجيش إبرهة ليست تبناً وقد أكلته البهائم بل تشبهه.

٢- إنّه قال: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ وذلك لحفظ النسق ووحدة السياق اللفظي وهو مقتضى الحكمة والفصاحة[٢].

(س) قال البعض: كيف يصح نزول وحدوث مثل هذه المعجزة العظيمة في زمن لم يكن فيه نبي، وهذه من المعجزات العظام التي يجب أن تكون في زمن نبي ما لأجل إثبات رسالته؟

(ج) ١- لا يمتنع أن يكون هذا الأمر ظهر على بعضهم. كما روي أنّه ﷺ قال في خالد بن سنان: ذلك نبي ضيّعه قومه، وقال في قيس بن ساعدة: إنّه يُبعث يوم القيامة أمّة واحدة لقلة من قبل عنه، وفي قوله تبارك وتعالى في سورة القصص: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

﴿لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[١]، تشير إلى أنّ الحجج الإلهية لم تنقطع عن البشر في زمن من الأزمنة.

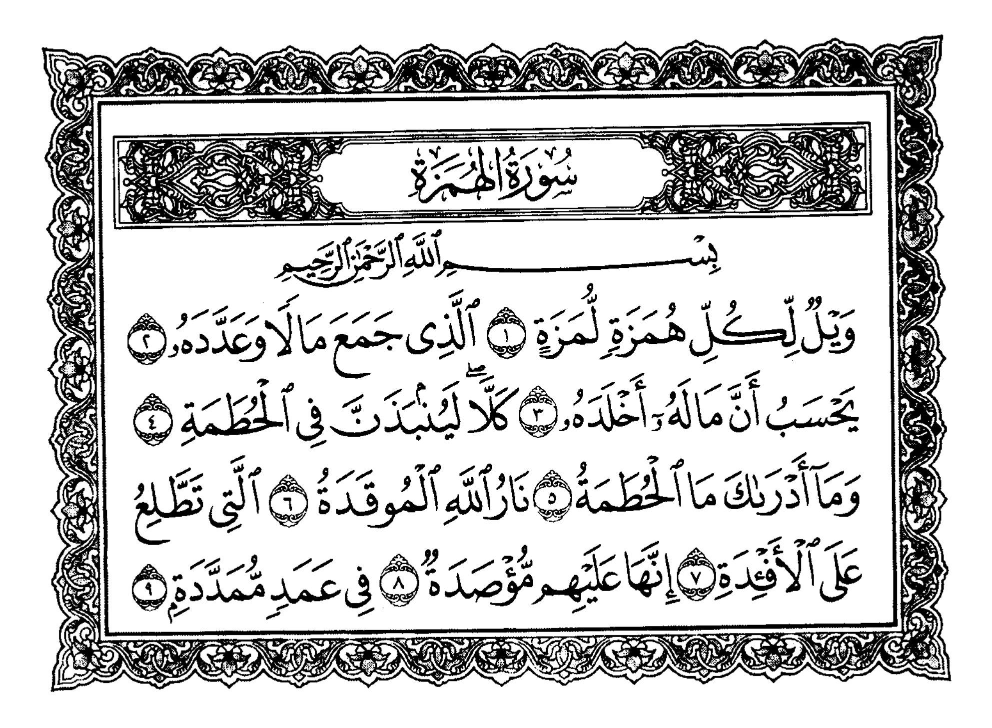
٢- ليس من الواجب والمتيقّن حتماً أن يكون هناك نبي لنزول معجزة من الله (تعالى)، إنّ العامل الأساسي لنزول المعاجز الإلهية هو نصرة الحق وهو الذي حصل فعلاً، انتصاراً للبيت الحرام والكعبة المشرّفة[٢].

---

(١) القصص: ٥١.

(٢) منة المنان: الآية.

سورة الهمزة



فضلها:

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ (ويل لكل همزة لمزة..) في فرائضه، بَعّدَ الله عنه الفقر، وجلب عليه الرزق ويدفع عنه ميته السوء.

المفردات:

الويل[1]: لفظةٌ تُقال في مواقف التقبيح والتأوّه والغضب، وهي كلمة كلّ مكروب

(١) وأصله وي لفلان، ثمّ كثرت في كلامهم فوصلت باللاّم.

يتولولُ فيدعو بالويل، ومن قال إنّ (ويل) واد في جهنّم لا يقصد أنّه كذلك لغويّاً وإنّما هو المصير الأخير لمن هو في حقّه بالإضافة إلى الويلات التي يجدها قبل وصوله إلى الويل الأخير.

الهُمَزة واللُمَزَة: صيغتا مبالغة تدلاّن على الكثرة، وهما على وزن فعله بناء المبالغة في صفة من يكثر منه الفعل ويصيرُ عادةً له، كقولنا: رجلٌ ضحكة أي كثير الضحك، ومعناهما هو كثرة الطعن والهزء على الغير بغير حقّ أي بما ليس هو بعيب، والفرقُ بينهما هو أنّ الهمز في الغيبة، واللمز في الحضور.

عدّده: من العدّ أي الإحصاء.

النبذ: القذف والطرح وتدلّ على الإهانة.

الحُطمة: مبالغة من الحطم وهو الكسر وهي من أسماء جهنّم، وقيل: إنّها الدركة الثانية من دركات جهنّم.

تطّلع: تشرف.

الأفئدة: القلوب.

مؤصدة: مطبقة لا مخرج لهم منها ولا منجا.

العمد: جمع عمود.

ممدّدة: مبالغةٌ في المدّ، وقيل: هي أوتاد الأطباق التي تُطبَقُ على أهل النار.

موضوع السورة:

موضوع السورة وعيدٌ شديد للمغرمين بجميع المال، المستَعْلِينَ به على الناس والمستكبرين عليهم، فيأذونهم ويعيبونهم بما ليس هو بعيب.



الأسئلة والأجوبة

۞ قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَة لُمَزَة﴾.

(س) استُخدمت لفظة الويل في القرآن الكريم في الذنوب الكبيرة منها التكذيب بيوم القيامة

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[١]، واستُخدمت للذين يُحرِّفون الكتاب ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[٢]، وفي الذين نَسُوا الله (عزّوجلّ) ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[٣]، واستُخدمت في الأعمال الشنيعة ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[٤]، فلماذا استُخدمت هذه الكلمة الشديدة في الهماز واللماز، فهل هما من الأعمال الشنيعة كالكفر بالله وباليوم الآخر؟

(ج) الطعنُ في المؤمن أمرٌ عظيم عند الله (سبحانه وتعالى) فكيف إذا كان المؤمن هو رسول الله ﷺ أو أهل بيته الأطهار عليهم السلام أو ذراريهم أو لا يكون عظيم وكبير عنده، والأحاديث القدسية تقول: بأنّ المؤمن أشرف عند الله من الكعبة، قال (عزّ وجلّ)[٥]: «ما وسعتني أرضي ولا سماواتي ولكن وسِعَني قلب عبدي المؤمن»، إذاً جريمة الطعن في المؤمن كجريمة التكذيب بيوم القيامة.

(س) السورة تحملُ حالة التقبيح والتهديد لمن يحملُ صفَة الهمز واللمز على المؤمنين، فهل كان الرسول ﷺ والمؤمنون يتعرّضون لمثل هذه الحالات، بحيث جعلتهم يحتاجون إلى نزول هذه السورة المباركة؟

(ج) السورة تُوحي بأنّ الرسول ﷺ والمؤمنين كانوا يواجهون هذه الحالة السيّئة من بعض المشركين، وقيل: إنّ الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبيّ ﷺ من وراءه ويَطعنَهُ في وجهه، فلهذا جاء الردُّ بصورة الردع الشديد والتهديد الثابت، وأنّه عامّ على طول التأريخ لكلّ من يحمل هذه الصفات الرذيلة[٦].

(س) لماذا جاءت الهمزة واللمزة بصيغة الجمع مع أنّهما لا يعودان إلى مؤنث؟

---

(١) الطور: ١١.
(٢) البقرة: ٧٩.
(٣) الزمر: ٢٢.
(٤) المطففين: ١.
(٥) حديث قدسي.
(٦) تفسير الفرقان: الآية.

(ج) بما أنّهما صيغتا مبالغة تدلاّن على الكثرة والجمع، لذا ناسبهما علامة التأنيث باعتبار أنّ الجمع مناسب للتأنيث في اللغة العربية[١].

(س) ما هي الحاجة إلى الجمع بين الهمزة واللمزة؟ ولماذا لم يكتف بواحدة منهما؟
(ج) إنّهما ليسا بمعنى واحد، بل لكل منهما معناه المستقل. لهذا جاءتا في السورة المباركة[٢].

(س) كيف تحصل حالة الهمز واللمز؟
(ج) إنّه على قسمين؛ إمّا أن يكون بالجدّ وذلك عند الحقد والحسد، وإمّا يكون بالهزل وذلك عند السخرية والإضحاك، فالهمّاز هو الذي يَغتابُ الناس أي يتكلّم بما يسيئهم سواء كان فيهم أو لَم يكُن، وأمّا اللُمَزة هو العيّاب والساخر في الوجه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إذا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤] فاللمز تارةً يكون بالعين وتارةً بإشارة من الرأس وتارةً باليد وأُخرى بالمشي والجلوس وغير ذلك من الحركات التي يُظهرها الطاعنُون لأجل إنقاص شأن الآخرين[٥].

۞ قال تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾.

(س) مَن هو الهامز واللاّمز، ومَنْ هو المهموز والملموز؟
(ج) الهامز هو ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾[٦] والمَهمُوزون

(١) منة المنان: الآية.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) التوبة: ٥٨.
(٤) التوبة: ٧٩.
(٥) منة المنان: الآية.
(٦) الهمزة: ٢ ـ ٣.

الملموزون هم الفقراء الذين لم يجمعوا ما جمع الهمّازون واللمّازون ولم يحسبوا كما حسبوا، ولا يهمزون الذين هم على أمثالهم بهذه الطريقة الهوجاء، بل يظنّونهم أنّهم على خير، كما يظنّون بأنفسهم ذلك، وكأنّهم يقولون لأولئك الظّلَمة: ﴿لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ. إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. [2]

(س) هل الذي يجمع مالاً كثيراً ولكنه لا يعدده هو ناج من الذم والوعد بالعذاب؟

(ج) لا شكّ الذي لا يهتم بما جمع ولا يفكر بمقداره وعدده، ومن جانب آخر يتفاعل مع ماله بالشكل الكامل والمطلوب في الأخذ والعطاء وينفق كما أمر الله (تعالى) فإنّه بعيد عن البحث في عيوب الآخرين، ومن ثم فهو ليس من المقصودين الذين تقصدهم الآية المباركة.

(س) إنّ الكثير من الأموال غير قابلة للعد وأصاحبها على الأغلب طغاة مستكبرون فهل لا تشملهم الآية المباركة ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾؟

(ج) العدّ إما يكون فعلي وخارجي، وإما يكون ذهني وفكري، لأنّ المال لا ينحصر بالدينار والدرهم أو بعدد الأغنام والأبقار، فتارة تكون الأموال بصورة أراض واسعة منتشرة في مختلف بقاع الأرض، وتارة تكون الأموال عمارات سكنية وأراضي زراعية واسعة ومتعددة، وتارة تكون الأموال مصانع وشركات إنتاجية ضخمة، والتي لا يمكن معرفة أرباحها إلاّ من خلال المحاسبين المختصين. لذا فالويل يشمل هؤلاء الطغاة الذين يجمعون ويكدسون الأموال الكثيرة في البنوك ويمنعونها عن الفقراء والمحتاجين[3].

۞ **قال تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾.**

(س) هل قوله (تبارك وتعالى): ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ مختص بالكفار أم يمكن أن تشمل المسلمين أيضاً؟

---

(١) الشعراء: ٥٠ ـ ٥١.

(٢) تفسير الميزان: الآية (مع تصرف قليل).

(٣) تفسير الفرقان: الآية.

(ج) يمكن للآية المباركة أن تشمل المسلمين والكفار وذلك للأسباب التالية :

١ - الغفلة عن الموت ويزداد مع ازدياد المال والإمكانيات الدنيوية ، وهذا يحصل للكفار والمسلمين .

قال الإمام الصادق عليه السلام : «لم يخلق الله (عزّوجلّ) يقيناً لا شكّ فيه أشبه بشكّ لا يقين فيه من الموت» .

٢ - الجميع يحسبُ أنّ المال يطيل في عمر الإنسان كما يقال بالتداوي والتقوّي بالأطعمة والأشربة .

٣ - الجميع يحسب أنّ المال يكون سبباً في خلود ذكر الإنسان بعد موته كبناء مؤسسة أو تأليف كتاب أو بناء جسر أو غير ذلك[1] .

إذن فالآية لا تختص بالكفار بل تشمل المسلمين أيضاً .

(س) ما هو السبب الذي يدفع البعض إلى الطعن بالآخرين والانتقاص من شأنهم في الغيب والحضر؟

(ج) السورة المباركة بيّنت سبب ذلك ، قال (عزّوجلّ) : ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ جمع الأموال الطائلة ثمّ الإعجاب بها والظنّ بأنّ الفضل والخير كلّه فيها ، ومن ليس له مال لا فضل له ولا كرامة ، هو الذي دفع هؤلاء إلى الانتقاص من الآخرين الذين لا يمتلكون ما يمتلكون ، فيعيبونهم ويحقّرونهم بغير الحقّ وبما ليس بعيب ؛ كأبي لهب الذي كان يُحارب النبيّ صلى الله عليه وآله بمختلف الصور ، ومن جملتها الهمز واللمز ، وكانت نتيجته الهلاك والفشل في الدُّنيا والآخرة ، قال (تعالى) : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ .

(س) كيف استطاع البعض جمع الأموال الكثيرة بينما لم يستطع غيره ذلك؟

(ج) في كتاب الخصال عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : «لا يجتمع المال إلاّ بخمس خصال : بخل شديد ، وأملٌ طويل ، وحرص غالب ، وقطيعةُ

---

(١) منة المنان : الآية .

رحم، وإيثار الدُّنيا على الآخرة» وقال الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «لا يجتمع المال إلاّ بالبخل أو الحرام».

(س) لماذا جاءت لفظة (مالاً) في الآية المباركة بصيغة النكرة بدل المعرفة؟

(ج) جاءت لفظةُ مالاً بصيغة النكرة وذلك لإفادة التقليل والتحقير، إذ لا يمتلك المال الدور الأساسي في سعادة الإنسان، فكم ممّن يملك الأموال الكثيرة ولكنّه يعيش في شدّة وفقر روحي، وكم من غنيّ لا يستطيع الاستفادة من ماله في المأكل والمشرب، ومهما أُوتي الإنسان من مال فهو قليلٌ بالنسبة للأموال الموجودة في الدّنيا، ولاسيّما الخيرات والبركات المكنوزة في الأرض، والتي يُظهرها الله (سبحانه وتعالى) مع ظهور صاحب الأمر المهدي المنتظر (سلام الله عليه) وأنّه سيملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، فأموال الإنسان الواحد ليست بشيء بالنسبة لأموال الدُّنيا ولا قيمة لها إذا كان يُلازمها البُخل والحرص والتفاخر على الآخرين فمثل هذا المال وصاحبه حقيران، لهذا جاءت لفظة (مالاً) بصيغة النَّكِرَة.

(س) لماذا نرى أصحاب الأموال الكثيرة يسعون إلى جمع أموالهم، ثمّ عدّها مرّةً بعد أُخرى؟

(ج) لأنّهم يعتقدون بأنّ الأموال هي سبب القوّة والمَنَعَة والسعادة الكبرى في الحياة فتُصاب أرواحهم بالفقر والألم الشديد إذا نقصت شيئاً ما، بينما يشعرون باللّذّة والبهجة عند عدّها والنَّظر إليها.

(س) لماذا جاءت كلمة أخلَدَه في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ بصيغة الماضي ولم تأتي بصيغة المضارع، إذ لم يقل يُخلده؟

(ج) يحسبُ هذا الإنسان لشدّة غَفلته وطول أَمله أنّ أمواله قد ضَمنت له الخلود، وأعطته الأمان من الموت، وكأنّه حكمٌ قد فرِغَ منه وأُمضي، ولهذا السَّبب جاءت كلمة أخلده بصيغة الماضي. قال الإمام الحسن بن علي عليهما السلام: «ما رأيت يقيناً لاشكّ فيه أشبه بشكٍّ

لا يقين فيه كالموت»[١] .

(س) المال من الخيرات التي وضعها الله (سبحانه وتعالى) بين يديّ عباده، ليستطيع الإنسان من خلالها الحصول على رضوان الله (عزّوجلّ) والدرجات العالية في الدُّنيا والآخرة، فلماذا ذمّتهُ السورة المباركة؟

(ج) المال إذا أخذه الإنسان من الطريق المشروع ثمّ وضعه حيث أمر الله (عزّوجلّ) دون أن تتدخّل فيه الأهواء النفسيّة التي تأمر بالسوء، فهو مالٌ صالحٌ ومطلوب، يأمرنا الإسلام باكتسابه، ولكن إذا حصل العكس فسوف يصبح وبالاً وسوءاً على صاحبه وعلى المجتمع، إذ يدعو إلى التكبّر على الآخرين والاستهزاء بهم وحرمانهم منه، ولهذا السبب نرى السورة تذمُّ هذا المال.

۞ قال تعالى: ﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾.

(س) ما هو المراد من قوله تعالى: ﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ﴾؟

(ج) كلمة (كَلاَّ) ردعٌ عن حُسبانه الضالّ، فليس الأمر كما تظنّ أيّها المغرور المفتخر بمالك، المؤذي لغيرك بالهمز واللمز من غير حقّ، فليس الذي يُخلِّد الإنسان هو المال، بل هو العلم والصلاح، قال الإمام عليّ (عليه سلام الله): «ماتَ خزّانُ المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر»، وقال عليه السلام: «... ليس الخيرُ أن يكثر مالك وولدُك، ولكنّ الخير أن يكثُرَ علمُك، وأن يعظُمَ حلمُك، وأن تباهي الناس بعبادة ربّك؛ فإن أحسنت حَمدتَ الله، وإن أسأت استغفرتَ الله..»[٢] .

(س) لماذا استخدمت السورة كلمة النّبذ في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ دون أن يقول: ليُلقَيَنَّ أو ليُرمَينَّ و..؟

(ج) كلمة (النبذ) تدلّ على الإهانة والتحقير، فإنّ الهامز واللاّمز الذي جمع مالاً وعدّده، يستحقّ النبذ والإهانة، كما كان يفعل ذلك بالمؤمنين في حياته الدُّنيا ويتصوّر بأنّه من

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) نهج البلاغة، للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

أهل الكرامة والعزّة والخلود في هذه الحياة، وغيره لا عزّة له ولا بقاء ؛ لأنّه لا يمتلك كما يمتلك، ولهذا جاءت الآية المباركة لتقول له : بأنّك سوف تكون من المنبوذين والمحطّمين كما كنت تُحطّم الآخرين ماديّاً ومعنوياً، قال تعالى : ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾[1] [2].

(س) الحُطمة اسمٌ من أسماء جهنّم، لماذا اختارته السورة هنا دون غيره من الأسماء؟

(ج) هذه النار أُعدّت للذي يهمز الناس ويلمزهم، فكما أنّ صاحب هذه الصفات الرذيلة كان يسعى في الحياة الدُّنيا إلى كسر وتحطيم نفوس الآخرين، فإنّ هناك تحطيماً وتكسيراً عظيماً ينتظره يوم الحساب، فكلمة الحطمة تقول إنَّ حطَمَك أيّها الكافر للناس ما كان أكثر من إشارات خبيثة، ولكن حَطْمُ الله (سبحانه وتعالى) يُكسرُ كَسراً ويُحطّم حطماً بحيث لا يُبقي ولا يَذر.

(س) كأن السائل يقول : كيف يكفي الجزاء الواحد وهو ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ مقابل مُنْكَرَيْن كان يقوم بهما صاحبهما وهما الهمزُ واللمز؟

(ج) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ يقول الله (سبحانه وتعالى) لا تَعرفُ أيّها الإنسان ما مدى شدّة عقاب هذا الواحد، إنّه يعادل الاثنين والأكثر أيضاً[3].

(س) ما فائدة إضافة لفظة الجلالة (الله) إلى كلمة النار، في وصفه للحُطمة؟

(ج) قال الله (سبحانه وتعالى) في توصيفه للحُطمة بأنّها ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾، فإنّ إضافة لفظة الجلالة إلى النار لأجل تعظيمها وتفخيمها، وأنّ هذه النار ليست كنيران الدُّنيا أنّها (الموقدة) بأمره وقدرته، التي لا تخمد أبداً، وما نارُ الدُّنيا إلاّ تذكرة لنار الآخرة ﴿نحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾[4].

---

(١) الفرقان : ٦٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الواقعة : ٧٣.

نارُ الآخرة كما جاء في الحديث أنّ الله (عزّوجلّ) «.. أوقد عليها ألف سنة حتّى احمرّت، ثمّ ألف سنة حتّى ابيضّت، ثمّ ألف سنة حتّى اسودّت، فهي الآن سوداءٌ مظلمةٌ».

❁ قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾.

(س) ما المراد من (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾؟

(ج) ١- أن تكون (ما) نافية، فيكون المعنى: إنّك لا تدري ما الحطمة، وذلك للتهويل والتخويف.

٢- أن تكون للاستفهام، ويكون المعنى: مَن الذي جعَلكَ تدرك الحطمة؟ فهو استفهام استنكاري يفيد نفي مدخوله أنّها أعظم من أن تُدرك ويُفهم مراتب عذابها.

وكلا القولين قابلان للصحة ومؤدّيان للمعنى.

(س) مَن هو المخاطَب في قوله (عزّوجلّ): ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾؟

(ج) بما أنّ النبي الأعظم محمّد ﷺ سيد الكائنات والخلق أجمعين، لذا فإنّ مسألة إدراك جهنم ليس بالأمر الصعب عنده، بل هو أمر بسيط، وأنّه ﷺ اطّلع على ملكوت السماوات ورأى ما في الجنة والنار وذلك في رحلة المعراج، قال (عزّوجلّ): ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[2]، إذا الخطاب ليس له بل لغيره وأنّه من باب إياكِ أعني واسمعي يا جارة[3].

❁ قال تعالى: ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾.

(س) لماذا وصف الله (تبارك وتعالى) النار بأنّها موقودة حيث قال: ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾ مع

---

(١) الإسراء: ١.

(٢) النجم: ١٨.

(٣) منة المنان: الآية.

أنّ كل نار هي موقدة، ولا توجد نار غير موقدة. لأنّها عندئذ لا تكون موجودة إطلاقاً؟

(ج) ١- أن يكون المراد من ذلك شدة توقدها، بحيث يكون ضم غيرها إليها كضم ذرة التراب إلى الجبل وهي لا شيء.

٢- وذلك لبيان الرهبة التي فيها[1].

(س) هل الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان فعلاً؟ وما الحكمة من وجودهما الآن؟

(ج) ظاهر القرآن الكريم وفي عدد كثير من الآيات تُشير إلى أنّهما موجودتان ومخلوقتان، كقوله: ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾ يعني هي كذلك فعلاً، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً * لِلْطَّاغِينَ مَآباً﴾[2]، أما الحكمة من وجودها هي:

١- أنّه (تعالى) أوجدها لإبراز قدرته (سبحانه) وهذه أحد النظريات في الحكمة في وجود الخلق كله، فلا حاجة إلى تأجيل إيجاده إلى الزمن اللاحق، لأنّ الغرض من خلقها ليس إحراق الظالمين فقط، بل لإبراز القدرة أيضاً.

٢- إنّ العقوبة غير خاصة للبشر، بل هي عامة لكل الخلق المدرك، فلعل هناك خلق مدرك آخر لا نعلمه موجود في عالَم آخر، كما ورد أنّ الله تعالى خلق قبل آدمنا هذا ألف ألف آدم وألف ألف عالَم. فيذهب المطيعون إلى الجنان والعاصون إلى النار، إذا لعل لكل نسل وعالم قيامته الخاصة به.

٣- وقيل إنّ الحكمة في وجود الجنة والنار الآن هو لأجل تحريض وتشويق أهل الإيمان للجنة بالإكثار من التقوى والعمل الصالح، ووجود النار حافز في الابتعاد والحذر منها[3].

۞ قال تعالى: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾.

(س) وصف الله (سبحانه وتعالى) هذه النار بأنّها ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ والاطّلاع هو

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) النبأ: ٢١-٢٢.

(٣) منّة المنان في الدفاع عن القرآن: للشهيد السيد محمد الصدر.

الإشراف والإحاطة، فكيف يكون إشراف النار على القلوب، فهل يحصل ذلك من فوق الجسم أو تدخل النار إلى داخل الجسم حتّى تعلو على القلب وتشرف عليه؟

(ج) قيل: إنّ النار تدخلُ في أجسامهم حتّى تصل إلى قلوبهم وتشرفُ عليه، ويكون الدخول من خلال الثقوب الموجودة في جسم الإنسان والتي يدخل منها الهواء أيضاً، وعدد هذه الثقوب تُعدُّ بالآلاف، ويحسّ الإنسان بوجودها وذلك عند الدخول تحت سطح الماء، فيحسّ بالاختناق وذلك لعدم تمكّنه من التنفّس بصورة طبيعيّة، ولكنّه يستطيع البقاء أكثر خارج الماء وذلك إذا مَسَكَ أنفه عن التنفّس بصورة طبيعيّة، كلّ ذلك بسبب وجود الثقوب الكثيرة والمنتشرة في جسم الإنسان، منها تدخل النار في أجسام الكفّار يوم القيامة لتشرف وتطّلع على قلوبهم جزاءً بما كانوا يفسدون في الأرض ويُؤْذُونَ المؤمنين والمستضعفين[١].

(س) هل يحترق القلب باستيلاء النار عليه وإحاطته به؟

(ج) لاشكّ أنّ قلوب هؤلاء المستحقّين لا تحترقُ بسبب إحاطة النار بها، لأنّه لو احترقت لمات الإنسان بسبب احتراق وتلاشي قلبه، بينما القرآن الكريم يقول عن الكافر أنّه ﴿لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا﴾[٢]، فلا يموت قلبه ولا تعيش سائر أعضاءه الأُخرى بسلام كما روي عن النبيّ ﷺ: «أنّ النار تأكل أهلها حتّى إذا اطّلعت على أفئدتهم توقّفت عن ذلك»، ثمّ إنّ الله (سبحانه وتعالى) يُعيد لحمهم وعظامهم مرّةً أُخرى، قال القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[٣][٤].

(س) لماذا أمر الله (سبحانه وتعالى) النار بالاستيلاء والإحاطة على قلوب الكفّار دون

---

(١) تفسير الفرقان: الآية.

(٢) الأعلى: ١٣.

(٣) النساء: ٥٦.

(٤) منة المنان: الآية.

أكبادهم أو أمعدتهم أو غير ذلك من أعضاء الجسم؟

(ج) لأنّ القلب كما أنّه موطن الإيمان والصلاح في الإنسان فكذلك هو موطنُ الكفر والفساد والنيّات السيّئة والشرّيرة مثل الحقد والحسد والبُغض وحبّ الاستهزاء بالآخرين، لذا فإنّ النار تُسلَّط على قلوبهم لتحرقها كما سَعوا إلى حَرقِ قُلوب الآخرين ظلماً وعدواناً[1].

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُوصَدَةٌ﴾.

(س) لماذا قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُوصَدَةٌ﴾ دون أن يقول: إنّها عليهم مطبقة والمعنى مُتقارب؟

(ج) كلمة (مؤصدة) يمكن استخدامها مع الباب فيكون المراد من ذلك أنّها عليهم مغلقة من دون أن تُفتح لهم أبداً، بينما لا يمكن استفادةُ ذلك من كلمة الإطباق[2].

(س) ما فائدة قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُوصَدَةٌ﴾؟

(ج) في الآية المباركة إشارة إلى خلودهم وبقائهم في تلك النار، قال (عزّوجلّ): ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾[3].

(س) كلمة «مؤْصَدة» تُشير إلى وجود باب في تلك النّار التي وصفها الله (عزّوجلّ) بـ (الحُطمة) وكما قيل: بأنّها الدرك الثاني من دركات جهنّم، وكلمة «لينبذنّ» تُشير إلى أنّ ذلك الموضع له قعر عميق كالبئر، فما فائدة وجود الباب على ذلك الموضع كما تُشير إليه الآية المباركة، وكما تُشير الآيات الأُخرى بوجود أبواب متعدّدة لجهنّم؟

(ج) وجود الباب في أيّ مكان سواء في الدُّنيا أو في الآخرة يُذكِّر الإنسان بالخروج وتغيّر الحال بينما يشعرُ الإنسان بالضيق والألم عندما يُلقى في مكان لا يستطيع الخروج منه والحصول على الحرية التي كان عليها من قبل، ويزداد إحساسه بالألم والحسرة

---

(١) تفسير الفرقان: الآية.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المائدة: ٣٧.

والضيق عندما يُوضع في مكان فيه بابٌ فإنّه يرجو انفتاحه له لكي ينجو ممّا هو فيه ولكن عندما يرى استحالة انفتاح الباب، يـزدادُ ألماً وأذى، وهـذا هـو مصير الكـافرين في نـار جـهنّم، فلـذا فـإنَّ وجـود البـاب في جـهنّم نـوع مـن التعذيـب للسـاكنين فيـها، قـال (عزّوجلّ): ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[1] [2].

(س) وجود الباب يعطي للإنسان أَمَلاً للخروج من المكان الذي فيـه، ويحصـل على سرور وسعادة كبرى إذا خرج من مكان مؤلم وخصوصـاً إذا كـان في نـار جـهنّم، بينمـا يَشـعُرُ بالأذى والخسران إذا خرج من مكان صالح ومفيد وبالأخصّ إذا كـان ذلـك في جنّـة الله الكبرى، والقرآن الكريم يقول لنا بـأنّ الجنّـة لـها أبـوابٌ أيضـاً كما للنـار، فـهل وجـود الأبواب فيه نوعٌ من الأذى لأهل الجنّة؟

(ج) أهل الجنّة لا يشعرون بأيّ أذىً من رؤيتهم لأبواب الجنّة، وذلك بأن يخرجوا من النعيـم الذي هـم فيـه، وأنّـهم لا يُفكّـرون بـهذا التفكـير أبـداً، كمـا قـال القـرآن الكريـم: ﴿لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[3]، وأنّ الله (سبحانه وتعـالى) تعـهَّد في كتابه الشريـف بأنّ العطاء الذي يُقدّمه للمؤمنـين في الآخـرة ليس لـه زوالٌ ولا انقطـاعٌ، قال (عزّوجلّ): ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[4]، لـذا فـهم يفرحـون عند رؤيتـهم لأبواب الجنّة، دون أن يخرجوا منها ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾[5].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُوصَدَةٌ﴾ ولم يَقُل: إنّها مُؤصَدةٌ عليهم؟

---

(١) السجدة: ٢٠.

(٢) تفسير الفرقان: الآية.

(٣) الحجر: ٤٨.

(٤) هود: ١٠٨.

(٥) النساء: ١٢٢.

(ج) القول الأوّل يُفيد على أنّهم استحقّوا هذه الحالة بسبب أعمالهم السابقة في حياتهم الدُّنيا بينما القول بالعكس قد لايُفيد ذلك[١].

۞ قال تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾.

(س) لماذا قال (عزّوجلّ): ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ دون أن يقول: بعمد ممدّة؟

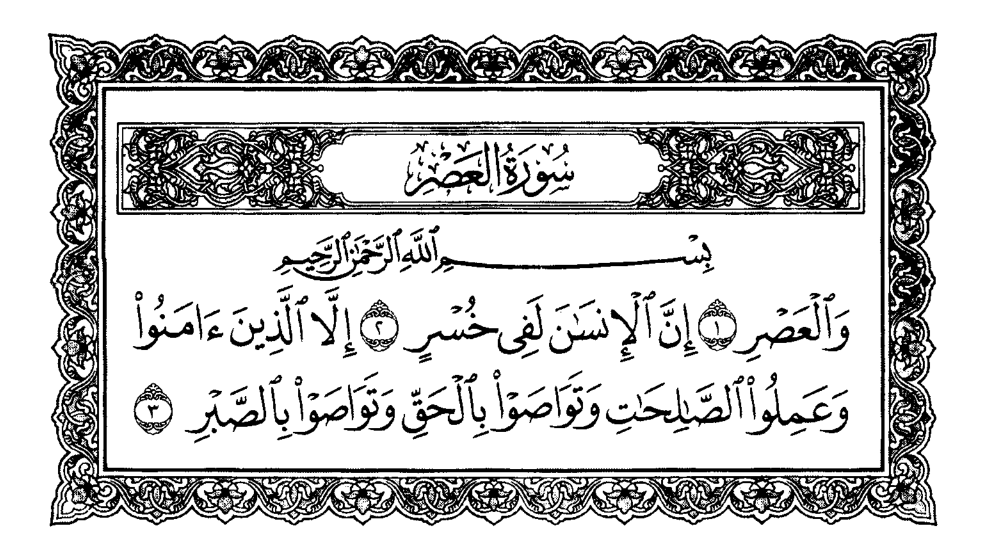
(ج) قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ يُشعر بأنّ عدد هذه الأعمدة كثيرةٌ جداً بحيث لكثرتها كأنّ الباب صار فيها، بينما القول بعمد ممدّة لا يفيد ذلك. ووجود الأعمدة الكثيرة على تلك الباب، قطعت أمل الخروج والفتح لذلك الباب[٢].

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) تفسير الفرقان: الآية.

سُورَةُ العَصرِ



فضلها:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ (والعصر. . .) في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه، ضاحكاً سنّهُ، قريراً عينه حتى يدخل الجنة.

موضوع السورة:

السورة تُلخّص جميع المعارف القرآنية وتجمع مقاصد القرآن المتنوّعة والمنتشرة في أوجزو بيان.

يقسم الله (عزّ وجلّ) بأمر عظيم لأجل تبيين حقيقة الخسران المبين التي يصير إليها الإنسان عند ابتعاده عن الإيمان والعمل الصالح والسعي في تطبيق الأعمال الصالحة التي

منها التواصي بالحقّ والتواصي بالصبر.

❖ ❖ ❖

الأسئلة والأجوبة

❁ **قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ..﴾.**

(س) ما هو المراد من العصر في الآية المباركة؟

(ج) قال المفسِّرون في معنى هذه الكلمة عدّة أُمور ؛ فمنهم من قال: إنّه قسمٌ بدوافع الخسران والابتلاءات التي يواجهها الإنسان في حياته الدُّنيا، التي تعصره وترديه وذلك إذا لم يقف أمامها بالشكل المطلوب، وقيل: إنّ المراد منه هو عَصرُ النبيّ محمّد ﷺ وهو دافع الربح، وقيل: المراد به وقت العصر، وقيل: إنّه عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام وكما وُردت روايات في ذلك، وأنّه يذكّره بالآخرة[1].

(س) لماذا يُقسمُ الله (سبحانه وتعالى) ببعض الأُمور دون البعض الآخر؟

(ج) يُقسم اللهَ (عزّوجلّ) ببعض الأُمور دون البعض لأجل إلفات أذهاننا وعقولنا إليها، لكَي نأخذ بها بأفضل شكل ممكن.

(س) قيل: إنّ المراد من «والعصر» هو قَسمٌ بالأُمور التي تعصر الإنسان، وأنّه قسمٌ أيضاً بالتي ترفعه وتوصلهُ إلى الخير والكمال المطلوب، فما هي الأُمور التي تعصر الإنسان وما هي التي ترفَعهُ؟

(ج) الأُمور التي تعصر الإنسان وتدفعه إلى الخسران والهلاك، هي الابتلاءات بأنواعها المختلفة، فتارةً تكون زينة الحياة الدُّنيا ومغرياتها، وتارةً شياطين الجنّ والإنس الذين يوحون إلى الإنسان بالابتعاد عن الله (سبحانه وتعالى)، وتارةً النفس الأمّارة بالسوء التي تعصر قلب الإنسان وقالبه وتدعوه إلى الرذيلة واللذّة العاجلة.

وأمّا الأُمور التي ترفع الإنسان وتُنجيه من كلّ النوائب والمصائب هي التي أمرنا الله (عزّوجلّ) بالاعتصام بها وعلى قمّتها كتابه الشريف ونبيّه الكريم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام

---

(١) تفسير الفرقان: الآية.

وهؤلاء يمثّلون عصر النبيّ(صلى الله عليه وآله) وهو عصر النور والحقّ المستمرّ في كلّ زمان ومكان، ولهذا تدعونا السورة المباركة إلى الأخذ والالتفات إلى هذا العصر المُنير بالشكل الكامل والصحيح.

(س) لماذا جاء القسم في هذه السورة بالعصر دُونَ أمر آخر؟

(ج) إنّه (عزّوجلّ) أقسم بأمر عظيم وذلك لتبيين حقيقة عظيمة لا يُناسِب القسم لأجلها إلاّ بما أقسم.

(س) قال البعض: إنّ المراد من «والعصر» هو وقت العصر وصلاتها، فهل في هذا الوقت تنبيهٌ على أمر ما؟

(ج) وقت العصر فيه نوعٌ من التذكير بيوم القيامة، فكما الإنسان يرجع في هذا الوقت إلى بيته، بعد أن قضى شوطاً من الوقت في العمل والسعي، عندها يطوف أولاده حوله يسألونه عن رزقهم فإذا لم يكسب شيئاً في ذلك النهار فإنّه يبقى خجلاً أمامهم، فكذلك عصر الدُّنيا تذكّر الإنسان بمجيء يوم القيامة، فإذا لم يستعدّ الإنسان ولم يتزوّد بالأعمال الصالحة والحسنة، سوف يخجل ذلك اليوم ويكون من الخاسرين، وسوف يُسئل في معاملته مع الخلق، ويقف من ظلمه أمامه ليشتكي عليه.

وأمّا عن صلاة العصر فقيل: إنّها أفضل الفرائض والتي يُحتمل أنّها الصلاة الوسطى التي أشار الله (تعالى) إليها بقوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[1].[2]

(س) وردت بعض الروايات تقول: إنّ المراد من «العصر» هو قسمٌ بعَصرِ ظهور الإمام المهدي(عليه السلام) فما هو الدليل على ذلك؟

(ج) الدليل على ذلك هو القرآن الكريم والروايات المتظافرة والموجودة في كتب المذاهب الإسلامية التي تصرّح بظهوره(عليه السلام) وأنّه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، والقرآن الكريم صرّح بذلك حيث قال الله (سبحانه وتعالى): ﴿هُوَ

---

(١) البقرة: ٢٣٨.

(٢) التفسير الكبير.

الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[١]، ولا يبسط الإسلام ظهوره الكامل إلاّ في زمن الإمام المهدي عليه السلام، فالسورة المباركة تدعونا إلى الترقّب والعمل لهذا اليوم العظيم.

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾.

(س) إنّ المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ.. ﴾: إنّ القاعدة هو خسر الإنسان إلاّ ما خرج بدليل، بينما قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[٢] تشير إلى عكس ذلك، أي أنّ الإنسان ناج بمقتضى طبعه إذ تتعجب الملائكة من دخولهم جهنم، فكيف يمكن لنا الجمع بين ها تين الآيتين؟

(ج) الاحتمالات الموجودة في الإنسان ثلاث:

١- أن يكون الأصل فيه هو الخير، والشر مستثنى وطارئ.

٢- أن يكون الشر هو الأصل والخير هو المستثنى وطارئ.

٣- أن يكون الخير والشر كلاهما أصليان وأساسيان في الخلقة، وأيّ منهما كان مبتدأً، كان هو المسيطر على نتيجة الإنسان.

والدليل على الرأي الثالث الذي هو الصحيح في الاحتمالات الثلاث، هو قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٣]، أي أنّ الله (تبارك وتعالى) ركّز في الإنسان معرفة طريقي الخير والشر أو الحق والباطل وتُرك للإنسان الاختيار، فإذا أراد الجنة ورضوان الله (تعالى) فما عليه إلاّ الابتعاد عن الباطل، وإذا لم يُرد ذلك فإنّه سوف يتّجه إلى الشر والضلال وأخيراً استحقاق عذاب جهنم، وبهذا يكون قد جمعنا بين الآيتين المذكورتين في السؤال المطروح، وكلاهما صادقتان[٤].

---

(١) الصف: ٩.

(٢) المدثر: ٤٢.

(٣) البلد: ١٠.

(٤) منة المنان: للشهيد السيد محمد الصدر (قده).

(س) لماذا استعمل حرف الجر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ ولم يقل: على خسر أو لخسر أو: إنّ الإنسان خاسر؟

(ج) إنّ (في) أبلغ وهي إشارة إلى أنّ الإنسان داخل في الخسر، والخُسر مسيطر عليه، إذاً (في) هنا تفيد التركيز بأنّ الإنسان واقع في باطن الخسر حقيقةً أو مجازاً، والفائدة من هذا هي دعوةٌ له لكي تحصل له الهمة في إخراج وإنقاذ نفسه من ذلك[١].

(س) المراد من الإنسان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ هو جنس الإنسان فلماذا وصفه الله (سبحانه وتعالى) بالخسران وقد خلقه في أحسن تقويم بقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٢]؟

(ج) ربُّنا (سبحانه وتعالى) خلق الإنسان في أحسن تقويم بحيث يستطيع من خلال القدرات التي أودعت فيه الارتقاء إلى درجة الملائكة المقرّبين، ولكن إذا ترك الإيمان والعمل الصالح فإنه يُردي بنفسه إلى أسفل سافلين ويخسر الخسران المبين في الدُّنيا قبل الآخرة. قال (عزّوجل): ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾[٣].

(س) كيف يتّضح لنا خسران الإنسان الكافر في هذه الدُّنيا، وكم من كافر يعيش في رفاه ونعيم؟

(ج) بيَّنَ القرآن الكريم عبرَ آياته المباركة بأنّ الإنسان لم يُخلق لهذه الدُّنيا الفانية، بل خُلق للحياة الآخرة الخالدة، وما هذه الحياة إلاّ دار امتحان وابتلاء، فمن اغترَّ بها وأعرض عن ربّه فسوف يُعاقب على اختياره السيئ في الدُّنيا والآخرة، وأنّه سيرى الخسران الكبير، قال تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٤].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) التين: ٤.

(٣) طه: ١٢٤.

(٤) آل عمران: ١٧٨.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾[١]، ولا تدلّ الحياة المادّية الفارهة والجيّدة لبعض الكفّار على أنّهم سعداء رغم كفرهم، السعادة شيء معنوي لا تحصل بالمال والمادّة، وإنّما تحصل بالارتباط بالله (عزّوجلّ)، قال (تعالى): ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٢]، وقال (عزّوجلّ): ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[٣].

(س) هل الإيمان والعمل الصالح يجلب الرِّبح للإنسان، وكم من مؤمن عملَ الصالحات ولكنّه خسرَ ماله وولَدهُ و. . . ؟

(ج) ربُّنا (سبحانه وتعالى) أجاب على هذا السؤال بكلّ وضوح وكمال في كتابه العزيز، فقال للمؤمن الذي ينفق أمواله في سبيل الله (عزّوجلّ) بأنّ أموالك سترجع إليك كاملاً بل وأكثر منها أيضاً، قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾[٤]، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾[٥]، وقد لا يرى المؤمن التوفية بمال مثله ولكنّه يراه بصورة أخرى، قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ﴾[٦]، وأمّا إذا فقد ولده أو قُتل في سبيل الله (عزّوجلّ) فالله (سبحانه وتعالى) يقول له بأنّ ولدك ليس بميّت: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٧]، وهكذا الأمر بالنسبة للأُمور الأُخرى، قال (عزّوجلّ): ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٨]. فالمؤمن الصالح في ربح كبير ودائم ولو كان الظاهر لا

(١) طه: ١٢٤.
(٢) الرعد: ٢٨.
(٣) النحل: ٩٧.
(٤) البقرة: ٢٧٢.
(٥) النمل: ٨٩.
(٦) البقرة: ٢٧٢.
(٧) آل عمران: ١٦٩.
(٨) آل عمران: ٩٢.

يدلّ على ذلك.

(س) لماذا قال (عزّوجلّ): ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ ولم يقل: لفي الخُسر؟

(ج) إنّ التنكير يُفيد التّهويل، ومعنى ذلك أنّ الكافر لفي خُسر عظيم لا يعلمه إلاّ الله (عزّوجلّ) ويحتمل أن يكون المراد من ذلك هو أنّ الإنسان لا ينفكّ عن الخُسر والتضييع ما لم يستفد من عمره بالشكل المطلوب وهو الحصول الكامل على رضوان الله (عزّوجلّ) والابتعاد عن معصيته.

(س) كيف يُخسرُ الإنسان في حياته الدُّنيا وكيف يربح؟

(ج) يخسر الإنسان في حياته الدُّنيا وفي الآخرة وذلك إذا أساء استخدام الطاقات والقدرات التي وُضعت بين يديه، ولهذا يُقال للكافر عندما يُعرَض على ربِّه بأنّك لم تستخدم الطاقات المختلفة والكثيرة التي أُعطيت لك بصورة صحيحة قال (عزّوجلّ): ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[1] بينما يربح الإنسان إذا استخدمها بصورة صحيحة.

۞ قال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

(س) هناك الكثير ممّن آمن وعمل صالحاً ولكنّه لم يَرَ الزِّيادة بسبب ذلك، هل في قوله (عزّوجلّ): ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ نوع من الفائدة والتسلية لهم؟

(ج) إنّ قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فيه نوع من التسلية والتثبيت للمؤمنين الذين قد تراودهم إحساسات بعدم حصولهم على متع الحياة الدُّنيا بعد إيمانهم وعملهم الصالح، فالآية تقول له لا تأسف على فوت عمرك وشبابك وأنت في الطريق المستقيم، فإنّ هذا المسير يوصلك إلى خير الدُّنيا والآخرة، وهو حصولك على رضوان الله تعالى.

---

(١) الأحقاف: ٢٠.

(س) الآية المباركة: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فيها إطلاق، إذ لم تُبيِّن ما مقدار الأعمال الصالحة التي يجب أداؤها لكي لا يكون المؤمن في عداد الخاسرين، فما المقدار والمدار؟

(ج) ربّنا (سبحانه وتعالى) بيَّن ذلك في كتابه العزيز، فقال في سورة المُلك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[١] فحسب الظاهر والواقع أنه لا يطلب الكثير، فالقليل الحَسن خيرٌ من الكثير الغير حَسن.

(س) لماذا لم يذكر الله (سبحانه وتعالى) سبب الخُسر عندما قال: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ بينما بيَّن سبب الربح؟

(ج) عندما يُبيِّن ربّ العزّة (تبارك وتعالى) سبب الربح فإنّه يُبيِّن أيضاً سبب الخسران وهو ترك الإيمان والعمل الصالح الذي يؤدّي بالإنسان إلى الانحراف والرذيلة ومن ثمّ الهلاك في الدُّنيا والآخرة[٢].

(س) ما هو الإيمان المطلوب من الإنسان في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؟

(ج) الإيمان المطلوب في الآية هو الإيمان الكامل بالله (عزّوجلّ) بأنّه أحدٌ في صفاته وذاته، وأنّه صمدٌ أي المقصود الوحيد في هذا الكون، ثمّ الإيمان بجميع رسُله والإيمان باليوم الآخر، وبما أمَرَ به رسوله ﷺ من أتّباع أهل بيته الكرام الأئمّة المعصومين عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأنّ الإيمان ببعض وترك البعض هو الخسران المبين، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٣][٤].

---

(١) تبارك: ١ و ٢.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

(٣) البقرة: ٨٥.

(٤) تفسير الفرقان: الآية.

۞ قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

(س) ما هو الفرق بين التواصي بالحقّ والتواصي بالصبر وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

(ج) التواصي بالحقّ هو أن يوصي بعضنا بعضاً باتّباع الحقّ والدوام عليه، وأنّه أوسع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لشموله الاعتقاديّات ومطلق الترغيب والحثّ على العمل الصالح.

(س) أليس التواصي بالحقّ جزءٌ من العمل الصالح، فلماذا ذُكرَ بعده، بصورة خاصّة حيث قال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾؟

(ج) التواصي بالحقّ من العمل الصالح وإنّما ذكره بعد العمل الصالح، وذلك من باب ذكر الخاصّ بعد العام اهتماماً بأمره، وهكذا الأمر بالنسبة إلى التواصي بالصبر إنّه من التواصي بالحقّ وأنّه ذكره بعد العام اهتماماً بأمره. ولهذا السبب تكرّرت كلمة (وتواصوا) إذ لم يقل: وتواصوا بالحقّ والصبر، وذلك لوجود الاختلاف بينهما بالمرتبة[1].

(س) لماذا ذَكَرَ الله (سبحانه وتعالى) التواصي بالحقّ والصبر من جملة الأعمال الصالحة للرابحين، ولم يذكر غيرها من الأعمال الصالحة؟

(ج) وذلك للإشارة إلى حياة قلوبهم وانشراح صدورهم للإسلام، وأنّهم لشدّة محبّتهم للطاعة، لا يقتصرون على ما يخصّهم بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم، وذلك لأجل ظهور سلطان الحقّ وانبساطه على الناس.

(س) لماذا أُطلقت كلمة الصبر دون أن تقيَّد بنوع معيَّن؟

(ج) وذلك لكي تكون أعمّ من الصبر على طاعة الله (عزّوجلّ) بالإيمان به والقيام بالأعمال الصالحة، لتشمل أنواع الصبر التي منها الصبر على المعصية والصبر على النوائب والمصائب التي يراها الإنسان في حياته.

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

(س) هل في الآية دعوة إلى الصبر والسكون، دون التوجّه إلى السعي والعمل؟

(ج) لا توجد في القرآن الكريم آية تدعو الناس إلى الأخذ بالصبر فقط، بل أنّها إذا دعت إلى الصبر تدعو إلى جانبه إلى العمل أيضاً والتمسّك بالحقّ وعدم تركه كما تُشير الآية بذلك، فعندما يأمر الله (عزّوجلّ) في هذه السورة بالصبر فإنّه يأمر إلى جانب ذلك بالتمسّك والتواصي بالحقّ، وإذا عجز الإنسان عن القيام بعمل ما إلى جانب الصبر فعليه أن يتوكّل على الله (عزّوجلّ)، ليطلُبَ منه الفرج والحلّ لمشكلته، كما فعل ذلك يعقوب عليه السلام ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[1].

(س) لماذا نرى القرآن الكريم يؤكّد على مسألة الصبر عند ذكره لبعض الحقائق الحياتية وهكذا عند عرض الأوامر والنواهي الإلهية؟

(ج) القرآن يريد أن يقول لنا بأنّ الحقّ ثقيل وأنّ تطبيق أوامر الله ونواهيه يحتاج إلى بذل جُهد، وأنّ الإنسان لا يكاد يُفارق المحن والصعاب في حياته، فلهذا يحتاج إلى الصبر دائماً، لكي يتمكّن من أداء مسؤوليّاته بشكل كامل وصحيح.

(س) لماذا قال (عزّوجلّ) عن المؤمنين بأنّهم ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ دون أن يقول ويتواصون بالحقّ؟

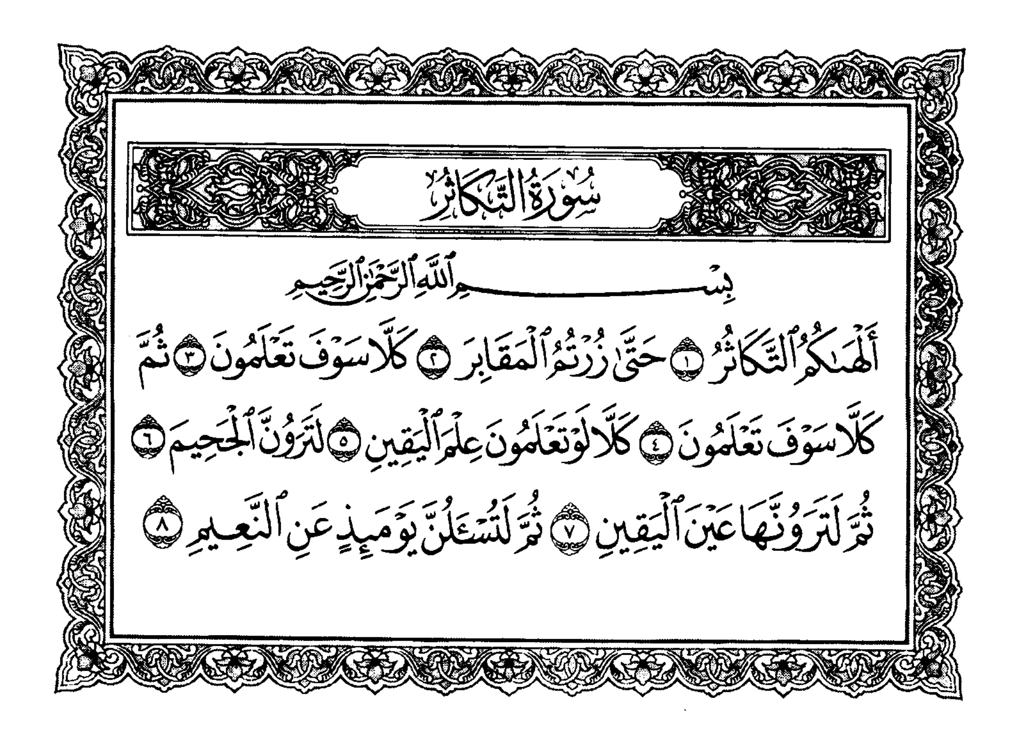
(ج) انّه (عزّوجلّ) لم يقل (ويتواصون) وذلك لكي لا يقع أمراً عليهم، بل الغرض من كلامه هو مدحهم بما صدر عنهم وبما يصدر في المستقبل أيضاً، والآية تدعو المؤمنين في الثبات على الصبر دائماً[2].

---

(١) يوسف: ١٨.

(٢) منة المنان: الآية.

سُورَةُ التَّكَاثُر



فضلها:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من قرأ «ألهاكم التكاثر» عند النوم وُقِيَ فتنة القبر.

سبب النزول:

قالوا إنّ السورة نزلت في حيّين من قريش: بني عبد مناف بن قصي وبني سهم بن عمر تكاثروا وعدّوا أشرافهم فكثرهم بنو عبد مناف، ثمّ قالوا: نعدّ موتانا حتّى زاروا القبور

فعدّوهم وقالوا: هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم لأنّهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية، ولكنّ الآية عامّةٌ تشمل كلّ زمان ومكان وليست لحادثة خاصّة فقط.

المفردات:

اللهو: هو ما يُشغل الإنسان عمّا يعنيه ويهمّه، أو الانصراف إلى ما يدعو إليه الهوى.

التكاثُر: التباري في كثرة المال والعزّ أو التفاخر بكثرة المناقب.

الزيارة: المجيء إلى موضع من غير إقامة.

عين اليقين: نفسه أو محض اليقين.

موضوع السورة:

السورة توبّخٌ الناس الذين يتلهون بالافتخار بتكاثُر الأموال والأولاد والأفراد، وغفلتهم عمّا وراءه من تبعة الخُسران والعذاب، وتهديدٌ لهم بأنّهم سوف يعلمون عاقبة تفكيرهم وتفاخرهم هذا، ويرون ذلك وثمّ يُسألون عن النِّعم التي وُضعت بين أيديهم لكي يشكروا الله (عزّوجلّ) عليها ولكنّهم تلهوا بها وبدّلوا الشكر بالكفر.



الأسئلة والأجوبة

قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾.

(س) مَن هو المخاطَب بقوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾؟

(ج) ١- أن يكون خطاباً لمَن يتّصف بهذه الصفة، وهو مَن ألهاه التكاثر، فيكون المراد: يا مَن ألهاكُم التكاثر قد ألهاكم التكاثر.

٢- أن يكون خطاباً لأهل الدنيا وفيه تحذير من الدنيا والشمول بالعقوبة: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ إذا ألهاهم التكاثر[1].

---

(١) منة المنان: الآية.

(س) ما هي الأُمور التي يتفاخر بها الناس عادةً؟

(ج) الأُمور التي يتفاخر الناس بها عادةً هي التي تجلب لهم النفع والقوّة على حسب ظنّهم، فمثلاً يتفاخرون بالأموال والأولاد والعشيرة والعلم والجاه، ويتصوّرون بأنّها سبب السعادة للإنسان في هذه الحياة، يتفاخرون بها على الذي لا يمتلك مثلهم، وهي زينة الأرض ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا..﴾ [١] بينما زينة الإنسان هي في إيمانه وارتباطه مع الله (عزّوجلّ) ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٢].

(س) هل هناك أمور يحقّ للإنسان التباهي والتفاخر بها على الآخرين؟

(ج) نعم، هناك أمور لها قيمةٌ كبيرةٌ خالدة مع خلود الإنسان ولا تزول مع زوال الدُّنيا هو العلم والحلم والايمان والعبادة، تستحقّ التفاخر بها ثمّ دعوة الآخرين بالتوجّه إليها، يقول الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «.. ليس الخير أن يكثُر مالُكَ وولدُكَ ولكنّ الخير أن يكثُر علمُك، وأن يعظُمَ حلمُك، وأن تُباهي الناس بعبادة ربِّك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله...»[٣].

(س) ربُّنا (سبحانه وتعالى) وزّع نعَماً وأرزاقاً بين الناس بصورة حكيمة فمنهم من يمتلك ذكاءاً عالياً ومنهم من يمتلك جمالاً وآخر يمتلك إيماناً وآخر قوّةً في بدنه و... فهل يحقّ لهم التفاخر بهذه النِّعم الإلهية؟

(ج) إذا كان الهدف من إظهار النِّعمة لأجل تبيين فضل الله (عزّوجلّ) ولطفه فهذا لا بأس به، ولكن خلاف هذا لا يجوز؛ إذ لا يصحّ التفاخر بالذكاء أو المال أو الجمال وغير ذلك[٤]، حيث بتوزيع النِّعم والطاقات، يضطرّ الناس إلى استخدام بعضهم بعضاً وحصول الاستفادة المتبادلة فيما بينهم، قال (عزّوجلّ): ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ

---

(١) الكهف: ٧.

(٢) الحجرات: ٧.

(٣) نهج البلاغة: الكلمات القصار.

(٤) لأنّ إعطاء النعمة لشخص دون الآخرين ليس تفضيل له وسلبها ليس تقليل للآخرين بل هو ابتلاء وتكامل لحياة المجتمع.

مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾[١]، إذاً فلا يوجد مجال لكي يفتخر الإنسان بما أعطاه الله (عزّوجلّ) من نعمة.

(س) هناك البعض من المؤمنين ممّن يُظهر بعض النِّعم التي أُوتيها مثل الصدق والعلم والإيمان والأمانة، أو لا يكون فيه إظهار للشخصية ومن ثمّ الرياء وطلب إحترام الناس له؟

(ج) إذا كان الهدف من إظهار هذه النِّعم هو أمرٌ كبير وسامي كطلب اقتداء الآخرين به فهو غير مذموم بل مستحب وواجب، وعندما يستطيع الإنسان من خلال إظهار النِّعم التي يمتلكها، الوصول إلى أهداف كبيرة منها تحقيق أمر الله (عزّوجلّ) في الأرض فيكون من الواجب المؤكّد عليه إبراز شخصيّته وإظهار الفضائل التي يمتلكها، كما فعل ذلك نبيّ الله يوسف عليه السلام حيث قال للملك: **﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾**[٢].

(س) لماذا التفاخر بالعشيرة مذموم، بينما يقول الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «لا يستغني الرجُل عن عشيرته وإن كان ذا مال فإنّهم جناحه التي بها يطير ويده التي بها يصول..»؟

(ج) التفاخر بالأسماء والأعداد والقدم والعادات والتقاليد العشائرية كلّها مذمومة وليست لها قيمة إذا كانت بعيدة عن المبادئ الإلهية، والذين يتمسّكون بهذه الأُمور هم المستكبرون والطغاة لأجل الوصول إلى بعض المقاصد واللذائذ الدنيوية، فنرى أصحاب فرعون يقولون للسحرة قبل حدوث ساعة المنازلة مع موسى عليه السلام **﴿قَالُوا إِنْ هذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾**[٣].

---

(١) الزخرف: ٣٢.

(٢) يوسف: ٥٥.

(٣) البقرة: ٦٣.

أمّا قول الإمام عليّ (سلام الله عليه) فإنّه يقصد شيئاً آخر، وهو أنّ الإنسان الغني لا يمكن له الابتعاد والاستغناء عن عشيرته ولو كان ذا مال، إذ يستطيع الوصول بهم إلى أهداف ما لم يستطيع تحقيق ذلك بأمواله فقط.

❁ قال تعالى: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ ولم يقل القبر؟

(ج) ١- لحفظ النسق القرآني في الآيات.

٢- الخطاب للمجموع وكلٌّ سيزور قبره الذي سيعيَّن له، ولذا لابدّ أن تكون بصيغة الجمع[1].

(س) قيل: إنّ المراد من قوله ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي حتّى متمّ، فيكون المعنى شَغَلَكُم التباهي والتكاثر في متاع الدُّنيا حتّى لقيتم الموت، وهنا يظهر الإشكال وهو أنّ الزائر هو الذي يزور وينصرف والميّت يبقى فكيف تقول الآية عنه إنّه زار القبر؟

(ج) إنّه قد يبقى الزائر ويمكُثُ مدّة من الزمن ولكن لابُدّ له من الرحيل إلى موطنه ومقرّه الأصلي وهكذا يرحل أهل القبور إلى يوم الحساب ومكانه لينتقلوا منها إلى دارهم الدائم والباقي.

(س) قوله (تعالى): ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ إخبارٌ عن الماضي فكيف نحملَه على المستقبل؟

(ج) يحتمل أن يكون المراد منه هو إنّ مَن كان مُشرفاً على الموت بسبب الكِبَر، يُقال له: إنّه على شفير القبر، الآية إخبارٌ للمتلهين بأنّكم أشرفتم على الموت، ولكن لم تتّعظوا ولم ترتَدعوا عن عملكم.

(س) لماذا أطلق الله (سبحانه وتعالى) الأمر المُلهى عنه، إذ لم يَقُل ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ عن ذكر الله أوالصلاة أو غير ذلك ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾؟

(ج) إنّه (عزّوجلّ) لم يُبيِّن الشيء الذي ابتعد عنه المتفاخر والملتهي وذلك لكي يذهب ذهنَهُ

(١) منة المنان: الآية.

إلى جميع المذاهب، فيدخل في جميع ما يحتمل وهو أبلغ في الذمّ.

۞ قال تعالى: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

(س) قوله (سبحانه وتعالى): ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هو ردع لتكاثُرهم وتفاخرهم الغير صالح ومن ثمّ الانشغال بالتوافه وتهديدهم بأنّكم سوف تعلمون نتيجة وحقيقة تلهيكم هذا، والسؤال الذي يظهر هنا هو متى سوف يعلمون ذلك؟

(ج) إنّهم سوف يعلَمُون انحرافهم الكبير عن الطريق المستقيم وذلك عندما تُرفع عنهم حُجب الغشاوة والجهل المعمّد الذي وضعوه على قلوبهم وأفكارهم، ويكون زمن ذلك في وقت الانتقال والخروج من هذه الدُّنيا عند سكرات الموت، وهكذا سوف يعلم حقيقة ذلك في الحياة الثانية أي في عالم البرزخ، قال (عزّوجل): ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَة مِنْ هذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

(س) لماذا تكرّر قوله (عزّوجلّ): ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؟

(ج) قيل: إنّه تأكيد للردع والتهديد السابقين، وقيل: إنّه سوف يعلمون حقيقة انحرافهم بصورة أكبر عند خروجهم من قبورهم إلى المحشر علماً أرقى من الأوّل لكي يَعلَم عمق الجهل المعمد الذي دَخَلهُ في حياته الدُّنيا[2].

۞ قال تعالى: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾.

(س) ما هو المراد من قوله: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾؟

(ج) إنّه ردع لهم بعد الردع الأوّل وتوبيخٌ لهم لو أنّهم كانوا يعلمون نتيجة عملهم وتلهيهم علم حقيقي، لشغلهم وأبعدهم علمهم هذا عن تفاخرهم وانحرافهم عن الجادّة الصحيحة، وبما أنّهم تغافلوا وتعامُوا عن الحقّ والعلم لهذا أقسم القرآن الكريم بأنّهم

---

(١) ق: ٢٢.

(٢) تفسير الفرقان: الآية.

سوف يرون الجحيم ويدخلونها ليأخذوا جزاءهُم بما كانوا يُفسدون في الأرض ويستكبرون[١].

(س) ما هو جواب (لو) في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ﴾؟

(ج) قال الطباطبائي (رحمه الله): «إنّ جواب لو محذوف والتقدير هو: لو تعلمون الأمر علم اليقين لشغلكم ماتعلمون عن التباهي والتفاخر بالكثرة»، وقال آخر تقديره: لو علمتم لرجعتم عن كفركم[٢].

(س) لماذا جاء قسمٌ ثان للكفّار على رؤية الجحيم بعد القسم الأوّل، حيث قال أوّلاً ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ثمّ أقسم أيضاً بأنّهم سوف يرونها عين اليقين؟

(ج) إنّهم يرون الجحيم مرّتين بصورة لَهَب في قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ وفي الرؤية الثانية يرون الحفرة والجحيم وكيفيّة السقوط فيها، بالإضافة إلى ما فيها من أنواع العذاب الذي أُعدّ لهم، فهذه الرؤية أجلى وأوضح من الرؤية الأُولى، أي أنّهم يرونها محض ونفس اليقين، وهذا ما يقصده قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾.

۞ **قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾.**

(س) هل أنّهم يرون الجحيم من خارجها أو من داخلها وما هو الدليل على ذلك؟

(ج) لاشكّ أنّهم يرونها من خارجها وذلك من مكانين؛ مرّةً من مكان بعيد كما في قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ وقوله (عزّوجلّ): ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِنْ مَكَان بَعِيد سَمِعُوا لَـهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾[٣]، والرؤية الثانية وهم على شفيرها، والدليل على ذلك هو أنّ محاكمتهم لم تنتهي بعد، إذ تقول الآية الأخيرة: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٤].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) تفسير الميزان: الآية.

(٣) الفرقان: ١٢.

(٤) تفسير الفرقان: الآية.

(س) لماذا القرآن يُهدِّد الكريم المتفاخرين والمتكاثرين بهذه الصورة الشديدة، وما فائدة ذلك؟

(ج) إنّ تأكيد الوعيد والتهديد بالعذاب للمتفاخرين المتلهّين عمّا يُراد منهم هو نوع من التقريع لهم والتوبيخ على مسيرتهم الضالّة هذه، لعلّهم يرجعون عن غيّهم قبل فوات الأوان، وفي إظهار هذا التهديد تحذير للذي يُريد أن يسلك مثل مسلكهم الضالّ والباطل، وتبيينُ أيضاً للذين ابتعدوا عن التفاخر في الأمور الزائلة، بأنّهم على خير في الدُّنيا والآخرة.

۞ قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

(س) ما هي النِّعم التي سوف يُسئل عنها الإنسان يوم القيامة، كما تقول الآية المباركة: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾؟

(ج) النِّعم التي سوف يُسئل عنها الإنسان يوم القيامة، هي جميع النِّعم التي توصله إلى الكمال والرقي الإنساني وإلى رضوان الله (عزّوجلّ) وجنّته، فسواء كانت هذه النِّعم معنوية أو كانت مادّية، فالنِّعم المعنوية تارةً تكون الرسالة والرسول وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وتارةً يكون العقل والفطرة السليمة والوقت والصحّة والبيان، وأمّا النِّعم المادّية فلا تعدّ ولا تحصى وسوف يُسئل عنها الإنسان، عند وقوفه بين يدي الله (تبارك وتعالى) قال (عزّوجل): ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[١] [٢].

(س) لماذا يُسأل الإنسان عن هذه النِّعم؟

(ج) النِّعم إنّما وضعت بين يدي الإنسان لأجل إيصاله إلى الهدف الذي خُلِقَ لأجله، كما

---

(١) الأحقاف: ٢٠.

(٢) تفسير الفرقان: الآية.

قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)]، لذا على الإنسان أن يُسخّرها لأجل هذا الهدف السامي، وأمّا إذا انحرَفَ عن هذا المسير فلاشكّ سوف يُسئل عن كيفيّة تعامُله مع هذه النِّعم، فكأنّما السؤال عن النِّعم وكيفيّة التصرّف بها هو سؤالٌ وإظهارٌ لشخصيَة الناس ومصيرهم.

(س) لماذا يُسأل الكافر عن النعم التي حصل عليها في حياته الدُّنيا، وهو على شَفير جهنّم وسيدخلها بعد قليل؟

(ج) السؤالُ نوعٌ من التوبيخ والخزي له: قال (عزّ وجلّ) في كتابه الكريم: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[(٢)].

(س) هناك نعم وُضعَت بين يديّ الإنسان مثل الصحّة والوقت والطعام والماء البارد وغير ذلك فلماذا يُسَئل الإنسان عنها يوم القيامة، وليست بشيء أمام الله (عزّوجلّ)؟

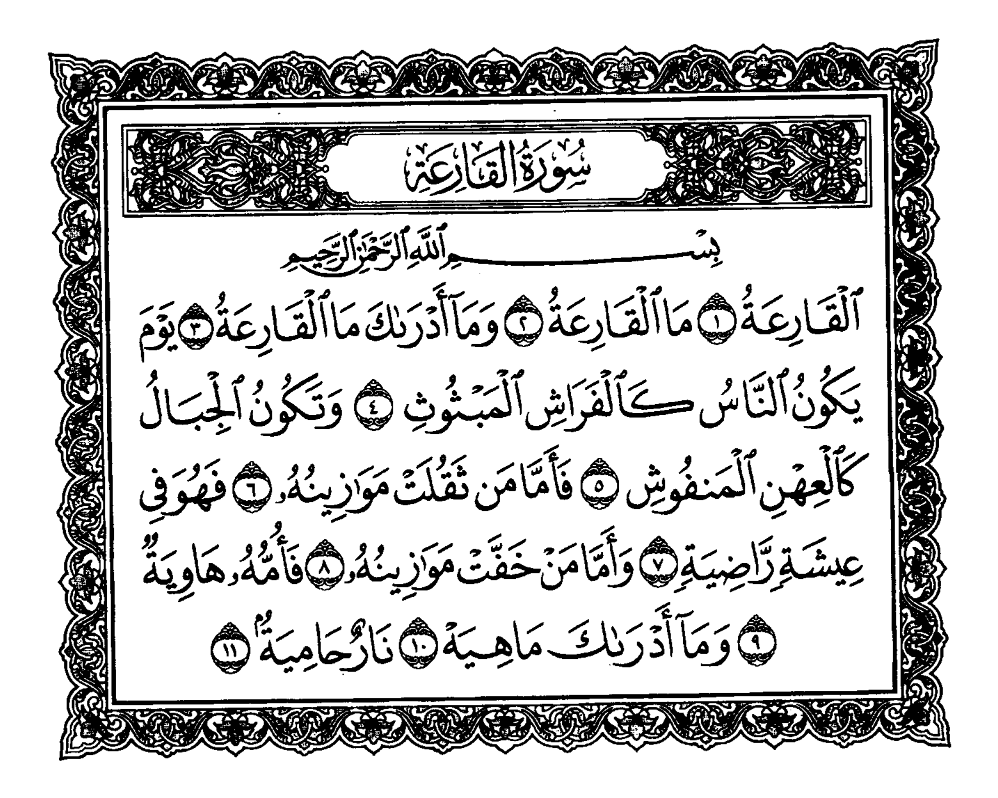
(ج) فكما أنّ الإنسان يُسئلُ يوم القيامة عن النِّعم الكبرى التي وضعت بين يديه، فكذلك يُسئل عن النِّعم الصغيرة، لأنّ النِّعم بأجمعها وُضعت لأجل الوصول إلى الله (عزّوجلّ)، لا لأجل الحياة الدُّنيا، ولهذا السبب يحاسَب الإنسان إذا استخدم شيئاً منها لأجل هواه ومُناه. وإن كانت بعض النِّعم التي يُسئل عنها الكافر غداً تافهة حسب نظر البعض، فالكافر أتفه منها ولا يستحقّها.

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) آل عمران: ١٩٢.

سُورَةُ القَارِعَة



فضلها:

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: من قرأ وأكثَرَ من قرائة القارعة، آمنه الله من فتنة الدجال، أن يؤمِن به، ومن قيح جهنم يوم القيامة انشاء الله تعالى.

المفردات:

القارعة: هو الضرب بشدّة واعتماد، مثل قرع الباب أي ضربها بشدّة، وسمّيت

الحادثة العظيمة من حوادث الدهر بالقارعة أيضاً، قال (عزّوجلّ): ﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾[١].

الفَراش: قال الزجّاج: «هو الحيوان الذي يتهافت في النار، وسُمّي بهذا الاسم لتَفَرُّشه وانتشاره». وعن الفراء: «هو الجراد الذي ينفرش ويركب بعضه بعضاً وهو غوغاء الجراد»، وعن الراغب: «هو طير معروف».

المبثوث: المتفرّق أو المنتشر.

العهن: الصوف ذو الألوان المختلفة.

المنفوش: المفكوك بعضه عن بعض وهو نشر الصوف بندف ونحوه.

الموازين: جمع ميزان وهو ما يوزنُ به وما يُوزن.

العيشة: مصدر بمعنى العيش.

راضية: ذات رضى.

فأمّه: مأواه ومرجعه الذي يرجع إليه، كما يرجع الولد إلى أُمّه.

هاوية: هي جهنّم وسمّيت بهذا الاسم وذلك لهويّ من أُلقي فيها أي سقوطه إلى أسفل سافلين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٢] وهذه التسمية من المجاز العقلي.

موضوع السورة:

في السورة إنذارٌ وتبشير بالقيامة، والإنذار هو الغالب فيها، وأنّها تقرع الإنسان وتذكّره بالقارعة الكبرى وهي يوم القيامة، وتحفِّزهُ للاستعداد لها وذلك بتكثير الأعمال الصالحة، لكي يثقل عنده ميزان الحقّ ولكي تُخفَّفُ عنه أخيراً قَرعَةُ يوم القيامة ويصبح في عيشة راضية.



(١) الرعد: ٣١.

(٢) التين: ٥ ـ ٦.

الأسئلة والأجوبة

❁ قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ. مَا الْقَارِعَةُ﴾.

(س) لماذا سمّيت يوم القيامة بالقارعة إلى جانب تسميتها بالأسماء الأخرى؟

(ج) سمّيت يوم القيامة بهذا الاسم لأنّها يوم التضارُب والتداقّ، يتضارب الكونُ ويضطرب بقرع الأنجم والكواكب ببعضها لحدّ الانتشار ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾[١]، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[٢]، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[٣]، وسُمّيت بهذا الاسم لأنّها تَقرَعُ القلوبَ بالفزع، وتقرع أعداء الله بالعذاب الأكبر جزاءاً بما كانوا يصنعون في الدُّنيا. وأوّل قارعة أو صيحة يسمعها الخلق هي الصيحة المميتة للجميع ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾[٤].[٥]

(س) سُمّيت يوم القيامة بالقارعة وذلك لمصاحبتها للقرعات والصيحات المختلفة، فتارةً الصيحة التي تخرج من الصور التي تُميتُ الخلائق لقوله (عزّوجلّ): ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ وبالصيحات الأُخرى التي تظهر بانشقاق السماوات وانفطارها وفي الجبال باندكاكها وفي الأرض والسماء بالطيّ والتبديل، فهل يتأثّر ويفزع المؤمنُ من هذه الأهوال والقوارع الكثيرة والمُخيفة؟

(ج) ربُّنا (سبحانه وتعالى) وَعَدَ عباده المؤمنين بالأمن والسلام أينما حلّوا وارتحلوا، ففي هذه الدُّنيا يعيشون حياةً طيّبةً وهكذا في البرزخ ويوم القيامة الكبرى، قال (عزّ وجلّ): ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾[٦].

---

(١) الانفطار: ٢.

(٢) التكوير: ١.

(٣) الزلزلة: ١.

(٤) الزمر: ٦٨.

(٥) تفسير الفرقان: الآية.

(٦) النمل: ٨٩.

(س) لماذا يُفزَعُ ويُقرَعُ الكافرُ يوم القيامة ، قبل محاسبته على أعماله وجرائمـه ، أو لا يكفيـه العذاب الكبير الذي سيواجهه يوم القيامة وفي نار جهنّم؟

(ج) القرعة الشديدة التي يواجهها الكافر يوم القيامة هي جزءٌ من العذاب الذي أُعدَّ له جزاءاً بما كان يعصي الله (عزّ وجلّ) ، فهذه قرعةٌ تُضاف إلـى مـا لاقـاه في القبـر مـن قرعـات ، وقرعـات أُخرى كـان يواجهـها في حياتـه الدُّنيـا وهـي أخـفّ مـن قرعـة الآخـرة ، قــال (عزّوجلّ) : ﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبـاً مِـنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[1] .

۞ قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾.

(س) لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾؟

(ج) ١) الخطابُ له ﷺ والمقصود به غيره من قبيل : إياكِ أعني فاسمعي يا جارة .

٢) النبي محمّد ﷺ كان يدرك ويعرف معنـى القارعـة ، والمراد بـه هنـا هـو الإحسـاس المباشر لا الصورة الذهنية ، فهو لا يعلم بالقارعة علم الإحساس إلاّ عند تحققـها في الخـارج . فالخطاب بهذه الصورة متوجهٌ إليه أيضاً .

٣) أن يكون الخطاب للمبتلى بالقوارع الإلهيـة الدنيويـة ، قـال (تبـارك وتعـالى) : ﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّـى يَـأْتِيَ وَعْـدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[2] [3] .

(س) قد يرى الإنسان في حياته الدُّنيا قوارع شديدةً جداً سواء أرضية أو اصطكاكات سماوية وأحياناً قوارع روحية أو لا يكون لها شيء من الشبه بقارعة الآخرة؟

(ج) لا يمكن لأحد أن يعلم كُنه ودرجة قارعة الآخرة ، لـهذا قـال تعـالى : ﴿وَمَـا أَدْرَاكَ مَـا الْقَارِعَةُ﴾ كأنّه (عزّوجلّ) يقول قوارع الدُّنيا بالنسبة للآخرة ليست بقوارع ، كما أنّ نـار

(١) الرعد : ٣١ .

(٢) الرعد : ٣١ .

(٣) منة المنان : الآية .

الدُّنيا بالنسبة لنار الآخرة ليست بنار، قال (عزّوجلّ) إنّ نار الآخرة ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ فكأنّما هذه النار باردة وأنّها ليست أكثر من تذكرة ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾[1].

(س) ما هو الفرق بين قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ﴾ وبين قوله (تعالى): ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾؟

(ج) قال المحقّقون إنّ (القارعة) أشدّ من (الحاقّة) وذلك لأنّها نزلت بعدها وأنّ النازل في الوقت المتأخّر لابدّ أن يكون المقصود فيه زيادة التنبيه، ولا يحصل هذا إلاّ إذا كان أشدّ من الأولى.

❁ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾.

(س) لماذا شبّه الله (عزّوجلّ) الخلق يوم القيامة كالفراش المبثوث، بينما وصفهم في سورة أخرى كالجراد المنتشر؟

(ج) قيل: إنّ الفراش هو غوغاء الجراد وشُبّه الناس عند البعث بذلك، وذلك لأنّ الفراش إذا ثار لم يتّجه إلى جهة واحدة كسائر الطير، وهكذا الناس إذا خرجوا من قبورهم أحاط بهم الفزع فيتوجّهوا إلى جهات شتّى أو إلى منازلهم المختلفة، إمّا سعيدة أو شقيّة، كما كانوا مختلفين في الاتجاه في الدُّنيا.

وقيل: إنّ الفراش المبثوث هو الجراد المنتشر في قوله (تعالى): ﴿خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾[2] وقيل: إنّهم شبّهوا بذلك لكثرتهم[3].

(س) قيل: إنّ المراد من الفَراش هو الحيوان الذي يتهافت في النار فكيف يوصف الإنسان بوصفين إذ تقول آية أُخرى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾؟

---

(١) الواقعة: ٧٣.

(٢) القمر: ٧.

(٣) التفسير الكبير: الآية.

(ج) شُبّه الإنسان في يوم القيامة بنوعين من المخلوقات وذلك لأجل صفتين أو أمرين، فالتشبيه بالفراش هو لذهاب كلّ واحد إلى غير جهة الآخر، وشُبّهوا بالجراد لكثرتهم.

۞ **قال تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾.**

(س) لماذا وصف الله (عزّوجل) حالَ الجبال يوم القيامة كأنّها الأصواف الملوّنة والمنتفشة؟

(ج) لأنّ الوانها مختلفة في الدُّنيا، وكما بيّن الله (تعالى) في كتابه الشريف حيث قال: ﴿وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[1]، فعندما تتلاشى هذه الجبال بفعل القارعة الكبرى، تصبح كأنّها الصوف الملوّن الذي نَشَرَه النداّف[2].

(س) لماذا ذكر الله (عزّوجلّ) حال الجبال يوم القيامة بعدما بيّنَ حال الإنسان فيها وما فائدة ذلك؟

(ج) كأنّه سبحانه وتعالى يريد أن يُنَبِهَنا ويَحُثّنا على الاستعداد الكامل لذلك اليوم، عن طريق التزوّد بالإيمان والعمل الصالح، فإنّ تأثير القرعة على الجبال تحوّلها كالصوف المندوف، فكيف يكون حال الإنسان عند سماعها، فالويل لابن آدم إذا لا يستعدّ لها ولم تدركه الرحمةُ الإلهية وشفاعة النبيّ ﷺ وأهل بيته الأئمّة الأطهار عليهم السلام[3].

(س) هل الجبال الراسيات تتحوّل مرّة واحدة إلى حالة العهن المنفوش أم أنّها تواجه ضربات أُخرى قبل قرعها؟

(ج) تُبيِّن الآيات المباركات أنّ الجبال تواجه مراحلاً وحالات متعدّدة عند حدوث يوم القيامة إلى أن ينسفها الله (عزّوجلّ) نسفاً فيذَرَها قاعاً صفصفاً، فالمرحلة الأُولى ١- تصبح كتلال الحصى على أثر الرجفة المدمِّرة و ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً﴾[4]، وعلى أثر الدكّة الأولى ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا

---

(١) فاطر: ٢٧.
(٢) التفسير الكبير: الآية.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المزمّل: ١٤.

دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[١]، ٢- وتصبح كالغبار المنبعث بسبب الاصطدامات المستمرّة ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً﴾[٢]، ٣- ثمّ تصبح كالعهن ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾[٣]، ٤- ثمّ تُنسف فلايبقى منهاإلاّ سراب وقاع أملس ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً * فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً * لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلاَ أَمْتاً﴾[٤] [٥].

(س) لماذا كرّر الله (تبارك وتعالى) الفعل المضارع (يكون) دون أن يكتفي بواحدة، قال (عزّ وجلّ): ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾؟

(ج) تكرار كلمة (تكون) في هذا المقام أبلغ في التحذير.

(س) لفظة الناس في قوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ هل تشمل المؤمنين، وهل أنّ قارعة الآخرة تذهلهم كما تذهل الكافرين وترعبهم؟

(ج) إنّ لفظة الناس تشملهم إذ يَنتَشرون ويتحرّكون ولكن صوب منازل الخير والسعادة، دون أن تذهلهم القارعة بقرعتها فهم في عيشة راضية دائماً، قال (عزّوجلّ): ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَ تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٦].

۞ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾.

(س) ما معنى ثقل الميزان في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ... وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ

---

(١) الحاقة: ١٤.
(٢) الواقعة: ٥ ـ ٦.
(٣) القارعة: ٥.
(٤) طه: ١٠٥ ـ ١٠٧.
(٥) تفسير الفرقان: الآية.
(٦) الانبياء: ١٠٣.

مَوَازِينُهُ﴾؟

(ج) قال العلاّمة الطباطبائي (رحمه الله) أنّه إشارة إلى وزن الأعمال، فمن الأعمال ما هو ثقيل الوزن، أي له قدرٌ ومنزلة عند الله (تعالى) وهو الإيمان وأنواع الطاعات ومحبة الرسول وأهل بيته الطاهرين المعصومين عليهم السلام، حيث ورد أنّ أثقل مايوضع في ميزان المرء يوم القيامة هي الصلاة على النبي وآله الطاهرين عليهم السلام[1].

عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام قال: «أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الصلاة على محمّد وآل محمّد»[2].

ومن الأعمال ما ليس لها وزن وهو الكفر والمعاصي، فيستتبع الثقيل السعادة والخفيف الشقاء.

(س) لماذا استعملت الآية المباركة الجمعَ في الميزان، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ..﴾؟

(ج) إنّ المراد من الجمع أحد الأمور التالية:

١- أن يكون المقصود له ما في الميزان. أي الموزونات ومن الطاعات والمعاصي وهي كثيرة عادة.

٢- لعلّه يكون لكل فعل من الصالحات أو الطالحات، ميزان خاص به، كميزان الصلاة والصيام وميزان الغيبة والكذب وغير ذلك[3].

(س) إنّه تعالى نسبَ الثقل إلى الميزان، بينما المناسب هو أن ينسب إلى ما في الميزان أو إلى الكفة، فكيف يمكن فهم ذلك؟

(ج) ١- أن نسمّي ما في الميزان ميزاناً مجازاً، كعلاقة المظروف بظرفه.

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) البحار ج٧١ ص٣٧٤.

(٣) منة المنان: الآية.

٢- أن نقصد بالميزان (الكفة) باعتبار إطلاق اسم الكل على الجزء[١].

(س) ما هي الأمور اللازمة في العمل لكي يكون لها وزن وثقل في القيامة؟ فهل جميع الحسنات التي يعملها الإنسان لها وزن يوم القيامة؟

(ج) إنّ هناك أموراً يجب أن تلازم العمل الذي يصدر من الإنسان، لكي يكون له وزن وثقل وإلاّ فلا، منها:

١- الولاية: فلا تكون الحسنات منجية إلاّ بها.

٢- العلم: فالذي يعمل الحسنات ولكنه لا يدري أنّها حسنات فلا قيمة لها، إلاّ أجراً عاجلاً يُعطى له وليس له في الآخرة من نصيب.

٣- قصد القربة: فالعمل الذي لا يُراد منه التقرّب إلى الله (تعالى) لا قيمة له ولا بقاء، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[٢].

٤- التقصير والقصور: فالمقصّر يحاسَب ويعاقَب، والقاصر الغير متعمِّد لا يحاسب لعدم علمه، قال (تعالى): ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾[٣] [٤].

(س) لماذا لم توجد السين أو سوف في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ التي تفيد الاستقبال، مع أنّ ثقل الميزان في يوم القيامة والرضا الكامل يكون في الجنة، فكيف يصحّ حذف حرف التسويف؟ إذ لم يقل: فسيكون في عيشة راضية أو سوف يكون في عيشة راضية؟

(ج) إنّه تعالى ترك التسويف للأمور التالية:

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٣) النساء: ٤٠.

(٤) تفسير منة المنان: الآية.

١ - إنّ العيشة الراضية قد تحصل للإنسان في هذه الحياة، عندما يشتدّ إيمانه ويزداد حبه وتعلّقه بالله (تعالى) ومن ثم يجعل الله له الفرج واليسر في حياته، فلذا لا يرى المؤمن بعد هذا أيّ شدّة ومحنة حتى لو كان داخلاً فيها، كما كان الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في ليلة وصبيحة يوم عاشوراء، إنّهم كانوا في أتم السعادة لأنّهم كانوا يعلمون أنّهم على النهج الصحيح وأنّهم سيلاقون ربهم عن قريب وهو عنهم راض. يُذكر أنّ الإمام الحسين (عليه أفضل الصلاة والسلام) سأل ابن أخيه القاسم بن الحسن عليهما السلام في ذلك اليوم، كيف ترى الموت عندك؟ فقال القاسم عليه السلام: «يا عمّ في سبيلك والله أحلى من العسل».

٢- إنّه قد يدخل المؤمن الجنة بلا حساب، فلا يرى أهوال يوم القيامة وحسابها، فهو إذاً في عيشة راضية.

٣- لعلّه يكون من باب الاختصار في التعبير باعتبار وضوح فوز الفرد وقرب دخوله الجنّة، فيكون من قبيل المجاز[1].

(س) كيف قال (تعالى): ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي من رجُحت سيّئاته على حسناته فمصيره ومسكنه النار، وأكثر المؤمنين سيّئاتهم راجحة على حسناتهم؟

(ج) ١ - الآية المباركة لا تقصد المؤمنين، بل تقصد الكفار وموازينهم والمراد من خفّتها هو خلوّها من الحسنات بالكامل.

وإذا كان للمؤمنين سيّئات قد ترجح وتزيد على الحسنات فإنّها مغفورةٌ بلطف الله (تعالى) ورحمته وبسبب الاجتناب عن الكبائر، قال (تبارك وتعالى): ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾[2].

۞ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾.

(س) في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ تلميح إلى أنّ للكافر شيءٌ من الحسنات إذ لا يخلو منها مهما كان بعيداً عن الله (تبارك وتعالى)، فكيف يكون

(١) المصدر نفسه.

(٢) النساء: ٣١.

مصيره جهنم خالداً فيها وفي جعبته أعمال صالحة وحسنات؟

(ج) إنّ الحسنات إنّما تكون ثقيلةٌ ومقبولة من قبل الله (تبارك وتعالى) وذلك إذا صاحبها الاعتقاد الصالح والطاعة الكاملة لله ورسوله الأكرمﷺ لاسيما فيما أوصى به بالولاية والخلافة من بعده، فصاحب الحسنات إذا لم يكن في قلبه ولاية ومحبة أهل البيتعليهم السلام، فلا وزن لحسناته وما أعماله الصالحة إلاّ كسراب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1][2].

(س) ما هو المقصود من الموازين في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾؟

(ج) الموازين: جمع ميزان وهو ما يوزنُ به وما يوزن أيضاً ولا يُراد به في الآية الموازين المادّية، قال الإمام الصادقعليه السلام: «الموازين هي موازين الإنسانية» فالصالحات هي التي تُثقل الميزان إذ هي التي لها وَزنٌ لكونها حقّ، قال (عزّوجلّ): ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾[3]، بينما الكافر والفاسق لا يمتلك وزناً لأعماله وإن عمل خيراً ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾[4] [5].

(س) لماذا لا يمتلك الكافر وزناً وجزاءاً صالحاً للأعمال المفيدة التي قام بها في حياته الدُّنيا؟

(ج) إنّه ما كان يريد بها وجه الله (عزّوجلّ) وما كان يرجو لقائه، لهذا لا تبقى أعماله إلى الآخرة بل يؤجَر عليها في الدُّنيا دون أن يُبخس، قال (عزّوجلّ): ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ

(١) النور: ٣٩.

(٢) منة المنان في الدفاع عن القرآن: للشهيد السيد محمد الصدر.

(٣) الأعراف: ٩.

(٤) الكهف: ١٠٥.

(٥) تفسير الميزان: الآية.

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ. أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾.

(س) لماذا استخدمت الآية المباركة لفظة الأم في قوله: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ بالنسبة لمصير الكفّار؟

(ج) المراد من هذه الكلمة هو أنّ مأوى ومصير الكافر في الآخرة هي الهاوية أو نار جهنّم، كما كان يأوي ويلتجأ إلى أُمّه عندما كان وَلَداً صغيراً.

(س) لماذا استخدمت السورة المباركة لفظة الهاوية لجهنّم في قوله ﴿فأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ مبيِّنة مصير الكفّار؟

(ج) سميّت جهنّم بالهاوية وذلك لهوي مَن أُلقي فيها أي سقوطه إلى أسفل سافلين، وأنّه استحقّ الهوي جزاءاً وفاقاً، لأنّه قدّم ذلك لنفسه حتّى أرداها إلى أسفل سافلين عندما اختار اللذّات العاجلة على رضوان الله (عزّوجلّ) وطاعته، قال الله (عزّوجلّ): ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ. إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[3][4].

۞ قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَه * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.

(س) ربُّنا (سبحانه وتعالى) قال في تعظيم وتفخيم أمر الهاوية بأنّك يارسول الله ﷺ لا تعلم عن تفصيلها قال ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ﴾ ثمّ أجاب عن حقيقة نار جهنّم بأنّها ﴿نَارٌ

---

(١) هود: ١٥ـ١٦.
(٢) الصافات: ٣٩.
(٣) التين: ٤ و ٥.
(٤) تفسير الفرقان: الآية.

حَامِيَةٌ﴾ أي شديدة الحرارة، أوليست نار الدُّنيا شديدة الحرارة، حيث يتلاشى الشيء الواقع فيها؟

(ج) فكأنّه (عزّوجلّ) يُريد أن يقول: بأنّ ناركم هذه ليست بشيء أمام تلك النار، إنّ نار جهنّم هي الحامية وما ناركم إلاّ تذكرة لنار الآخرة، قال (عزّوجلّ): ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ. أَأَنْتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ. نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾[1].

(س) قيل: إنّ المراد من (أُمّه) في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي يسقط في النّار على أُمّ رأسه؟

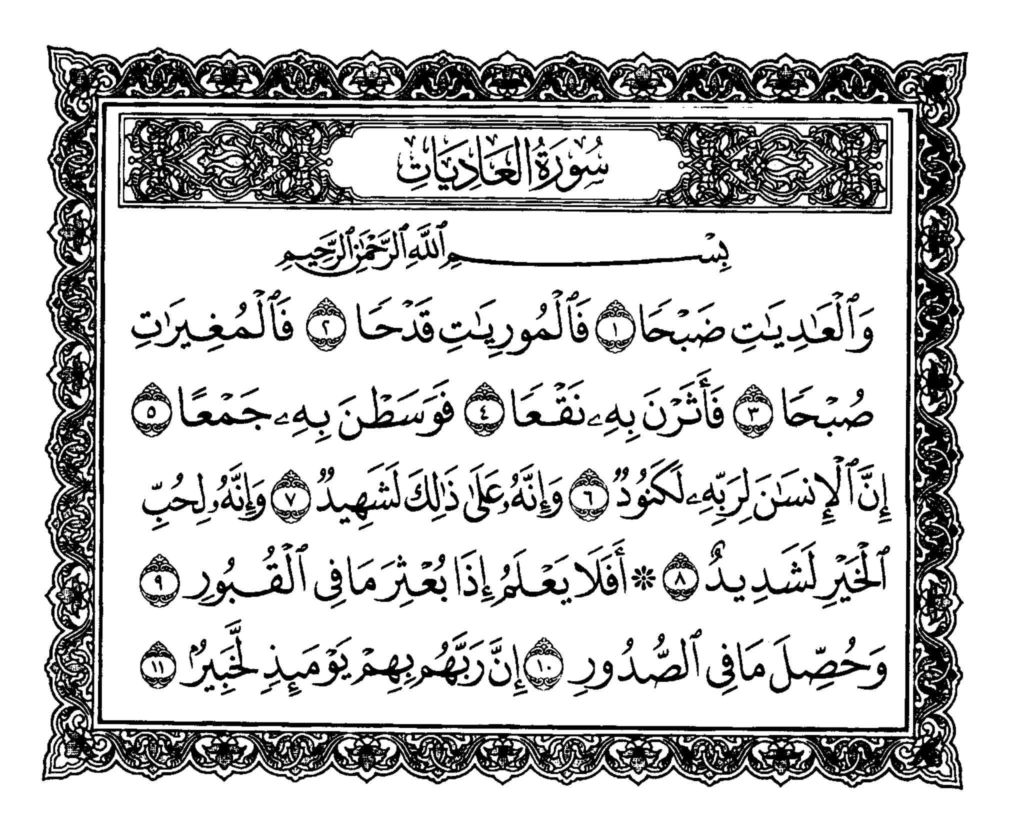
(ج) لا يمكن قبول هذا القول لأنّ الضمير في قوله: ﴿مَاهِيَهْ﴾ يبقى بلا مرجع[2].

---

(١) الواقعة: ٧١ ـ ٧٣.

(٢) تفسير الميزان: الآية.

سورة العاديات



فضلها:

عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: من قرأ سورة العاديات وأدمن قرائتها بعثه الله عز وجل مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم القيامة خاصه وكان في حجره ورفقائه.

سبب نزولها:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «نزلت السورة لمّا بعثَ النبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام إلى ذات

السلاسل فأوقع بهم، وذلك بعد أن بعث عليهم مراراً غَيرَه من الصحابة فرجعَ كُلٌّ منهم إلى النبيّ ﷺ فاشلاً. سمّيت هذه الغزوة بذات السلاسل وذلك لأنّ الإمام عليّ عليه السلام أسر منهم وقتل وشَدَّ أسراهم في الحبال مكتفين كأنّهم في سلاسل، ولمّا نزلت السورة خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فصلّى بهم الغداة وقرأ فيهم والعاديات فلمّا فرغ من صلاته قال أصحابه: هذه السورة لم نعرفها، فقال رسول الله ﷺ: نعم إنّ عليّاً ظفر بأعداء الله وبشّرني بذلك جبرئيل عليه السلام في هذه الليلة، فقدمَ عليّ عليه السلام بعد أيّام بالغنائم والأسرى».

المفردات:

العاديات: جمع عادية وهي من العدْو: المشي السريع.

ضبحا: الضبح في الخيل وهو صوت أنفاسها عند الركض أو العدو.

الموريات: الايراء: إخراج النار بسبب العدوْ السريع، سواء في الجوّ أو في سرعة الدبّابات.

القدح: الضرب والصكّ، يُقال: قَدَحَ فأورى إذا أخرج النار.

المغيرات: الإغارة هو الهجوم على العدوّ بغتةً وهي صفة أصحاب الخيل ونسبتها إلى الخيل مجاز.

أثرن: من الإثارة بمعنى التهييج.

النقع: الغبار (أي فهيجن نتيجة العَدو والإغارة غُباراً).

فوسَطْنَ به جمعاً: أي صرن في وقت الصبح في وسطع الجمع (كتيبة العدوّ).

الكنود: الكَفور.

بُعْثِرَ: البعثرة هَو البعث والنشور.

تحَصيل ما في الصدور: تمييز ما في باطن النفوس.

موضوع السورة:

السورة تتحدّث حول كفران الإنسان لنعَم ربِّه وحبّه الشديد لمطلق الخيرات التي وضعها الله في هذه الدُّنيا، بحيث انجذبت إليها نفسه حتّى نسى شُكر ربّه، وأداء الحقوق والواجبات المفروضة عليه، وهو على علم كامل بهذا الأمر، وأنّ الله (عزّوجلّ) أقسم على هذه

الحقيقة في بداية السورة وذلك بالطاقات الجبّارة التي أودعها الله في مخلوقاته بحيث يتمكّن الإنسان بها الدفاع عن نفسه وماله وعرضه .

❖ ❖ ❖

الأسئلة والأجوبة

❁ قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾.

(س) هل أنّ قوله تعالى : ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ قَسَمٌ بالخيل المسرعات في سبيل الله (عزّوجلّ) فقط ، أم أنّ القَسَم يشمل الوسائل والطاقات الأُخرى التي يمكن لها العدو السريع في سبيله (عزّوجلّ)؟

(ج) بما أنّ القرآن الكريم لا يختصّ بزمن واحد وفترة معيّنة ، وأنّه لكلّ الأزمان إلى قيام يوم الدين لذا فإنّ ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ قسمٌ بجميع الطاقات والوسائل سواء كانت دبّابات أو طائرات أو سفن بحرية ، وذلك إذا قامت ووجّهت لخدمة الدين والإسلام[1] .

(س) لماذا جاء القَسَم في هذه السورة بالعاديات دون شيء آخر؟

(ج) ١ - القسم جاء ليُندد بالقوم المُغار عليهم إذ كفروا بنعمة الإسلام التي وضعها الله (عزّوجلّ) بين أيديهم لهذا قال (عزّوجلّ) : ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ .

٢- وأنّه تنديدٌ للذين يملكون هذه الطاقات الإلهية الجبّارة ، ولكن لا يستعملونها حيث أمر الله (عزّوجلّ) وكما أمر بل يؤثرون اللذّات العاجلة على الجهاد في سبيل الله ، وهو تنديدٌ أيضاً بالذين أرسلهم الرسول ﷺ لمهمّة الجهاد ولكنّهم رجعوا مختارين الفشل على النصر والجهاد . فكأنّ الآيات قَسَمٌ بالمناضلين الصادقين في أنّ من سواهم من الفاشلين المنهزمين لربّهم كنودين ، وأنّ الذي دعاهم إلى اختيار الفشل هو كفرهم الباطن .

٣) ولأهمّية العاديات في حياة الإنسان والإسلام جاء القَسَمُ بها ، كما أنّه (عزّوجلّ) أقسم بأمور مهمّة أخرى لإلفات نظرنا إليها قال (عزّوجلّ) : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

---

(١) تفسير الفرقان : الآية .

قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[١]. [٢]

(س) لماذا قرنت الآية صفة الضبح إلى جانب العاديات دون أن تُقرن لها صفة أُخرى؟

(ج) الضبح: هو صوت الأنفاس عند الركض وهو أمارةٌ على التعب، فكأنّ القَسَم جاء بالعاديات الضابحات المسرعات في سبيل الله (عزّوجلّ) غير مُباليات بما أصابها من تعب وجُهد، فبما أنّ الخيول هي التي كانت تستخدم في زمن رسول الله ﷺ لأجل الجهاد في سبيل الله، وأنّها ما كانت تتوقّف رغم تعبها وضعفها، فليكن العبد في طاعة الله (عزّوجلّ) دوماً دون توقّف وملل[٣].

۞ قال تعالى: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً﴾.

(س) لماذا وصفت السورة العاديات بالموريات قَدحاً؟

(ج) لعلّ القَسَم جاء بالعاديات التي تُوري قدحاً أي التي تخرج ناراً بسبب عدوها الضابح سواء التي في الجوّ أو البرّ أو البحر، فالعاديات الفعّالة والمجاهدة هي التي يمكن القَسَمُ بها دون غيرها[٤].

۞ قال تعالى: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾.

(س) ما هو المراد من قوله: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾؟

(ج) إنّه قَسَمٌ آخرٌ بصفة أصحاب الخيل الذين يهجمون على العدوّ بغتةً في وقت الصباح، وإنّما نسبتها إلى الخيل للمجاز، وقَسَمٌ بأولئك الشجعان الذين يختارون أفضل الأوقات لأجل الإطاحة بالعدوّ المعاند للحقّ، ومن ثمّ رفع ونشر لواء الإسلام عالياً.

(س) لماذا جاء القَسَم بالمغيرات صبحاً دون وقت آخر؟

---

(١) تفسير الفرقان: الآية.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(ج) إنّ الإغارة الجيّدة والناجحة هي التي تصل إلى النتيجة المطلوبة والهادفة، وذلك باستخدام السُبل الكفيلة لذلك منها الإغارة في الوقت المناسب الذي يُفاجئ العدوّ ويبهته حتّى تخمدَ قواه وقدرته، وأنَّ الإغارة صباحاً أفضل من باقي الأوقات، لأنّ الكفّار يكونون في هذاالوقت في غفلة ونوم عميق، وبعد مرور ساعات من فجر الصباح يظهر استعدادهم وتهيّؤهم، أمّا الليل فالظلمة تُعرقل الحركة، لذا فالصباح الباكر أفضل الأوقات للنيل من الأعداء[١].

۞ قال تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾.

(س) ما هو المراد من قوله: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾؟

(ج) المراد أنّ المسرعات المجاهدات في سبيل الله (عزّوجلّ) بعد أن قادها المناضلون الصادقون، أثاروا بفعل حركة العاديات السريعة غباراً ووضعاً أذهلوا العدوّ وأقضّوا مضجعهُ، والصفة الأُخرى التي يمتلكها هؤلاء المجاهدون هي أنّهم يوسطون بهجومهم العدوّ في عقر دارهم لتخويفهم واضعافهم معنوياً ثمّ القضاء على شوكتهم[٢].

(س) ما الهدف من تسلسل الآيات في السورة المباركة: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾؟

(ج) الله (عزّوجلّ) يُقسم بهذه الخطوات الخمسة الصالحة والمُتسلسلة ليدعونا إلى اتّباعها ومراعاتها عند مواجهة الأعداء لكي نصل إلى النصر بإذن الله (عزّوجلّ).

(س) ما هو الهدف من القَسَم؟

(ج) الهدف من القَسَم هو لأجل تبيين حقائق موجودة في طبع الكثير من الناس، منها استحباب العاجلة والكفر بآيات الله (عزّوجلّ) بدل التوجّه إليه وشُكر نعَمه، قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ الإنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ وفيها تعريضٌ على القوم المُغار عليهم إذ

---

(١) تفسير الفرقان: الآية.

(٢) المصدر نفسه.

كفروا بنعمة الإسلام، وتنديدٌ للّذَين أُرسلا لأجل الجهاد ومحاربة الأعداء، لكنّهما رجعا منهزمين فاشلين دون أن يحقّقا مهمّتهما. والحقيقة الثانية ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾[1].

(س) الضمير (به) في قوله تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾ إلى ماذا يعود؟

(ج) أ) عائدٌ إلى المكان الذي حدثت فيه الإغارة، إنّهم أثاروا في ذلك المكان غباراً بسبب العَدْوْ السريع.

ب) وقيل: عائدٌ إلى ذلك الزمن الذي وقعت فيه الإغارة، فيكون المعنى فأثرن في ذلك الوقت غباراً.

۞ قال تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾.

(س) الضمير (به) في قوله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾ إلى ماذا يعود؟

(ج) ١- يعود إلى العدوّ، فيكون المعنى: صرنَ (الخيل) بعدوهنَّ وسط جمع العدوّ.

٢- وقيل: عائد إلى النقع، فالمعنى فوسطن بالنقع جمعَ العدو.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ الإنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾.

(س) هل المراد من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ بأنّ الكافر يشهد على نفسه بالكفر في الدُّنيا، وهل يشهد الإنسان على نفسه بالسوء؟

(ج) لاشكّ أنّ أغلب الكفّار لا يشهدون على أنفسهم بالكفر والانحراف ولكنّهم يشهدون بصورة غير مباشرة عن طريق تصرّفاتهم وأفعالهم وأقوالهم من دون أن ينتهبوا أنّها تشهد بالانحراف والكفر بالله (عزّوجلّ)، وسوف يشهدون على أنفسهم بشكل كامل يوم القيامة، شهادة صوتية وصوريّة شاءوا أم أبوا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا

(١) المصدر نفسه.

(٢) النور: ٢٤.

جَاءوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[١] [٢].

وقيل: إنّ المراد من قوله: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ هو كقوله (عزّوجل): ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[٣].

۞ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

(س) الحقيقة الثانية التي تُبيِّنها السورة المباركة عن طبع الإنسان هي ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ فما هو المراد من الخير الذي يحبّه الإنسان؟

(ج) الخير هو المال، قال تعالى: ﴿... إِنْ تَرَكَ خَيْراً...﴾[٤]، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾[٥].

وقيل: هو مطلق الخيرات الموجودة على الأرض، وأنّ حبّ الخير فطريّ لدى الإنسان ولكن الكثير لا يشكر الله (عزّوجلّ) عليها، بل ينسى ربّه، ويختار الدُّنيا على الآخرة.

(س) القرآن الكريم وصف المال بالخير فلماذا يُذمّ الإنسان لحبِّه؟

(ج) الخير الذي وضع بين يدي الإنسان لم يؤمَر بحبّه وإنّما أُمرَ بإنفاقه وبذله في مكانه الصحيح، وإنّما الحبّ لله (عزّوجلّ) فقط، ولهذا نرى الذي يحبّ الأموال قلباً وقالباً يبخل بها على أعزّ الناس عليه، بل حتّى على نفسه، ولهذا قال عزّوجلّ: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أي بخيل وشحيح.

(س) هل لا يُحبُّ المؤمن المال، فكم نرى من المؤمنين يملكون الكثير من الأموال؟

---

(١) فصلت: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) تفسير الفرقان: الآية.

(٣) القيامة: ١٤.

(٤) البقرة: ١٨٠.

(٥) المعارج ١٢.

(ج) حُبّ المال بنفسه ليس محظوراً إذا كان الهدف منه الوصول إلى رضوان الله (عزّوجلّ) ورحمته، إذ بالمال يستطيع الإنسان الحصول على الدرجات العالية، قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]، ولكن إذا أصبح حبّ المال لأجل المال فهو محظورٌ ومرفوض؛ لأنّه سوف يكون معبوداً من دون الله (عزّوجلّ)، وسوف يبخلُ به بشكل كامل وهذا ما نراه في الكثير من الناس.

(س) هناك بعض المؤمنين يمتلكون الأموال الكثيرة ولكنّهم يحملون صفة البُخُل أولا يملكون صفة التناقض في أنفسهم؟

(ج) سبب البُخل عند بعض المؤمنين والصالحين هو الخلل والنقص الموجود في إيمانهم وحبّهم لله (عزّوجلّ) فهم يشركون بعبادتهم لله (عزّوجلّ) عبادة الأموال.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام: «يا بني.. إياك ومصادقة البخيل، فإنه يعقد عنك أحوج ما تكون إليه..»[2].

❁ قال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ دون أن يقول: من في القبور، وأنّ ما تفيد لغير العاقل؟

(ج) ذلك للإشارة إلى أولئك الذين كفروا بربّهم واستحبّوا الحياة الدُّنيا على الآخرة، هؤلاء خرجوا من إنسانيّتهم وأصبحوا كالبهائم بل أضلّ، ولهذا لا يستحقّون التعبير عنهم بـ (مَن) المختصّة بذوي العقول، ولكنّهم يصيرون بعد البعث عُقلاء وذلك لأجل محاسبتهم ومعاقبتهم، وتصبح أبصارهم حديد، قال (عزّوجلّ): ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[3] [4].

---

(١) آل عمران: ٩٢.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٧٥ تحقيق: صبحي الصالح (ره).

(٣) ق: ٢٢.

(٤) تفسير الفرقان: الآية.

(س) ما هو الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ وقوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾؟

(ج) الآية الأولى تُشير إلى بَعثرة ونَشر جميع من في القبور، بينما الآية الثانية تُشير إلى الإنسان الكنود وبعثه ليوم القيامة لأجل محاسبته على ما كسبت يداه.

۞ قال تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾.

(س) ما هو المراد من قوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾؟

(ج) تحصيل ما في الصدور هو تمييز ما في باطن النفوس من صفة الإيمان والكفر، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[1]، وقيل: هو إظهار ما أخفته الصدور لتُجازى على السرّ كما تُجازى على العلانية.

(س) لماذا خصّ (عزّوجلّ) أعمال القلوب بالذكر في قوله: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ وأهملَ ذكر أعمال الجوارح؟

(ج) أعمال الجَوارح تابعة لأعمال القلب، فلولا البواعثُ والرغبات التي تخرج من الصدور لما حصلت أفعال الجوارح، فكأنّما محاسبة الصدور هي محاسبة الجوارح أيضاً. لذا فإنّ القلب هو الأصل في الذمّ والمدح، قال تعالى: ﴿. . آثِمٌ قَلْبُهُ﴾، وقال في المدح: ﴿. . . وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ. .﴾.

(س) لمَ قال (عزّوجلّ): ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ولم يَقُل: وحصّل ما في القلوب؟

(ج) القلبُ مطيّة الروح وهو بالطبع محبٌّ لمعرفة الله وخدمته، بينما النفس هي التي تدعو إلى الهوى والشهوات ومحلّها الصدر، ولذلك قال: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[2].

(١) الطارق: ٩.

(٢) منة المنان: الآية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾.

(س) الضمير في قوله (عزّوجلّ): **﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾** جمع عائد إلى الإنسان وهو واحد، فكيف يتلائم مع الآيات المتقدّمة التي ذمّته؟

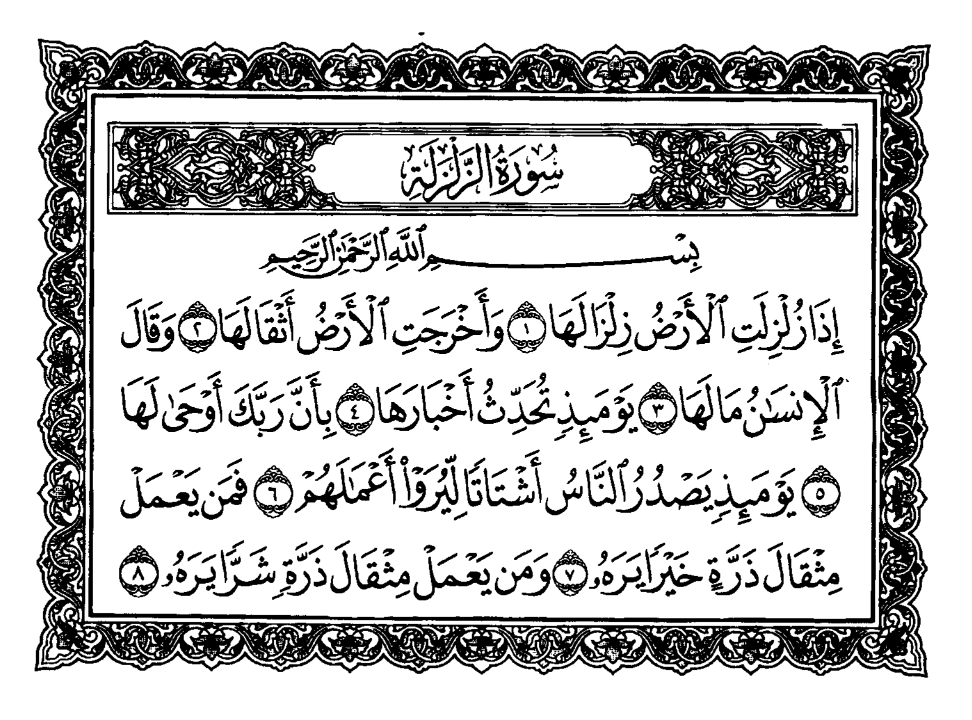
(ج) المراد من الإنسان في السورة هو جنس الإنسان فيكون المراد به الجمع كقوله تعالى: **﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** وإن لم تكن كلمة (الإنسان) للجمع لما صحّ ذلك.

(س) قوله تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾** أولم يكن (عزّوجلّ) خبيراً في الدُّنيا فما هو الفرق بين الخبرَتين؟

(ج) خبرَةُ الدُّنيا هي خَبرَةُ علم واطّلاع كامل بحيث يعلم السرّ وأخفى، وهذه الخبرة تظهر بصورة عملية يوم الجزاء، فتكون خبرَتهُ الكاملة هي التي تُدينُ الإنسان الكافر وتجازيه على أعماله، وعندها يصبح الإنسان أيضاً خبيراً بخبرَة الله (عزّوجلّ) الواسعة، بعدما كان يتجاهل ذلك، قال تعالى: **﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾**[1].

(١) التكوير: ١٢-١٤.

سورة الزلزلة



فضل السورة:

ابن بابويه عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: لا تملّوا قراءة «إذا زلزلت الارض» فمن كانت قراءته في نوافله، لم يصبه الله عزوجل بزلزلة أبداً، ولم يمت بها ولا بصاعقة ولا بآفة من آفات الدُنيا، فاذَا أمر به الى الجنة، فيقول الله عزّ وجل: عبدي ابحتك جنتي فاسكن منها حيث شئت وهويت لا ممنوعاً ولا مدفوعاً.

مفردات السورة:

زُلزلَت : حُرّكت بشدّة عظيمة .

الأرض : الجرم المقابل للسماء ، ويُعبر عن أسفل الأشياء كما يُعبّر بالسماء أعلاه .

يصدر : الصدور خلاف الورود ، والصادر هو المنصرف .

الذرة : يُقال لما يُرى من شعاع الشمس من الهباء .

أشتاتاً : متفرّقين .

موضوع السورة:

السورة تتحدّث عن مشهد عظيم من مشاهد وحوادث يوم القيامة وهي زلزلة الأرض زلزالها الكبير وصدور الناس أشتاتاً ، عندها تحدثُ الأرض أخبارها بسبب أمر الله لها بذلك ، وفيها يخوّف الله (عزّوجلّ) عباده من أهوال يوم القيامة ، والحساب الشديد والدقيق الذي يراه أمامه .



الأسئلة والأجوبة

۞ قال تعالى:﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.

(س) في رواية عن النبيّ محمّدﷺ أنّه قال : « . . من قرأها فكأنّما قرأ البقرة وأُعطي من الأجر كمن قرأ ربع القرآن» فلماذا يُعطى قارئ السورة من الأجر كمن قرأ ربع القرآن؟

(ج) وذلك لأنّ السوة تتحدّث عن المعاد ، وأنّ ما يُقارب ربع آيات القرآن الكريم يتحدّث عن المعاد . لذا فإنَّ من قرأها كأنّما قرأ ربع القرآن .

(س) كيف يمكن ربط السورة بالآيات التي سبقتها في السورة المتقدّمة لها؟

(ج) ذكروا في علاقة السورة بما قبلها أنّ الآية التي سبقت سورة الزلزال هي قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[1]، فكأنّ المكلّف يقول: ومتى يكون هذا يارب؟ الجواب: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتْ..﴾ فالكافر يكون في رعب وخوف دائمين، وأنت أيها المؤمن لا ترى إلاّ الخير والأمن ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾[2]. [3]

(س) قد يقول شخص: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾ تفيدُ الوقت، فما فائدة الابتداء بها في أوّل سورة؟

(ج) كانت قريش تسأل النبيّ ﷺ عن وقت قيام الآخرة بقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ...﴾[4] فكأنّ الرسول ﷺ قال لهم: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وكأنّ الله (عزّوجلّ) قال: لا سبيل إلى تعيينه بوقته ولكن أُعيّنه بحسب علاماته.

(س) لماذا قال (عزّوجلّ): ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾ ولم يَقُل: إن زلزلت الأرض..؟

(ج) قالوا: كلمة (إن) في المجوز، و(إذا) في المقطوع به أي الذي يوجد لا محالة، فمثلاً تقول: إذا أردت التخيير والإجازة (إن دخلت الدار فأنت طالق) فيمكن لها الدخول وعدمه، ولكن إذا أردت التعليق بما يحدثُ قطعاً فلابدّ أن تقول (إذا) مثلاً (إذا رأيتُ أبي فأنت طالق) ورؤية الأب حادثة لا محالة، وكما كان الزلزال مقطوعاً حدوثُهُ لذا قال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ...﴾[5].

(س) سمّيت الأرض بالراجفة وذلك لكثرة الرجفات التي تواجهها في الدُّنيا وبعدها، فما هي نوع الرجفة أو الزلزلة التي تتحدّث عنها السورة المباركة، بقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ

---

(١) البيّنة: ٨.
(٢) النمل: ٨٩.
(٣) التفسير الكبير: الآية.
(٤) الأعراف: ١٨٧.
(٥) المصدر نفسه.

الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.

(ج) إنّها رجفةُ الإماتة التي تُدمرها كاملاً وتميتُ مَن عليها، فهي الرجفَةُ الكبرى بعد مجموعة الرجفات التي واجهتها في حياتها الدُّنيا حتّى سمّيت بالراجفة، قال (تعالى): ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾[1].

(س) ما المقصود من الضمير (ها) في قوله: (زلزالها)؟

(ج) إضافة الضمير (ها) في زلزلة الأرض إشارةٌ إلى الزلزال الموعود والمكتوب عليها والذي يعمّ جميع الأرض بخلاف الزلازل المعهودة التي تُصيب البعض دون البعض الآخر، فيكون قوله زلزالها تنبيهاً على شدّتها اللائق بها لقيام الساعة[2].

(س) لماذا تُزلزل الأرض وتشقّ وتُمدّ وتُدك حتّى تُبدّل كُليّاً إلى ما شاء الله(عزّوجلّ)؟

(ج) ربُّنا (سبحانه وتعالى) كتب على جميع الخلائق بالموت والفناء منها الأرض، فقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾[3] وأنّه يُدمّرُ الأرض لكي يُبدّلها إلى حالة أُخرى كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[4].

(س) الراجفة أحدُ أسماء الأرض، فلماذا اتّصفت أرضُنا بالرجف أو بحدوث الزلازل فيها بين آونة وأُخرى؟

(ج) سببُ حدوث الزلازل والرجفات في الأرض، هو سوء تصرّف أهلها وابتعادهم عن أوامر ونواهي الله (عزّوجلّ)، فإذا ترك الناس المحرّمات والمحظورات، فإنّ دُنياهم سوف تكون جنّة وسوف يأكلون من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى

(١) النازعات: ٦.
(٢) تفسير الفرقان: الآية.
(٣) الرحمن: ٢٥ ـ ٢٦.
(٤) إبراهيم: ٤٨.

آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[١].

۞ قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.

(س) ما هي الحالات التي تمرّ على الأرض حتّى تخرج أثقالها بقوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾؟

(ج) تُمَدُّ الأرض مدّاً في زلزلتها قال (عزّوجلّ): ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[٢] ثمّ تشقّق ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾[٣].

وتُدك دكّة واحدة ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[٤] بحيث لو رأيتها ما عرفتها ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٥]، فعلى أثر المدّ والتشقّق والدكّ والزلزلة والرجفة، تخرج الأرض أثقالها[٦].

(س) قال أكثر المفسّرين إنّ الأثقال التي تخرجها الأرض هم الموتى، وهناك ترد بعض الإشكالات كيف استدلوا على هذا القول. بينما الذي يبعث مَن في القبور هو الله تعالى ولا دخل للأرض في ذلك، ونسبة الإخراج تكون للفاعل لا للمكان.

ثانياً: إنّ دعوة الموتى لا تتوقف على زلزلة الأرض، وأنّ قدرة الله تعالى لا تتوقّف عليه بل تفوق ذلك بكثير.

ثالثاً: إنّ أكثر الموتى من البشر ليس لهم جثث، بل قد اختلطت أجسامهم بالرمال، وحصول الزلزلة ليس سبباً لإعادة الرمل جسماً.

---

(١) الأعراف: ٩٦.

(٢) الانشقاق: ٣ و ٤.

(٣) ق: ٤٤.

(٤) الحاقّة: ١٤.

(٥) إبراهيم: ٤٨.

(٦) تفسير الفرقان: الآية.

(ج) كما جاء في السؤال لا يمكن القول بأنّ الموتى يخرجون من الأرض بفعل زلزلتها الكبرى إلاّ إذا قلنا بأنّ الأرض تفتقّت عن جثث الموتى إلى الحياة، فيعبّر عن هذا التفتّق والتفتح الإلهي بالزلزلة. كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[1]. [2]

(س) ما هي الأثقال التي سوف تُخرجها الأرض بعد زلزلتها الكُبرى؟

(ج) هناك ثمانية أقوال لهذا السؤال:

١- قيل: هي جميعُ الأثقال التي اختبأت في جوفها من الأثقال المعنوية كالإنسان الذي هو أشرف المخلوقات وهكذا يُخرج الحيوان وجميع الأثقال المادّية المرغوبة للإنسان كالجواهر والمعادن.

٢- الموتى.

٣- المعادن والكنوز: حيث ورد بأنّ الأرض سوف تلقي بأفلاذ أكبادها من الذهب والفضة وبركاتها الأخرى وذلك مع ظهور الإمام المهدي المنتظر (عليه أفضل الصلاة والسلام)، ولعله تلفظ ما في بطنها من المعادن مع قيام يوم الآخرة. ويمكن القول بأنّ المعادن أثقال الأرض.

٤- أنّها تخرج ما على ظهرها من سكان سواء كان نباتاً أو حيواناً، إذ أنّ الثقل عادة يكون على الظهر لا في الباطن، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[3].

٥- أنّه ثقل الذنوب والمعاصي وثقل استحقاق العقوبة عليها، ويؤيده قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾[4].

٦- أن يكون الثقل هو الظلام المعنوي الناتج من الذنب، فيتحول الظلام إلى النور بعد

---

(١) الحج: ٥.

(٢) منة المنان: الآية.

(٣) الانشقاق: ٤.

(٤) إبراهيم: ٤٨.

إلقاء الثقل كما في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا..﴾[١].

٧- التخلص من العيوب بحصول الكمال.

٨- أن تكون أرض النفس قد أبرزت كوامنها بالاختبار والتمحيص، وقد تكون صالحات أو طالحات. وإن لم يكن لها ثقل مادّي ولكن لها ثقل عرفي[٢].

(س) قيل: إنّ المُراد بأثقالها هم الموتى فكيف استدلّوا على ذلك؟

(ج) استدلّوا على ذلك بأنّ الإنسان في ذلك الوقت يُخرَجُ للحساب، بعدما جيء به إلى دُنيا الامتحان، والآيات التي تلي تُشير إلى هذا الموضوع، قال (عزوجل): ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾.

(س) متى تزلزل الأرض زلزالها، وهل أحدٌ عليها من الإنس والجنّ وغيرها من المخلوقات؟

(ج) تزلزل الأرض ويضطرب الكون كلّه عند قيام الساعة، وأمّا عن زمن وقوعها قال (عزّوجلّ): ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (وقوعها وثبوتها) قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا (لا يظهرها) لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّموَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لا يمكن لشيء من المخلوقات أن يحيط علماً بها لأنّه يلازم العلم بفناء نفسه وذاته ﴿لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾[٣]، السورة تشير إلى عدم وجود مخلوق عليها ﴿وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[٤].

(س) لماذا سمّى الله (سبحانه وتعالى) الموتى الذين دُفنُوا في الأرض بالأثقال؟

(ج) وذلك تشبيهاً بالحمل الذي يكون في البطن، وذلك لأنّ الله (عزوجل) أسماه ثُقلاً؛ قال (عزّوجلّ): ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ

(١) الزمر: ٦٩.

(٢) منة المنان: الآية.

(٣) الأعراف: ١٨٧.

(٤) الأنعام: ٣٨.

الشَّاكِرِينَ﴾[١] . وقيل: سُمِّي الجنّ والإنس بالثقلين وذلك لأنّ الأرض تثقلُ بهم إذا كانوا في بطنها وهكذا يثقلون عليها إذا كانوا فوقها[٢] .

(س) قال أكثر المفسِّرين بأنّ الأثقال التي سوف تخرجها الأرض هي الإنسان والجواهر والمعادن وغيرها من الأشياء المرغوبة فما هو دليلهم؟

(ج) بما أنّ الإنسان يُخرَج في ذلك الوقت لأجل محاسبته ولهذا تُخرجُ الأشياء التي تنازع عليها وأنّه لم يتنازع في الدُّنيا إلاّ لأجل الذهب والفضّة وهما أساس الشهوات كما عن الإمام أمير المؤمنين عليّ (سلام الله عليه) : «المال مادّة الشهوات» ، وروي عن الرسول الأعظم ﷺ إنّه قال : «تَقيءُ الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضّة ، فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعتُ رحمي ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قُطعَتْ يدي ، ثمّ يَدَعُونَه فلا يأخذون منه شيئاً» إذاً تُخرَج الكنوز لأجل توبيخ الإنسان ، أو تكون الفائدة كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[٣] .[٤]

(س) لماذا لا تخرج الأرض كنوزها في الدُّنيا قبل الآخرة لكي لا يتنافس الناس ولا يتنازعوا؟

(ج) ١- قال (تبارك وتعالى) : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[٥] .

٢- قد لا يستحقّون ذلك : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَات

(١) الأعراف : ١٨٩ .
(٢) التفسير الكبير : الآية .
(٣) التوبة : ٣٥ .
(٤) التفسير الكبير : ج٣٠ الآية .
(٥) الشورى : ٢٧ .

مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ولَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(١).

ولكن في زمن الإمام المهدي عليه السلام عندما يسود العدل والقسط تخرج الأرض خيراتها وبركاتها ويعيش المؤمنون في خير كامل، جاء في الحديث الشريف، أن الإمام عليه السلام: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً».

٣- وقد تكون هذه الخيرات جزءاً من خيرات الأرض الكبرى.

(س) ربّنا (سبحانه وتعالى) وصفَ الأرض بأنّها كالأُمّ التي تجمع أولادها، قال (عزّوجلّ): **﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً﴾**(٢) أي تجمع الناس أحياءهم وأمواتهم، فلماذا تلفظهم يوم القيامة وتخرجهم وترميهم عن نفسها كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «. . وتحفظوا من الأرض فإنّها أُمّكم وليس فيها أحدٌ يعمل خيراً أو شرّاً إلاّ وهي مخبرَةٌ به. .»؟

(ج) إنّها إشارةٌ إلى قوله تعالى: **﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾**(٣)، وقوله تعالى: **﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾**(٤).

(س) لماذا قالت السورة المباركة: **﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾** دون أماناتها، والأثقال التي فيها أمانات أودعت عندها؟

(ج) إنّ الأرض حافظة وأمينة ولا يحتاج أحد إلى جعل الأشياء عندها بصورة أمانة على أن تَردّها بشكل كامل، فهي ليست كالكثير من الناس الذين يخونون ويكذبون وينقضون

---

(١) الأعراف: ٩٦.

(٢) المرسلات: ٢٥-٢٦.

(٣) الحج: ١ و٢.

(٤) عبس: ٣٤-٣٧.

ويُزورُن(١).

❁ **قال تعالى: ﴿وَقَالَ الإنسَانُ مَا لَهَا﴾.**

(س) من هو السائل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الإنسَانُ مَا لَهَا﴾؟

(ج) قيل: هو الكافر، الآية كقوله (عزّوجلّ): ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾(٢)، وأمّا المؤمن يقول: ﴿هذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾(٣) فالمؤمن معترفٌ بها ويعلم أنّها من أشراط الساعة وبعدَها يوم الحساب والثواب ولا يسأل عنها لكونه لا يحزن منها ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾(٤)، بينما الكافر الذي لا يُؤمن بالبعث هو الذي يَسأل عن سبب زلزلة الأرض(٥).

(س) إن قيل: إنّ المراد من الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الإنسَانُ مَا لَهَا﴾ هو الكافر، فلماذا لم يَقُل: وقال الكافرُ ما لها؟

(ج) إنّه تعريض وتوبيخ وتأنيب لهذا الكافر الذي كان إنساناً يحمل القدرات الذاتية الهائلة التي كان بإمكانه الارتقاء بها إلى درجة الملائكة، ولكنّه أردى بنفسه وجعلها أتعس حالاً من الحيوانات والجمادات(٦)، فكما قال (عزّوجلّ) عبارة (يابني إسرائيل) الذي هو نوعٌ من التذكير لليهود لعلّهم يقتدوا بجدّهم إسرائيل عليه السلام الذي كان نبيّاً صالحاً.

(س) لماذا يقول الإنسان مالها تتزلزل بشدّة وقد رأى زلازلاً هلكت ودمّرت الكثير؟

(ج) إنّه رأى في السابق الزلازل والبراكين والزعزعات والرجفات المختلفة ولكنّه لم تعهد

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) يس: ٥٢.

(٣) يس: ٥٢.

(٤) الأنبياء: ١٠٣.

(٥) التفسير الكبير: الآية.

(٦) المصدر نفسه.

البشرية ولا الأرض في الحياة الدُّنيا مثل هذه الزلزلة الشديدة التي ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾[(١)].

(س) هل يوجد أحدٌ يوم القيامة لكي يسئله الإنسان عن سبب زلزلة الأرض؟
(ج) لا يوجد أحد ليُسئَل عن سبب زلزلة الأرض ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ وأنّه ليس بسؤال بل يقول ذلك لشدّة دهشته وتعجبه من تلك الزلزلة العجيبة، وكأنّه يُعاتبُ نفسه بهذا الكلام فيقول: يا نفس ما للأرض تفعل ذلك، يا نفس أنت السبب في أذاك ولولا معاصيك لما شاهدت هذا المشهد، بينما يقول المؤمن: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ...﴾[(٢)] [(٣)].

❁ قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

(س) أين المفعول الأوّل لـ (تُحَدِّثُ) أي لمن تحدّثُ أخبارها؟
(ج) حذف المفعول الأوّل وهو الخلق أي: تحدّث الأرض الخَلقَ أخبارها وذُكر المفعول الثاني في الآية فقط تعظيماً لتحديثها.

(س) ما معنى تحديث الأرض؟
(ج) جاء في الحديث أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أخبارُها أن تشهد على كلّ عبد بما عمل على ظهرها، تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، لهذا كان الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إذا فَرِغَ بيتُ المال صلّى فيه ركعتين فيقول: لتَشْهَدنَّ أنّي ملأتُك بحقٍّ وَفرّغتُك بحقّ».
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حافظوا على الوضوء وخيرُ أعمالكم الصلاة وتحفظوا من الأرض فإنّها أُمّكم وليس فيها أحدٌ يعمل خيراً أو شرّاً إلاّ وهي مُخبرَةٌ به».

---

(١) الحج: ٢.
(٢) فاطر: ٣٤.
(٣) التفسير الكبير: الآية.

وقال أبو سعيد الخدري: إذا كنت بالبوادي فارفع صوتك بالأذان فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يسمعه جنٌّ ولا إنس ولا حجر إلاّ يشهدُ له»(١).

(س) متى تُحدِّث الأرضُ أخبارها؟

(ج) تحدّث الأرض أخبارَها يومَ تدميرها بزلزالها وبعد أن أخرجت أثقالها، لأنّ أخبارها لا تكون إلاّ على أثقالها التي كانت فيها.

(س) هل للأرض لسان لكي تتحدّث به أخبارها؟

(ج) ليس للأرض لسانٌ ولكن بما أنّ لها إحساساً وشعوراً كبقيّة الموجودات وإن كُنّا لا نشعر بذلك حيث قال (عزّوجلّ): ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(٢)، لذا فمن الممكن أن يُحدثُ الله (عزّوجلّ) فيها الكلام، وإنّما نسب الكلام إليها تَوسُعاً ومجازاً ﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾(٣).

(س) ما هي الأخبار التي سوف تتحدث بها الأرض؟

(ج) ١- أنّها تتحدث عن سبب حصول الزلزلة فيها، فتجيب إنّه حصل بسبب الوحي: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ بأن تتزلزل.

٢- أنّها تُخبر بالحوادث التي جرت عليها في الماضي والحاضر.

(س) مَن الذي سوف يسمع حديث الأرض عندما تنطق كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾؟

(ج) إنّ حديث الأرض لابدّ أن يكون بعد النفخة الثانية في الصور وذلك لكي تسمع الخلائق ذلك ولا يمكن أن تكون بعد النفخة الأولى، لأنّ الجميع قد صُعق بها ومات ولم يبقَ إلاّ الله (تبارك وتعالى)، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) الإسراء: ٤٤.

(٣) السجدة: ٢١.

الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾(١).

(س) كيف استطاعت الأرض تسجيل الأحداث والوقائع والأصوات والصور التي جرت عليها؟

(ج) استطاعت الأرض ذلك بفعل الوحي الإلهي الذي جاء لها لأجل القيام بهذه المهمّة، وأنّه (عزّوجلّ) عندما يأمر أحداً بشيء يعطيه القدرة على القيام بذلك العمل، وأنّ هذا الوحي ليس وحياً نبويّاً ولا إلهامياً ولا وحي الغريزة وإنّما وحيٌ في تكوينها ورمزٌ في كيانها الذي لا يعرفه إلاّ الله والراسخون في العلم.

(س) لماذا تحدّثُ الأرض أخبارها، وهل بإمكانها عدم التحدّث بذلك؟

(ج) إنّ الأرض تُحدّث أخبارها بعد تسجيلها للأخبار حسب المسؤولية الإلهية التي أُعطيت لها، لا يمكن لها الامتناع عن الأمر الإلهي ولا التقصير فيه أبداً، وأنّها في طاعة كاملة لله (عزّوجلّ) ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾(٢).

(س) القرآن الكريم بيَّن لنا بأنّ هناك شهوداً غير الأرض تشهد على الإنسان مثل الملائكة والأنبياء عليهم السلام والأعضاء والله (سبحانه وتعالى) فوق ذلك، فلماذا شهادة الأرض بعد هذه الشهادات الكثيرة؟

(ج) عن القمّي في تفسيره عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «تعرض عليهم أعمالهم فينكرونها فيقولون ما علمنا شيئاً منها فتشهد عليهم الملائكة، فيقولون: ياربّ هؤلاء ملائكتك يشهدون لك، ثمّ يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً وهو قول الله (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾(٣) فعند ذلك يختم الله ألسنتهم وينطق جوارحهم فيشهد السمع بما سمع ممّا حرّم الله، ويشهد البصرُ بما نظر إلى ما حرّم

(١) الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧.
(٢) الجمعة: ١.
(٣) المجادلة: ١٨.

الله، وتشهد اليدان بما أخذتا وتشهد الرجلان بما سعتا فيما حرّم الله ويشهد الفَرج بما ارتكب ممّا حرّم الله ثمّ أنطق الله ألسنتهم ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] فتكون شهادة الأرض إلى جانب شهادة الأعضاء والشهود الآخرين.

(س) لفظة (تحدّثُ) تفيد الاستئناس، فهل هناك مَن تستأنس معه؟

(ج) إنّ الأرض كأنّها تَبُثُّ شكواها إلى أولياء الله وملائكته، الذين يقولون ﴿هذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾.

(س) بِمَ تعلّقت الباء في قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾؟

(ج) تعلّقت بـ(تُحدّثُ) ويكون معنى ذلك أي تُحدِّث أخبارها بسبب إيحاء ربّك لها.

(س) إنّ الوحي مختص بالنبوة والأرض ليست كذلك، فكيف قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾؟

(ج) ليس الوحي منحصراً بالأنبياء عليهم السلام بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[3]. وهناك روايات كثيرة تذكر بأنّ الملائكة كانوا ينزلون في بيت فاطمة الزهراء عليها السلام، ثم إنّ الملائكة هي التي حملت الأطراف الأمامية لجنازة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد أن

---

(١) فصلت: ٢١ ـ ٢٢.

(٢) القصص: ٧.

(٣) فصلت: ٣٠.

حمل الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام الطرف الخلفي ولم يكن معهما أحد آخر من الإنس وأنّهما فعلا ذلك كما وصّاهم أبوهم الإمام أمير المؤمنين (سلام الله عليه).

وقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أما بعد فإنّ الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قسم لها»(١).

۞ **قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾.**

(س) إلى أين ينصرف الناس متفرّقين من عرصة يوم القيامة، كما تشير الآية بقوله: **﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً﴾**؟

(ج) ينصَرف الناس من أرض القيامة بعد انتهاء محاسبتهم إلى منازلهم التي بنوها بأعمالهم، إمّا منازل رحمة أو منازل نقمة كما قال (عزّوجلّ): **﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾**، وأنّ رؤيتهم العينية والقلبية لنتيجة أعمالهم هو جزاء إلى جانب الجزاء المادّي، قال تعالى: **﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾**(٢).

(س) قوله تعالى: **﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً﴾** يوحي إلى أنّ الناس كانوا قبل الحساب غير مشتتين بل مجتمعين وقريبين مع بعض، فلماذا هذا التشتت بعد التجمع والتقارب؟

(ج) ١ - إنّ التجمع هذا لم يكن على الصلاح والعقيدة الواحدة ولم يكن باختيارهم، فهم كقوله تعالى: **﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾**(٣).

٢ - إنّهم يتفرقون بعد تجمعهم وذلك لكي يذهبوا إلى منازلهم الأخيرة التي بنوها في

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ٢٣ ج١ ص٦٨ شرح محمد عبده.

(٢) الكهف: ٤٩.

(٣) الحشر: ١٤.

حياتهم الدنيا بأعمالهم، قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١] [٢].

(س) كيف نجمع بين الآيتين: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً﴾ و ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ حيث دلّت الأولى على التفرق والثانية على الجمع؟

(ج) الحشر والجمع يكون في موقف وعرصات القيامة، وبعد عرض صحائف الأعمال وقراءتها يتفرق الخلق إلى منازلهم الدائمة إما في جنان النعيم أو في عذاب السعير، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾[٤].

(س) هل جميع المكلفين يقرأون كتابهم يوم القيامة أم بعضهم؟

(ج) حسب الظاهر ليس الجميع يقرأون كتابهم، إذ هناك علامات يحملها أهل الجنة وأهل النار فتميّز بعضهم عن بعض، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٥].

والذي يؤمر بقراءة كتابه هو مَن يريد الله تعالى ازدياد عذابه وتثبيت استحقاقه له. فيؤمر بقراءة كتابه بالرغم من عماه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٦]، إذ يُعطى له القدرة على قراءة كتابه فقط لتثبت بذلك الحجة على عقابه ودخول جهنم. وهناك علامات أخرى يملكها أصحاب النار وأصحاب

---

(١) الصافات: ٣٩.

(٢) منة المنان: الآية.

(٣) الإسراء: ١٣ ـ ١٤.

(٤) الزلزال: ٦.

(٥) آل عمران: ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٦) الإسراء: ٧٢.

الجنة، منها: أنّ أصحاب الجنة ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ هـذَا يَوْمُكُـمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1]، بينما لا يجد أصحاب النار شيئاً من هذه النعمة بل يعيشون في ألم وخوف كبيرين.

۞ قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾.

(س) هل يمكن للإنسان رؤية أعماله بحقيقتها يوم القيامة؟

(ج) ١- إنّ المرئي الحقيقي للعمل لا وجود له يوم القيامة ليكون قابلاً للرؤية، إلاّ أن يكون العمل جسم بديل للجسم الأوّل.

٢- أن يرى عمله بشكل صورة حقيقية مسجلة عليه، كما تُسجل اليوم صور وحركات الإنسان على شريط ثم تُعرَض أمامه.

٣- أنّه لا يرى عمله بل يرى جزاءه من ثواب أو عقاب[2].

(س) هل يوجد عمل بمقدار ذرة لكي يراه الإنسان يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾؟

(ج) ١- إنّ جزء العمل عمل، فالصلاة عمل وجزؤها الركوع وجزؤه الذكر وجزؤه الحرف، وكلها أعمال يُجزى عليها، فعندما ننظر إلى العمل بصوة تحليلية نفهم أنّ هناك أعمالاً صغيرة ودقيقة جداً تصل إلى حجم الذرة.

٢- إنّ هناك أعمالاً باطنية منها نفسية وقلبية وعقلية في غاية الصغر والضآلة، كالخطور في الذهن للحظة واحدة، فهو بمقدار ذرة وأنّها تُسجل على الإنسان ويجزى عليها كما قال تعالى في الآية المذكورة، ويشبهه ما ورد: لو تكاشفتم لما تدافنتم: أي تكاشفتم بما في الخواطر والنفوس.

(س) المثقال أكبر من الذرة التي نعرفها بملايين المرات، فكيف نقيسُ الذرة بها وهي أكبر

---

(١) الأنبياء: ١٠٣.

(٢) منة المنان: الآية.

منها؟

(ج) إنّ هذا السؤال مبني على الفهم الحديث للذرة والمثقال، في حين لم يكونا في مفهوم الزمن الماضي، ويمكن أن نجيب على السؤال بالأجوبة التالية:

١- أنّ المراد من مثقال ذرة هو تعبير عرفي يراد به التقليل للكثير، ولعل المراد منه أقل من الفهم المعاصر.

٢- أنّ للمثقال معنىً عاماً حتى للأوزان الخفيفة جداً، فلا مانع من مقايسته بالذرة، والقرآن الكريم قد استعمله في ذلك ولو مجازاً.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[1] [2].

(س) هل الكافر الذي يعمل بعض الطاعات والصالحات يرى جزاء وثواب ذلك في الآخرة وكما قال تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾؟

(ج) إنّ الثواب الأخروي يُعطى للذي طاعته أعظم من معصيته، لا بالعكس؛ فالذي يحمل معه طاعات أقل من معاصيه لا يجد ثواب ذلك في الآخرة، بل يُجازيه الله عليها في حياته الدنيا لكي لا يبقى له نصيب في الآخرة، وأنّه (تبارك وتعالى) يقبل باليسير ويعفو عن الكثير كما جاء في الدعاء الشريف ولكن هذا اليسير لابدّ أن يكون مصحوباً بالأركان والأمور الأساسية التي يريدها الله (تبارك وتعالى)، منها الإيمان الصحيح بالله تعالى وبرسوله ﷺ والولاية لأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

ورد عن أئمة الهدى عليهم السلام أنّه لا تُقبل طاعة عبد إلاّ بولايتنا أهل البيت. ولهذا يقول الكافر والمنكر لحقهم: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾[3].

---

(١) الأنبياء: ٤٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) النبأ: ٤٠.

(س) هناك من يُحشَرُ أعمى يوم القيامة بسبب كفره وإعراضه عن الله (عزّوجلّ) كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[١] فكيف يستطيع رؤية سوء وجزاء أعماله يوم القيامة، وكيف يستطيع قراءة كتابه بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[٢]؟

(ج) الكافر يُحشر أعمى يوم القيامة كما صرّحت بذلك الآية المباركة لكي يزداد عذاباً ولكن في نفس الوقت يُعطى له القدرة على رؤية الأمور التي تزيده عذاباً بما كسبت يداه، فيتمكّن من رؤية أعماله السيّئة ومن قراءة كتابه الذي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة، فيزداد بهذه الرؤية عذاباً فوق العذاب[٣].

(س) لماذا ينصرف الناس متفرّقين أشتاتاً من العالم الذي هم فيه؟

(ج) ينصرفون متفرّقين من عرصة يوم القيامة لكي يتّجهوا إلى ا لمنازل التي أعدّوها لأنفسهم في حياتهم الدُّنيا، فبما أنّ سعيهم كان مختلف فلهذا جزاؤهم مختلف أيضاً، كلٌّ يذهب إلى حيث جزاءه. ولهذا قال (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[٤].

(س) قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾ تُشير إلى أنّ الله (عزّوجلّ) سوف يُري أصحاب الأعمال الخيّرة خيراً، وأصحاب الأعمال السيّئة شرّاً، فهل الكفّار الذين يعملون الخيرات يرون خيراً مقابل ذلك يوم القيامة، وهل المؤمنون الذين يُقرنُون السيّئات التي يقترفوها في حياتهم بالتوبة والاستغفار، يرون شرّاً يوم القيامة؟

(ج) لاشكّ أنّ الذين سيرون الخير في الآخرة بسبب أعمالهم الصالحة في الدُّنيا هم الذين

(١) طه: ١٢٤.

(٢) الاسراء: ١٤.

(٣) تفسير الميزان: الآية.

(٤) القارعة: ٤.

قرنُوا العمل الصالح بالإيمان، بينما الذين يعملون الخيرات من دون أن يلازموها الإيمان والتقوى، فلا يبقى من أعمالهم شيء إلى يوم القيامة، بَل سيُجزون عليها في حياتهم الدُّنيا، والمؤمنون الذين يقرنون سيّئاتهم بالاستغفار والتوبة والإصلاح سوف تُغفَر لهم تلك الذنوب ولا يرون سوءاً عليها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾[1]، وقال تعالى: ﴿...إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[2]، إذاً فآيات الحبط هي الحاكمة على هاتين الآيتين من سورة الزلزال، وباقي الأعمال التي لم تُغفَر ولم تُحبَط فلا يُخفى منها شيئاً حتّى مثقال ذرّة.

(س) هل يمكن الاحتمال بأنّ صور جميع الأعمال التي ارتكبها الناس من المؤمنين وغير المؤمنين، من خير أو شرٍّ تبقى محفوظة وأنّهم سوف يرونها في الآخرة؟

(ج) من المحتمل أنّ صور الأعمال كلّها سوف تبقى وتظهر للناس يوم القيامة، فيرى الكافر خيراته وأعماله الحسنة التي قام بها في الدُّنيا ولكنّها محبوطة بسبب كفره، فيزداد بهذه الرؤية حسرةً وألماً، ويرى المؤمن أعماله السيّئة التي قام بها في الدُّنيا وقد عُفي عليها بسبب توبته ورجوعه إلى الله وبسبب فضل الله وعفوه عنه فيزداد بهذه الرؤيا سروراً، وهذا ما وُرود عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه﴾ يقول: إن كان من أهل النار وقد كان عمل في الدُّنيا مثقال ذرّة خيراً، يره يوم القيامة حسرةً لأنّه كان لغير الله، وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾ يقول: إن كان من أهل الجنّة رأى ذلك الشرّ يوم القيامة ثمّ غُفِرَ له».

(س) لماذا لم يجمع الله (سبحانه وتعالى) الآيتين في آية واحدة؟ فيقول مثلاً: فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره أو شراً يره؟

(ج) بيّنَ الله (عزّوجلّ) حالَ من عمل الخير والشرّ في جملة مستقلّة وذلك لغرض إعطاء

---

(١) النساء: ٣١.

(٢) هود: ١١٤.

الضابط وضرب القاعدة الثابتة.

(س) الذرّة لا تُرى في الدُّنيا إلاّ بأعظم المجاهر وبواسطة العلماء المختصّين، وإنّها تتحقّق للناس في نفوسهم وعقولهم فقط، فكيف سيَرُونَ الأعمال التي في حجمها يوم القيامة؟

(ج) لا يحتاج الإنسان إلى رؤية الذرّة وما دونها يوم القيامة إلى استخدام المجاهر الدقيقة سوف يرى الذرّة وما دونها بفعل القدرة البصرية العظيمة التي أودعها الله (عزّوجلّ) فيه لكنّه فقدها في الدُّنيا بسبب الذنوب والمعاصي، قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1][2].

---

(١) ق: ٢٢.

(٢) منة المنان: سورة الزلزلة، الآية.

سُورَةُ ٱلْبَيِّنَةِ



سُورَةُ ٱلْبَيِّنَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ
تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٞ
قَيِّمَةٞ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ
ٱلۡبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ
حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ
عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

فضلها:

عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: من قرأ سورة (لم يكن...) كان بريئاً من المشركين، وادخل في دين محمد صلى الله عليه وآله، وبعثه الله مؤمناً، وحاسبه حساباً يسيراً.

المفردات:

كفر: ستر.

منفكين: الانفكاك هو الانفصال عن شدّة اتّصال.

الصحف: جمع صحيفة وهي ما يُكتب فيها.

حُنفاء: جمع حنيف من الحنف وهو الميل عن جانبي الإفراط والتفريط إلى الوسط والاعتدال، وقد سمّى الله تعالى الإسلام ديناً حنيفاً لأنّه يأمر في جميع الأُمور بلزوم الاعتدال والتحرّز عن الإفراط والتفريط.

موضوع السورة:

السورة تتحدّث عن أهل الكتاب والمشركين بأنّهم لم يتركوا السُنَّة التي كانوا عليها أو لم يتركوا حالة الضلال إلاّ بمجيء نور جديد، فلما جاءهم النور وهو الرسول صلى الله عليه وآله، ظَهَر ما كانوا يخفون وأصرّوا عليه ورفضوا قبول الحقّ، فلذا فإنّ مصيرهم إلى النار خالدين فيها وهم شرّ خلق الله (عزّوجلّ).



الأسئلة والأجوبة

۞ قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.

(س) من هم أهل الكتاب، ولماذا نرى القرآن الكريم يذكرهم مع المشركين في حين أنّهم أفضل منهم؟

(ج) أهل الكتاب هم أتباع التوراة والإنجيل حسب اصطلاح القرآن، وقد قرنوا هنا وفي العديد من الآيات بالمشركين وذلك لأجل التفريق بينهم، والمُشرِكونَ هؤلاء هم

الوثنيّون الذين يعبدون الأوثان والأصنام والطواغيت من دون الله وهم النجس، قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾[١]، بينما أهل الكتاب منحرفون في عقيدة التوحيد ومشركون في الطاعة ومبادئهم مزيجة بالصالح والطالح وهم أفضل من المشركين، ولا يضرّ إذا ذُكروا مع المشركين، إذ هناك آيات تجمعهم مع المؤمنين أيضاً، قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢] [٣].

(س) بأيّ شيء كان أهل الكتاب والمشركين متمسّكين وملتصقين به حتّى ينفكّوا منه بقوله (عزّوجلّ): ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾؟

(ج) انفكاكهم عمّا تقتضي سنّة الهداية، كأنّ السنّة الإلهيّة قد أخذتهم ولم تتركهم حتّى تأتيهم البيّنة الجديدة، فلمّا أتتهم تركتهم وشأنهم كما قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾[٤] [٥].

وقيل: لم يكونوا منفكّين عن ضلالهم الذي عاشوه منذ زمن بعيد إلاّ بهذه الرسالة السامية، فلَن يتحلّلوا ويتخلّصوا من كفرهم وضلالهم إلاّ بالبيّنة[٦].

(س) ما هي البيّنة ولماذا سمّيت بهذا الاسم؟

(ج) إنّ الرسول محمّداً ﷺ هو البيّنة من الله (عزّوجلّ) يحمل في دعوته آياتٌ بيّنات ﴿نُورٌ

(١) التوبة: ٢٨.
(٢) الحج: ١٧.
(٣) التفسير الكبير: الآية.
(٤) التوبة: ١١٥.
(٥) تفسير الميزان: الآية.
(٦) تفسير الفرقان: الآية.

عَلَى نُور يَهْدِي اللهُ لِنُوره مَنْ يَشَاءُ﴾[١]، فكما أنّ القرآن بيِّنة **﴿أَولَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾**[٢]، فكذلك الرسولﷺ قال (عزّوجلّ): **﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَة مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ...﴾**[٣]، وسمّيت بالبيِّنة لأنّها تُبيِّن وتفصل بين الحقّ والباطل[٤].

۞ **قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.**

(س) الآية المباركة تبيّن سبب تفرّق أهل الكتاب وهو مجيء البينة، فكيف يمكن أن تكون كذلك، بينما اللازم أن تكون داعية إلى الاجتماع والتآلف؟

(ج) إنّ سبب اختلافهم وتفرّقهم ليس بسبب مجيء البينة والعلم الإلهي بل هو البغي والمكر والمطامع الدنيوية. قال تعالى: **﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾**[٥]، فتفرّقوا بالآراء والمذاهب وانقسموا إلى كاثوليك وأرثوذكس وسريان وآشور وأرمن وغير ذلك، وكل يكفِّر الآخر[٦].

(س) لماذا لم يُنزل الله (سبحانه وتعالى) على أهل الكتاب علماً غزيراً بحيث يمنعهم من التفرق والاختلاف، كقوله تعالى: **﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾**[٧]؟

(ج) لو يُنزل الله تعالى علماً غزيراً على عباده لصار نوعاً من الإجبار والإكراه، ولصار كالمخلوقات الغير مكلفة والغير عاقلة، والله تعالى يقول: **﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ**

---

(١) النور: ٣٥.
(٢) طه: ١٣٣.
(٣) هود: ١٧.
(٤) تفسير الفرقان: الآية.
(٥) آل عمران: ١٩.
(٦) التفسير الكبير: الآية.
(٧) الشعراء: ٤.

﴿تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[١]، وجاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين».

(س) لماذا ذكرت الآية المباركة اختلاف أهل الكتاب وتفرّقهم في مذاهبهم، ولم تذكر تفرّق المشركين وإعراضهم عن الله ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله؟

(ج) ١- إنّ أهل الكتاب في نظر القرآن أهم من غيرهم وذلك لوجود الأنبياء لديهم، ولاعتقادهم الصحيح شيئاً ما، بينما يفتقد المشركون هذا.

٢- إنّ الاختلاف الذي حصل في المشركين هو لأمور دنيوية محضة وأنّهم لم يتقاتلوا في الدين والعقيدة، بينما تقاتل المسيحيون واليهود في دينهم.

٣- إنّ المشركين متّفقون في عبادتهم للأصنام، وليس هناك صوت معارض في مسيرتهم العبادية[٢].

(س) كيف يصحّ القول بأنّ المشركين غير مختلفين وهم أديان مختلفة كالبوذية والهندوسية والبراهمة والسيك وغيرهم؟

(ج) هذه الأسماء وإن تغيّرت واختلفت حسب الظاهر ولكنها متّفقة في الأصل والقاعدة وهو الشرك المحض بالله (تعالى) عن طريق عبادة الأوثان من دونه، والشرك ملّةٌ واحدة، قال (عزّوجلّ): ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ..﴾[٣].

(س) لماذا جاء الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ بصيغة المبني للمجهول، والفاعل الحقيقي معروف وهو الله (تبارك وتعالى)؟

(ج) للإشارة إلى أنّ الأوامر والتعاليم الإسلامية لا تختلف كثيراً عما عهدوه في أديانهم، وفيه ترغيب لهم في الدخول في الإسلام، وأنّهم إذا دخلوا فيه لا يجدون شيئاً غريباً لا

(١) البقرة: ٢٥٦.
(٢) منة المنان: الآية.
(٣) يوسف: ٤٠.

يوافق عقولهم وفطرهم السليمة[١].

(س) قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً..﴾[٢]، والدين الحنيف هو المائل عن جانبي الإفراط والتفريط والأخذ بالاعتدال والوسط، فكيف نُسبت الحنيفية لإبراهيم عليه السلام وهو دين جميع الأنبياء عليهم السلام من الأوّلين والآخرين؟

(ج) ١- إنّه عليه السلام بلغ صفات التوحيد ودقائقه أكثر ممن كان قبله، وقد وصلت البشرية في زمنه إلى أعلى مراتب التوحيد لله تبارك وتعالى.

٢- إنّه جاء بعقيدة متكاملة في فهم التوحيد الإلهي.

٣- إنّه باني الكعبة المشرفة، وهي قبلة جميع المكلّفين إلى يوم القيامة[٣].

* **قال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنْ اللهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً﴾.**

(س) لماذا قال (عزّوجلّ): ﴿يَتْلُوا﴾ دون يقرأ صُحُفاً؟

(ج) التلاوة هي المتابعة الكاملة، قال (عزّوجلّ): ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا﴾[٤] فأصبح القمر منيراً بفعل تلاوته للشمس، وهكذا الرسول صلى الله عليه وآله أصبح منيراً وهادياً بفعل متابعته للقرآن الكريم[٥].

(س) لماذا وصف الصحف بالطهارة في قوله (عزّوجلّ): ﴿صُحُفاً مُطَهَّرَةً﴾ وهي طاهرة ما دامت من عنده (عزّوجلّ)؟

(ج) وذلك للإشارة إلى نقاءها وصفاءها بأنّها خالصة الوحي، دون شوب من وحي الأرض، مطهّرة عن التهافت والاختلاف والريبة ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) آل عمران: ٦٧.

(٣) منة المنان: الآية.

(٤) الشمس: ٢-٣.

(٥) تفسير الفرقان: الآية.

عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[١] [٢].

(س) ما المقصود من الصحف وهل كان وَحيُ النبيّ ﷺ في قرطاس؟

(ج) الصحف جمع صحيفة وهي المبسوط من الشيء دون خفاء وأنّها لم تكن في قرطاس بل في لوح قلبه المنير: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[٣]، وأصبحت صُحُف لهم بعد أن تلاها عليهم، وهذه الصحف كُتبت في قرطاس بعدما أمر النبيّ ﷺ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بذلك، فكتَبَها الإمام عليه السلام وجمعها كما هو بين أيدينا اليوم.

(س) هل نزل قرطاسٌ من السماء على أحد الرُّسل؟

(ج) قال (عزّوجلّ): ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٤]. نفهم من الآية بأنّه لم ينزل من السماء قرطاس على أحد من الرسل.

۞ قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.

(س) كيف تفرّق أهل الكتاب عندما جاءتهم البيِّنة؟

(ج) إنّهم تفرّقوا في الإيمان بالرسول ﷺ وبما جاء من عند ربّه، منهم من آمن وكثيرٌ منهم استحبّ الكفر على الإيمان: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾[٥]، اختلفوا في كيان الإله وفي صفاته وأفعاله وفي عبادته فمن مجسِّم ومُثَلِّث ومُثَنٍّ[٦].

---

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢) تفسير الفرقان: الآية.

(٣) الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥.

(٤) الأنعام: ٧.

(٥) النمل: ١٤.

(٦) تفسير الميزان: الآية.

۞ قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.

(س) لماذا اشترط ربّ العزّة الإخلاص والحنفية في العبادة لكي تكون مرضية عنده؟

(ج) العبادة الخالصة تنتج طاعة خالصة، بينما الغير خالصة تنتج طاعات متعدّدة وهي مرفوضة عنده، كما قام بهذا الأمر الكثير من اليهود والنصارى إذ اتّخذوا أحبارهم ورهبانَهم أرباباً من دون الله يطيعونهم من دونه (عزّوجلّ)، فلا قيمة لمثل هذه العبادة الخالية من الطاعة والامتثال للأوامر الإلهية.

(س) لماذا قَدَّم القرآن الكريم أهل الكتاب على المشركين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾؟

(ج) ١- ربُّنا (عزّوجلّ) ذَكَرَ أوّلاً الذين كانوا يطعنون بالنبيّ محمّد ﷺ وهم أهل الكتاب، ثمّ ذكر الذين كانوا يطعنون به وهم المشركون، إذ قدَّم حقّ نبيِّه على حقّه، وذلك لأنّ النبيّ ﷺ كان يُقدِّم دائماً حقّ الله على حقّ نفسه، فعندما ضغطت عليه قريش بترك الرسالة وعرضوا عليه الكثير من المغريات قال: (... والله لو وضعوا الشمس بيميني والقمرَ بيساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلته) وعندما كانوا يرمونه بالحجارة وغير ذلك كان يرفع طرفه إلى السماء ويقول: (اللّهمَّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون).

٢- جناية أهل الكتاب على الإسلام أعظم من المشركين إذ كانوا ينتظرون مبعثه ﷺ على لسان المسيح عليه السلام ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[١] [٢].

(س) ما المراد من قوله (عزّوجلّ): ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾؟

(ج) أي أنّ العبادة الخالصة لله والطاعة الخالصة هو ما جاء في دين الكُتب القيِّمة، إذ اجتمعت جميع كتب الوحي الإلهي على هذين الرُكنين الأساسيّين.

---

(١) الصف: ٦.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

(س) لماذا لم يذكر اسم الفاعل وإنّما جاء بصيغة المبني للمجهول، فقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا﴾ كما قال (عزّوجلّ): ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا﴾[١] و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾[٢]؟

(ج) كأنّه (عزّوجلّ) يقول: العبادة شاقّة ولا أُريد مشقّتك إرادة أصلية، فإرادتي كإرادة الوالد الحنون لولده، فهذا الأب إذا أراد نصيحة ولده يقول له من الأفضل أن تفعل كذا وكذا ولا يأمره لأنّه ربّما يَرِدُّ عليه فتعظم جنايته، كذلك ربّ العزّة هنا لم يصرّح بالأمر لتخفّ جناية الرادّ، ولكن في مجال رحمته لعباده قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[٣]، ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾[٤]، وكأنّه (عزّوجلّ) يقول: أنا لستُ الآمر بالعبادة فقط، بل عقلك أيضاً يأمرك[٥].

(س) لماذا ذكر الصلاة والزكاة فقط بعد ذكر العام، دون أن يذكر الواجبات الأُخرى؟

(ج) وذلك لأهمّيتها، فبالصلاة تكون العبادة الخالصة لله (عزّوجلّ)، وبالزكاة تكون طاعتهُ العملية وبهما يصلح المجتمع.

(س) هل يمكن تسمية العبادة بالطاعة؟

(ج) لا يمكن ؛ لأنّه كثيراً ما تحصل عبادات دون أن يكون فيها أوامر ونواهي لكي تتحقّق الطاعة، وهناك الكثير ممّن يعبدون الأصنام والمسيح والملائكة من دون أن يخلطونها بالطاعة، العبادة هي التذلّل والخضوع بينما الطاعة تستخدم في الشرع إذا أُدّيت الأوامر والنواهي على وجه الخضوع والتذلّل وعندها يحقّق الإنسان العبادة الكاملة لله (عزّوجلّ)[٦].

---

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) البقرة: ١٧٨.

(٣) الأنعام: ٥٤.

(٤) المجادلة: ٢٢.

(٥) التفسير الكبير: الآية.

(٦) المصدر نفسه.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.

(س) لماذا وصف القرآن الكريم الكفّار من أهل الكتاب والمشركين بأنّهم شرّ الخلق؟

(ج) ١- وصفهم بأنّهم شرّ الخلق وذلك لأنّهم لا يؤمنون ولا يعتقدون بأبسط وأوضح الأمور الحقّة والواضحة، فكيف يمكن تأمّل الخير والصلاح منهم، كأنّما في الآية إشارة إلينا لكي لا نقيم معهم علاقات قويّة إذ أنّهم لا يرجون لنا خيراً بل يودّون لنا الكفر كما كفروا، قال (عزّوجلّ): ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[١].

٢- وكأنّه جواب لقائل يقول، فهل هناك أحدٌ يرقّ قلبه عليهم؟ فقال القرآن: لا، بل يذمّونهم ويلعنونهم لأنّهم شرّ خلق الله (عزّوجلّ).

(س) هل كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى مجتمعين حتّى يتفرّقوا بقوله (عزّوجلّ): ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾؟

(ج) إنّهم تفرّقوا عن التصديق بالنبيّ ﷺ عندما بُعث، وكانوا من قبل مجتمعين ومتّفقين عليه بأخبار التوراة والإنجيل، تفرّقوا فمنهم مَن آمن ومنهم مَن كفر[٢].

(س) قيل إن معنى (حنفاء) في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ..﴾ أي مخلصين لله (تعالى) مبتعدين عن الانحراف عنه، فكيف يكون معناها هذا بينما وردت كلمة (مخلصين) في الآية أيضاً، أوَلا يكون تكرار؟

(ج) ١- إنّه تكرار ولكن بلفظين مختلفين، فلا يكون قبيحاً، بل مهم لزيادة الاهتمام والتوكيد.

٢- يمكن أن نجعل أحدهما للفروع والأخرى للأصول، والآية تُظهر هذا بشكل واضح هو أن يكون الإخلاص في فروع الدين والحنفاء بالتوحيد أو الأصول، وفيه إشارة إلى دين

(١) البقرة: ١٠٩.

(٢) منة المنان في الدفاع عن القرآن: الآية.

إبراهيم عليه السلام ويكون في هذا الترتيب ترق من الفروع إلى الأصول[١].

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.

(س) كيف يخلّد الله (تبارك وتعالى) الإنسان في نار جهنم، ولو أذنب طول عمره فهو محدود، فلو خُلِّد في العذاب أوَلا تزيد العقوبة على الذنب؟

(ج) ١- فلو نظرنا إلى أصحاب الجنة وخلودهم فيها، لرأينا السؤال يطرح عليهم أيضاً كيف أنّهم يخلدون في الجنّة دائماً وعملهم كان محدوداً ولو أنّهم أطاعوا الله طول عمرهم، يظهر أنّ الجزاء الأخروي لا يُعطى مقابل مقدار العمل بل يُعطى مقابل نوعيته.

٢- ورد في السنّة الشريفة: بأنّ الكافر والفاسق لو بقي في الدنيا إلى ما لا نهاية لاستمرّ على المعصية إلى ما لا نهاية، والمؤمن هكذا، لذا فالعقاب والثواب على التقدير الحاصل في المستقبل.

٣- قيل إنّ العقاب والثواب الدائمي ليس على الذي سوف يحصل، بل على سببه ومعدنه وعينه، العين النابعة بالخير أو الشر، فالإنسان الخيّر ينبغ بالخير دائماً وهكذا الأمر للكافر فإنّه ينبع بالسوء والفساد ولو عاش مليون سنة[٢].

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي...﴾.

(س) هل يعاقَب الذي عاش الكفر ومات عليه وهو قاصر ومعذور، وهل يمكن أن يخلد في النار كمَن عاش الضلال وهو يعرف الصغيرة والكبيرة؟

(ج) قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾[٣].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) النساء: ٤٠.

(س) ما هي الحاجة إلى تكرار قوله ﴿أُولئِكَ هُمْ﴾ مع شر البرية وخير البرية؟

(ج) ١- للتأكيد وأقصاه ثلاث مرات، وهو متحقق في كلمة الذين وأولئك هم، وفائدة التأكيد هو لدفع الأوهام المحتملة.

٢- يمكن أن يكون للاحترام والتعظيم لأهل الجنة، كما قال تعالى: ﴿ذلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾[1]، ويمكن أن يكون للبُعد المعنوي والمكاني من رحمة الله (تعالى) وذلك بالنسبة للكفار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

٣- إنّ حذف أحدهما يخل بالسياق القرآني، وهذا ما ندركه بالذوق.

(س) لماذا وصف الجنات بعدن في قوله تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ..﴾؟

(ج) ١- إنّ عدن صفة لطبقة من الجنة، وهناك طبقات أخرى كالفردوس والكوثر والخلد وغيرها.

٢- إنّ المراد من عدن في اللغة هو الاستقرار والثبات، وعَدَنَ بمكان كذا إذ استقرّ فيه، ومنه المعدن لمستقر الجواهر، وأنّه تعالى وصف الجنة بالعدن في الآية فلعله مقابلة للنار الخالدة والثابتة التي سيدخلها الكفار[3].

۞ قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾.

(س) هل هناك جنة دانية لا خلد فيها لا ثبات، كما توجد جنات دائمة وخالدة؟

(ج) عندما يقول تعالى بأنّ هناك جنات عالية وخالدة للشريحة الصالحة من المؤمنين يظهر أنّه توجد جنات أقل مرتبة من تلك ولعله لا يوجد فيها خلد وثبات وهي لضعيفي الإيمان

---

(١) البقرة: ٢.

(٢) آل عمران: ٧٧.

(٣) منة المنان: الآية.

والله العالم[١].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ ولم يقل من فوقها أو فيها أو عليها وإنّ هذا الوصف تكرّر في القرآن كثيراً؟

(ج) إنّ قوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ يشير إلى نوع من إشراف وتسلط أهل الجنة عليها، وبما أنّ الجنة درجات ومنازل، فإن أُعطي المؤمن عدة درجات وطوابق فإنّه يملك ويشرف على الذي تحته، فبهذه الطريقة سوف ينظر إلى الأنهار التي تجري تحت عمارته، وهي تجري على سطح أرض الجنة. وإنّ جري الأنهار من فوق الجنة أو في باطنها أو عليها، لا تؤدي نفعها وفائدتها لأهل الجنة بالشكل المطلوب. قال تعالى: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢] [٣] [٤].

(س) لماذا جعل الله (تبارك وتعالى) أنهار الجنة تجري دون أن يجعلها ساكنة؟

(ج) في جريان الماء عدة فوائد، منها:

١ - حدوث التغيّر المستمر لوضع الماء بين صاعد ونازل ولعله أمواج صغيرة وكبيرة، فهي تبعث البهجة والسعادة في النفس أكثر مما لو يبقى الماء ساكناً.

٢ - حدوث الخرير في الماء، وهو الصوت الذي تنشد إليه النفس وترتاح له أكثر من الأصوات الجميلة الأخرى، وهذا ما أكده العلم الحديث.

(س) لماذا وصف الله تعالى الخلود لأهل الجنة بالأبدية، أوَلا يكفي أن يقول خالدين فيها بدل ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾؟[٥]

(ج) ١ - قال العلاّمة الطباطبائي (رحمه الله): إنّه لتأكيد الخلود الدائم.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) السجدة: ١٧.

(٣) منة المنان: الآية

(٤) المصدر نفسه.

(٥) تفسير الميزان: الآية.

٢- إنّ الخلود أقل من الأبد، وإنّه لا يفيد الأزلية إلاّ بها، فالخلود يمكن أن يُقال للشيء الذي يبقى مدة طويلة ثم ينتهي كبقاء الأهرام في مصر، والكعبة الشريفة في مكة. وما على الأرض جميعاً مع حدوث يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[1]، فلهذا احتاج الخلود إلى القيد ليدلّ على التأبيد والدوام، لهذا قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾.

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ وقوله ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[2]؟

(ج) ١- أن نقول بخلود السماوات والأرض بعد تبدلهما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[3].

٢- إنّه تعالى وصف العطاء الذي سيعطيه للسعداء بأنّه غير مقطوع، قال عزّوجلّ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[4]، إذاً فلا تعارض ولا اختلاف بين الآيتين المباركتين.

۞ قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ..﴾.

(س) كيف قال (تبارك وتعالى): ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ والله تعالى لا تدخله الحوادث والطبائع مثل الرضا والغضب؟

(ج) ١- ربنا (سبحانه وتعالى) تكلّم معنا بلغتنا الخاصة وما نحمل من مشاعر وعواطف، وكأنه تعالى كأحدنا وذلك لتقريب الأمور والحقائق إلى أذهاننا، كقوله تعالى: ﴿نَسُوا

(١) الحاقّة: ١٤.

(٢) هود: ١٠٧.

(٣) إبراهيم: ٤٨.

(٤) هود: ١٠٨.

الله فَنَسِيَهُمْ﴾[١].

٢- يمكن القول بأنّ المراد من رضا الله أي ثوابه، وغضبه عقابه والله العالم[٢].

(س) هل إنّ المراد من قوله تعالى: ﴿ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ هم العلماء فقط استناداً إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٣]؟

(ج) نعم؛ لظهور الحصر فيهما، فبالآية الأولى قال: ﴿ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ فكأنه قال: فقط لهم وليس لغيرهم، والآية الثانية وجود أداة الحصر (إنّما) التي تحصر الخشية في العلماء فقط.

(س) إذا كان العلماء هم الوحيدون الذين يخشون الله (تبارك وتعالى) ويتقرّبون إليه بعلمهم ومعرفتهم، إذاً فأين يذهب الباقون وبمن يلتجئ الملتجئون؟

(ج) لا يمكن حصر العلماء في مجموعة خاصة من المجتمع، ممن اختص في مجال طلب العلوم الدينية أو غيرها، بل دائرته أوسع فتشمل المتشرّعة والمتفهّمة ومن هو في طريق العلم، بل إنّ كلمة العلماء تشمل الذين في قلوبهم نور الإيمان بالله تعالى والخوف منه وإن كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم حيث عبّر عن الذي يقع في المعصية بأنّه من الجاهلين والذي يبتعد عنها فهو من العلماء الناجين. قال تعالى عن لسان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٤].

(س) ما الفرق بين الخوف والوَجَل والحذر والخشية والرهبة؟

(ج) ١- الخوف: توقّع مكروه عن أمارة معلومة أو مظنونة، ويُستعمل في الأمور الدنيوية

---

(١) التوبة: ٦٧.

(٢) منة المنان: الآية.

(٣) فاطر: ٢٨.

(٤) يوسف: ٣٣.

والأخروية. قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى﴾[١].

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه أفضل الصلاة والسلام): «لم يوجس موسى خيفةً على نفسه، إنّما أشفق من غلبة الجهل ودُوَل الضلال».

٢- الوجل: استشعار الخوف، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢].

٣- الحذر: احتراز عن مُخيف، قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[٣].

٤- الخشية: خوف شديد يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون عن علم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٤].

٥- الرهبة: مخافة مع تحرّز واضطراب، قال تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ﴾[٥] [٦].

(س) أمرنا الله (سبحانه وتعالى) أن نعبدهُ بصورة خالصة إذ قال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ فهل يمكن لنا تحقيق ذلك وكيف؟

(ج) المخلص هو الذي يأتي بالحسَن لحسنه ويترك القبيح والسيء لسوءه. فإذا جئنا بالأعمال بهذه النيّة ونقصد بذلك وجه الله (عزّوجلّ) لا نُريد سمعةً ولا مطلباً من مطالب الدُّنيا، فسوف نكون مخلصين بإذن الله (تعالى)، وقيل: المخلص هو من يأتي بالأعمال الصالحة بصورة واحدة في السرّ والعلن، فلا يزيد في عبادته أمام الناس ولا ينقصها في

(١) طه: ٦٧.

(٢) الأنفال: ٢.

(٣) التغابن: ١٤.

(٤) فاطر: ٢٨.

(٥) الحشر: ١٣.

(٦) منة المنان: الآية.

الخلوة[١].

(س) لماذا وَصَفَ الله (سبحانه وتعالى) الإسلام بالحنفية؟

(ج) سمّى الله (سبحانه وتعالى) الإسلام بالدين الحنيف ؛ لأنّه يأمر في جميع الأُمور إلى الاعتدال والابتعاد عن جانبي الإفراط والتفريط ، قال (عزّوجلّ) : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[٢].

(س) هل الخلود متساوي للمشركين والكفّار من أهل الكتاب في نار جهنّم ، كما هو الظاهر من الآية المباركة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾؟

(ج) ممّا لا شكّ فيه أنّ الخلود في نار جهنّم غير متساوي بين المشركين وأهل الكتاب فهؤلاء مهما كان انحرافهم في عقيدة التوحيد من تجسيم وحلول وتثنية وتثليث ، لا يوضعون في صفٍّ واحد مع المشركين ولا تشملهم أحكامهم الخاصّة ، لهذا فكلّ منهم يبقى في النار حسب استحقاقه ، وهناك خلودٌ أبدي للمشركين كما صرّح القرآن في آيات عديدة ، ولكن لم يُصرّح بخلود أبدي لأهل الكتاب ، كما في هذه الآية المباركة .

(س) هل يوجد مصداق واسع لخير البرية كما تقول الآية المباركة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾؟

(ج) من الظاهر أنّ مصداق خير البريّة ليس واسعاً بل محصور في مجموعة قليلة ، آمنوا الإيمان الكامل والمطلوب ثمّ قاموا بجميع الأعمال الصالحة دون نقص لهذا استحقّوا هذه الصفة ، وهؤلاء هم الرسول وأهل بيته الأطهار عليهم السلام . عن جابر بن عبد الله قال : كُنّا عند النبيّ صلى الله عليه وآله فأقبل عليٌّ عليه السلام فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : والذي نفسي بيده أنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ، ونزلت الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) البقرة : ١٤٣ .

هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، فكان أصحاب النبيّ ﷺ إذا أقبل الإمام عليّ ﵇ قالوا: جاء خير البَرِيّة[١] [٢].

❁ قال (عزّوجلّ): ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.

(س) لماذا يذكر الله (سبحانه وتعالى) في آيات كثيرة من كتابه العزيز الثواب والأجر العظيم الذي سيعطيه لعباده المؤمنين في الآخرة؟

(ج) إنّ في ذكر الثواب والجزاء العظيم للمؤمنين في الآخرة، عامل مشجّعٌ لهم يدعوهم إلى الاطمئنان والثبات والتزوّد من الصالحات.

(س) كيف تمكّن المؤمنون اكتساب رضى الله والحصول على ثوابه العظيم كما تقول الآية المباركة؟

(ج) استطاعوا ذلك عن طريق الإيمان والعمل الصالح، فكانوا يفعلون ما يقولون وما يعتقدون به.

(س) كيف يفهم المؤمن يوم القيامة مرضاة الله (عزّ وجلّ)؟

(ج) عندما يدخل المؤمن في جنّات النعيم ويرى تلك الخيرات الكثيرة، بالإضافة إلى السعادة الكبرى التي تنتابه يشعر عندها بأنّ الله (عزّوجلّ) قد رَضِيَ عنه.

(س) لماذا تقدّم قوله (عزّوجلّ): ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ على قوله: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾؟

(ج) لأنّ الناس هم الذين ينتظرون رضى الله (عزّوجلّ) لاحتياجهم إليه دون أن يحتاج إليهم وأنّ رضى العبد يأتي من رضى الله (عزّوجلّ)، ولا يجد طعم الرضى إذا كان الله (عزّوجلّ) غير راض عنه ولهذا تقدّم الأهمّ أوّلاً.

(س) لماذا قال (عزّوجلّ): ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ ولم يَقُل: رضي الربّ أو سائر الأسماء

---

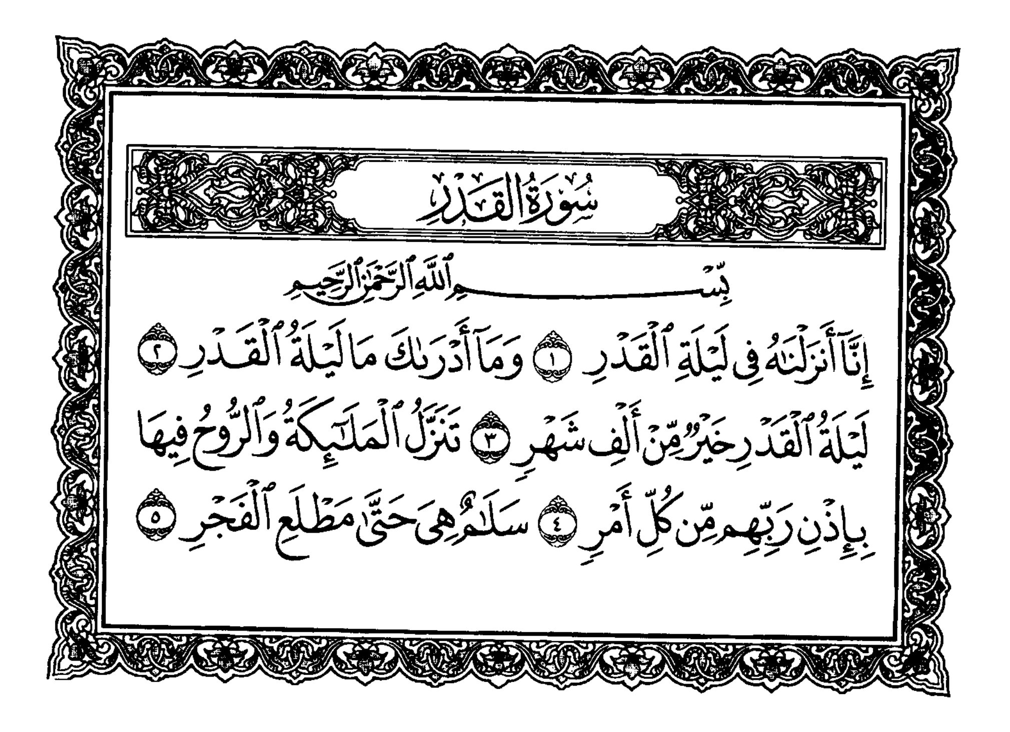
(١) الدرّ المنثور: ج٦ ص٣٧٩.

(٢) منة المنان: الآية.

الأُخرى؟

(ج) لأنّ أشدّ الأسماء هيبةً وجلالةً هي لفظة الله (عزّوجلّ) وهو الاسم الأعظم الظاهر الدالّ على الذات والصفات ، ولو قال رضى الربّ عنهم ، لم يشعر بكمال طاعة العبد لأنّ المربّي قد يكتفي بالقليل .

سُورَةُ القَدْرِ



فضلها:

عن أُبيّ بن كعب عن النبيّ ﷺ قال: «من قرأها أُعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر».

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من قرأ إنّا أنزلناه في فريضة من الفرائض نادى مُناد يا عبد الله قد غُفِرَ لك ما مضى فاستأنف العمل».

وعن أبي جعفرَ الباقر عليه السلام قال: من قرأ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ بجَهر كان كشاهر سيفه في سبيل الله ومَن قرأها سرّاً كان كالمتشحّط بدمه في سبيل الله ومن قرأها عشر مرّات مرّت على محو ألف

ذنب من ذنوبه.

موضوع السورة:

تذكر السورة إنزال القرآن في ليلة القدر وتُعظِّم الليلة بتفضيلها على ألف شهر، وتنزل الملائكة والروح فيها، وأنّها تُبرزُ أهمّية وحي القرآن والقلب الذي أُنزل عليه واستمرارية ليلة القدر المباركة، وأنّ القرآن لَهُ ثلاث صور:

١- قرآنٌ محكمٌ عند الله. قال (عزّ وجل): **﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾**(١).

٢- محكم عند الرسول ﷺ. قال (تعالى): **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾**، **﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾**(٢).

٣- مفصّل لدى الرسول ﷺ والناس. **﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾**(٣).



الأسئلة والأجوبة

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

(س) لماذا سُمّيت ليلة القدر بهذا الاسم؟

(ج) سمّيت بهذا الاسم لعدة أسباب، وهي غير متنافية:

١- إنّ القدر بمعنى العظمة والجلالة والمنزلة، إذاً فهي ليلة العظمة والمنزلة المُهابة.

٢- القدر من القدرة ؛ فهي تدل على قدرة الله (تبارك وتعالى)، فكأنّه تنزل قدرة الله وهيمنته وتدبيره للكون.

---

(١) الزخرف: ٤.

(٢) طه: ١١٤.

(٣) الإسراء: ١٠٦.

٣- بمعنى الحد التكويني الثبوتي، فقدّره كذا أي حدّه كذا غير قابل للزيادة أو النقصان، والمعنى: الليلة التي يُبتّ فيها عن تحديدات الأمور تكوينياً.

٤- التقدير الإثباتي: يعني بيان كمية الشيء.

٥- الليلة التي يقدّر فيها حوادث السنة، وتنزل هذه الأوامر على الإمام الحي وهو المهدي المنتظر عليه السلام لكي يمضيها ويوقع عليها[1].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، ولم يقل: إنّا أنزلنا القرآن في ليلة القدر؟

(ج) ١- تُرك ذكره للتعظيم.

٢- إنّ الأمر إذا صار معروفاً جاز إرجاع الضمير إليه.

٣- الرجوع إلى ما هو فعلي، فبما أنّ الكلام موجود في القرآن، لذا فالضمير يعود إليه[2].

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[3]؟

(ج) الآية الأولى هي أوّل آية نزلت على نبينا الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وذلك في يوم بدأ بعثته المباركة وهو اليوم السابع والعشرون من شهر رجب، وأمّا الآية الثانية تبيّن نزول القرآن بصورة كاملة في شهر رمضان المبارك، بشكل مجمل على قلب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، إذاً فلا تنافي بينهما، الآية الأولى حول بدء النزول، والثانية حول نزوله دفعة واحدة في شهر رمضان.

(س) هل نزل القرآن الكريم في غير أرضنا هذه، أي في مكان آخر من هذا الكون؟

(ج) من الظاهر أنّ القرآن الكريم لم ينزل في غير هذه الأرض وذلك للأسباب التالية:

---

(١) منة المنان: الآية.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) البقرة: ١٨٥.

١ - إنّ الأرض هي محل سكن الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم وأسجدَ الملائكة له.

٢- إنّ هذه الأرض هي التي تشرّفت بسكن خير خلق الله تعالى وبسيّد الكائنات جميعاً النبي الأكرم محمدﷺ وتشرّفت أيضاً بأهل بيته المعصومينعليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**(١).

قال الشاعر:

مهابط وحي الله خزّان علمه ... ميامين في أبياتهم نزل الذكرُ
ولولاهم لم يخلق الله آدماً ... وما كان زيد في الأنام ولا عَمرُ
ولا سطحتْ أرضٌ ولا رفعت سما ... ولا أشرقت شمس ولا طلع البدرُ

وجاء في الحديث القدسي: «يا أحمد لولاك لما خلقتُ الأفلاكا، ولولا علي لما خلقتكَ، ولولا فاطمة لما خلقتكما».

٣- إنّ أرضنا هي محط نزول الملائكة والرسل والكتب ومحل سكن الآدميين الذين سبقوا آدمناعليه السلام وهي محط ذكر الله وعبادته، ولهذا جعلت مركزاً للكون ومحطاً لنزول القرآن الكريم دون سائر مناطق الكون بأسره(٢).

(س) هل يمكن أن نقول: بأنّ المراد من **﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾** هو ابتدأنا بإنزاله أو إنزال بعض القرآن المحكم أو المُفصّل أو السورة فقط؟

(ج) لا يحتمل بعض القرآن لمكان الضمير (هُ) الذي يدلّ على الكلّ، ولا يحتمل السورة لمكان (هُ) في (أنزلناه) إذ لم يقل (ها) ولا يُحتمل أنّ النازل هو القرآن المُفصّل، فكثير من الآيات لا تتحمّل نزولها دفعة واحدة(٣).

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) منة المنان: الآية (مع تصرف قليل).

(٣) تفسير الفرقان: الآية.

(س) كيف نستدلّ على أنّ الليلة المباركة التي أُنزل فيها القرآن هي من ليالي رمضان؟ بقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾؟

(ج) من قوله (سبحانه وتعالى) في كتابه الشريف: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[١] نستدلّ على أنّ الليلة المباركة التي أُنزل فيها القرآن هي من ليالي شهر رمضان الكريم قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[٢].

(س) قيل: إنّ المراد من القدر هو التقدير، وهو أنّ الله (سبحانه وتعالى) يُقدّر في هذه الليلة حوادث السنة للعباد من حياة أو موت أو رزق وغير ذلك، فكيف استدلّوا على هذا الأمر؟

(ج) الآية المباركة من سورة الدخان تدلّ على هذا الأمر قال (سبحانه وتعالى): ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ. رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾[٣]. فرق الأمر الحكيم: الأحكام الحادثة الواقعة بخصوصيّاتها وتقديراتها.

(س) ما هو الدليل على أنّ هذه الليلة متكرِّرة بتكرّر السنين في شهر رمضان من كلّ سنة، ولماذا لا نقول إنّها كانت ليلة واحدة نزل فيها القرآن بعينه وما تكرّرت، أو أنّها تكرّرت بتكرّر السنين في زمن النبيّ ﷺ ثمّ رفعها الله (سبحانه وتعالى)؟

(ج) عن الفضيل وزرارة ومحمّد بن مسلم عن حمران أنّه سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال: نعم ليلة القدر هي في كلّ سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر...».

والآية المباركة ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ يشمل على فعل مضارع، يدلّ على الاستمرارية والدوام، وقوله (خيرٌ من ألف شهر)، و (تَنَزَّلُ الملائكة) فعل مضارع أيضاً ولم يقل تنزَلَ بصورة فعل ماض، يؤيّد ذلك أيضاً، إذاً فلا وجه

---

(١) البقرة: ١٨٥.
(٢) الدخان: ٣.
(٣) الدخان: ٤ ـ ٦.

لما قيل: إنّها ليلة معيّنة أو أنّها تكرّرت في زمن الرسول ﷺ فقط[١].

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

(س) ماذا نزل على الرسول في ليلة القدر من القرآن، هل نزل عليه تفصيل القرآن أم محكمه، أو بعضه من المُفصّل أو المُحكم؟

(ج) الذي نزل في ليلة القدر جميع القرآن ولكن بالصورة المحكمة (وذلك لمكان (هُ) لا (ها) فلا يُراد أنّها سورة القدر أو غيرها، ولا التفصيل هو الذي نزل إذ أنّ الكثير من الآيات لا تتحمّل نزولها دفعة واحدة وأنّ التفصيل لم يكمل عند إنزال جميع المُحكم ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[٢] وقال (عزّ وجلّ): ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[٣].

والكفّار هم الذين طلبوا ذلك ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[٤] [٥].

(س) ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أين أنزله الله (سبحانه وتعالى)، ومتى كان ذلك؟

(ج) أنزله على قلب النبيّ محمّد ﷺ بصورة مباشرة وليس إلى السماء الدُّنيا في البيت المعمور كما في الرواية الوحيدة التي لا يَقبلها العقل والدين، فأيّ قلب وبيت هو أعمر وأنور من قلب النبيّ ﷺ فليكن الرسول هو المقصود من البيت المعمور إذا قلنا ذلك، وكان ذلك في السنة الأولى من البعثة[٦].

(س) ما هي المدّة الزمنية بين بعثة النبيّ ﷺ وبين ليلة القدر التي أُنزِل فيها القرآن؟

---

(١) تفسير الميزان: ج٢٠ ص٣٣٤.

(٢) طه: ١١٤.

(٣) القيامة: ١٦.

(٤) تفسير الفرقان: ٣٢.

(٥) تفسير الفرقان: الآية.

(٦) المصدر نفسه.

(ج) ما يُقارب الخمسين يوم وذلك من ٢٧ رجب إلى ليلة القدر المباركة .

(س) أجمع المفسِّرون من كلّ المذاهب أنّ المراد بـ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ هو القرآن بمعنى إنّا أنزلنا القرآن في ليلة القدر، فلماذا ترك الله (سبحانه وتعالى) التصريح بالذكر وجاء بضميره؟

(ج) أ) الإشارةُ بالضمير تدلّ على عظَم القرآن من ثلاثة أوجه .

١ - أنّه (تعالى) أسند إنزال القرآن إليه وجعله مختصاً به دون غيره .

٢- إنّه لا يحتاج إلى التصريح الواضح لأنّه مشتهرٌ وواضح، فكما في قوله تعالى : ﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [١] إذ لم يذكر الموت لشهرته، وكذلك في قوله : ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾ [٢] لم يذكر أبا جهل أو الكافر .

٣- تعظيم الوقت الذي أُنزل فيه .

ب) إنّ الذي نزل في ليلة القدر لم يكن القرآن المفصّل حتّى يمكن القول (إنّا أنزلنا هذا القرآن في ليلة القدر) وإنّما روحه المجمل ومحكمه الغائب عن عقولنا، لذا يستحقّ الضمير الغائب (هو) المطلق [٣] .

(س) إذا قلنا : إنّ المراد من (ليلة القدر) هو أنّ الله (سبحانه وتعالى) يُقدِّر للناس الأُمور والأحكام والأرزاق والحياة، فهل أنّ التقدير يَحدُثُ في تلك الليلة على الناس أم أنّ التقدير مسبوقٌ؟

(ج) لاشكّ أنّ الله (سبحانه وتعالى) قدَّر المقادير لمخلوقاته منها الإنسان قبل أن يخلق السماوات والأرض أي في الأزل، وأنّه (سبحانه وتعالى) لا يحتاج إلى مجيء ليلة القدر من كلّ سنة لكي يُقدِّر الأمور فيها لخلقه، بل المراد هو إظهار تلك المقادير

(١) الواقعة : ٨٣ .

(٢) العلق : ٦ .

(٣) منة المنان : الآية .

للملائكة في تلك الليلة، بأن يكتبها في اللوح المحفوظ(١).

(س) هل للقدر معنىً آخر؟

(ج) قالوا إنّ معنى القدر هو الشرف والمنزلة كما نقول لفلان قدرٌ عظيمٌ، فليلة القدر معناها ليلة العَظَمَة والشرف ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

(س) لماذا أخفى الله (سبحانه وتعالى) هذه الليلة بين ما يقارب عشرة ليالي؟

(ج) أ) أنّه (سبحانه وتعالى) أخفاها كما أخفى بعض الأُمور الأُخرى منها:

١- أخفى رضاه في الطاعات حتّى يرغبوا في الكلّ.

٢- أخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكلّ.

٣- أخفى وليّه فيما بين الناس حتّى يُعظّموا الكلّ.

٤- أخفى الإجابة في الدُّعاء ليبالغوا في كلّ الدعوات.

٥- أخفى الاسم الأعظم ليعظّموا كلّ الأسماء.

٦- أخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على كلّ الصلوات.

٧- أخفى وقت الموت ليخاف المكلّف دائماً.

وهكذا أخفى (سبحانه وتعالى) هذه الليلة لكي يُعظّموا جميع ليالي شهر رمضان.

ب) كأنّه (سبحانه وتعالى) يقول: لو عيّنتُ ليلة القدر وأنا أعلم بتجاسُرِكُم على المعصية، فربّما دَعَتكَ شهوتك في تلك الليلة إلى المعصية فوقعت في الذنب، فلو كنت تعلم أنّها ليلة القدر، فمعصيتك تكون أشدّ ممّا لم تعلم، فلهذا السبب أخفيتُها عليك، فمعنى ذلك إذا عَلمَ الإنسان ليلة القدر وأطاع الله فيها اكتسب ثواب ألف شهر وإذا عصى اكتسب عقاب ألفَ شهر.

ج) أخفى الله (سبحانه وتعالى) هذه الليلة لكي يجتهد المكلّف في طلبها فيحصل على ثواب الاجتهاد.

د) إنّ العبد عندما لم يعرف ليلة القدر فإنّه سوف يجتهد في الطاعة جميع ليالي شهر

---

(١) المصدر نفسه.

رمضان المبارك فيُباهي الله (سبحانه وتعالى) الملائكة ويقول لهم: كنتم تقولون فيهم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء فانظروا كيف يجتهدون في هذه الليالي لطلب ليلة القدر، فكيف بهم إذا كانت معلومة، إذاً ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١] [٢].

(س) هل أنّ الليلةَ تتبعُ اليومَ (النهار)؟

(ج) اختلفوا، قال الشعبي: نعم يومها كليلتها، ولعلّ الوجه فيه أنّ ذكر الليالي يستتبع الأيّام، فمن نذر ليلتين اعتكاف لزمه نهارَهُما أيضاً، قال (عزّوجلّ): ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[٣]، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾[٤] [٥].

(س) الذي قُضِي وقُدِّر على الإنسان في ليلة القدر هل من الممكن أن يتغيّر ويُنظَر فيه مرّة أخرى؟

(ج) عن الإمام الباقر عليه السلام «. . . فما قَدَّر في تلك الليلة وقضى فهو المحتوم، ولله (عزّوجلّ) فيه المشيئة. . .» - يريد بذلك إطلاق قُدرته فله أن يشاء ما يشاء وإن حتم فإنّ إيجابه الأمر لا يفيد القدرة المطلقة فله أن ينقض القضاء المحتوم وإن كان لا يشاء ذلك أبداً ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٦] [٧].

(س) هل اللفظ (إنّا) في قوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ التي هي ضمير الجمع فيها دلالةٌ لنا؟

---

(١) البقرة: ٣٠.
(٢) التفسير الكبير: الآية.
(٣) الأعراف: ١٤٢.
(٤) الفرقان: ٦٢.
(٥) التفسير الكبير: الآية.
(٦) الرعد: ٣٩.
(٧) منة المنان: الآية.

(ج) نعم، ضمير (نا) التي هي للجمع تُؤكّد لنا أنّ هذا القرآن فيه مجموعة الرحمات الإلهية الممكن نزولها على الإنسان، (إنّا) تُشير إلى جميع الصفات الإضافية الحُسنى لله، فهذا القرآن من الغفور الرحيم الكريم العليم الخبير العطوف الرؤوف الجبّار الخالق المهيمن العزيز المُنعم المتفضّل القادر و . . .

(س) الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ موجّهٌ للنبي الأكرم ﷺ وهو يعلم ما ليلة القدر، فكيف ينكر إدراكه له؟

(ج) ١- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ..﴾ صيغة تعجّب كقولنا: ما أحسنها وما أعظمها، فالاستفهام هنا بالمعنى الثانوي وليس الاستفهام الحقيقي، بل استفهام تعظيمي(١).

قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

(س) هل يمكن القول بأنّ ليلة القدر ليست خيراً من ألف ومئة شهر أو ألفين مثلاً؟

(ج) ١- إنّ العدد ليس للتحديد والضبط الدقيق، فلا يُفهم من الآية شرط عدم الزيادة والنقيصة، بل المراد كثرة الشهور.

٢- إنّ رقم الألف هو أقصى رقم كان يتصوّره العرب آنذاك، وإنّ العرف يدلّ على كثرته أيضاً(٢).

(س) قال بعض المفسّرين من أهل السنّة: إنّ المراد من ألف شهر في قوله تعالى ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ هو حكم بني أمية، فهل يمكن قبول ذلك؟

(ج) إنّ بني أميّة وإن حكموا أكثر من ألف شهر، فمن الناحية العملية يجب أن تكون ليلة القدر مفقودة في مدة ملكهم، لأنّ مع مجيء ليلة القدر، تنزل الملائكة بالرحمة على الناس، ويقدّر الله تعالى لهم الأرزاق والخيرات إلى مدّة سنة كاملة، ولكن المجتمع الإسلامي آنذاك لم يرَ من حكم بني أمية إلاّ الجور والفساد والضلال، فكانت الطبقية

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

والعصبية القبلية هي السائدة والرائجة، حتى كأنّ العطاء الإلهي والكرم الرباني المتوقع نزوله لم يكن ينزل خلال مدة حكمهم، فكأنّ وجود ليالي القدر فيها كعدمها، إذاً فلا قيمة ولا خير في مدة حكم بني أمية. لهذا لا يصحّ مقارنتها ومقابلتها مع ليلة القدر، إلاّ أن نقول: ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر بدون عطاء وخير ويكون الفرد فيه في زمن الانحطاط والدمار، كما في زمن بني أمية، حاشا للقرآن العظيم من هذا التناقض(١).

۞ قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾.

(س) ما فائدة هذا التكرار الظاهر بصيغة استفهام؟

(ج) كناية عن جلالة قَدر الليلة وعظَم منزلتها ويؤكّد ذلك إظهار الاسم مرّة بعد مرّة إذ قال (تعالى): **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ﴾** ولم يقل: وما أدراك ما هي هي خير من ألف شهر، فتكرار الاسم كناية عن التقدير والتعظيم.

ومعنى الآية المباركة: لم تبلغ درايتُك وعلمُك فضلها ومُنتهى علوِّ قدرها.

ثمّ إنّه تعالى بيَّن فضلها وقدرها من ثلاثة أوجه. بعدما قال: لا يبلغ علمك يارسول الله ﷺ فضلها وقدرها:

١- **﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾**.

٢- **﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾**.

٣- **﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾**(٢).

(س) أيُّ شيء أفضل في هذه الليلة من ألف شهر آخر؟

(ج) العبادة في هذه الليلة هي أفضل من العبادة في ألف شهر آخر ليس فيها ليلة القدر وهي المناسبة لهدف القرآن وسعيه في تقريب الناس إلى الله (سبحانه وتعالى)، فإحياؤها بالعبادة خيرٌ من ألف شهر.

في الكافي.. عن أبي عبد الله عليه السلام قال له بعض أصحابنا ولا أعلمه إلاّ سعيد السمّان:

---

(١) تفسير الفرقان: الآية.

(٢) منة المنان: الآية.

كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟

قال: العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

(س) لماذا جعل الله (سبحانه وتعالى) العبادة في هذه الليلة أفضل من ألف شهر آخر؟

(ج) ربّنا (سبحانه وتعالى) يسعى إلى جَرِّ خَلقه إلى الطاعات والمعنويات وترك الأُمور المادّية والشهوات، ويَضَعُ لذلك مشوِّقات ومرغِّبات كثيرة؛ فتارةً يجعل جزاء الحسنة بعشر أضعاف ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1] ومرّة سبعمائة، ومرّة أكثر، وتارةً بحسب الأزمنة، وأُخرى بحسب الأمكنة، فتارةً يُرجّح البيت وأرض مكّة وأرض كربلاء المقدّسة على سائر الأرضين، وتارةً يُفضِّل ليلة القدر، وتارةً يوم الجمعة.

وتارةً يُعطي أملاً وفرصة للناس لكي يسدّوا النقص الذي حصل فيهم من ناحية العبادة، فيجعل لهم ليلة القدر وفيها ثواب عظيم ويجعل أماكناً أُخرى مقدّسة فيها الأعمال مُضاعفة، ويجعل اليتيم والرّحم بين الناس وأنّ من يَصلَهُم يُضاعف له الأجر أضعافاً كثيرة قال عليه السلام: «صلة الرحم تُطيل في العمر»[2].

(س) قال النّبيُّ صلى الله عليه وآله: «أفضلُ الأعمال أحمزُها» وأنّ الطاعة في ألف شهر أشقُّ من الطاعة والعبادة في ليلة واحدة، فكيف يصحّ استواؤهما؟

(ج) إنّ الفعل أو العمل الواحد تختلف درجته ومنزلته بالحُسن والقُبح حسب اختلاف الأمور والشروط والحالات والأزمنة التي يحدث فيها ذلك الفعل أو العمل، فمثلاً نرى صلاة الجماعة مع أكثر من عشرة أشخاص تعجزُ الملائكة عن حساب ثواب ذلك، في حين الصلاة المفردة ليست كذلك، وأنَّ الشهادَةَ طريقٌ مختصر إلى الجنّة في حين يبقى الرجل يَعبُد عشرات السنين ولا يدري هل هو من أصحاب الجنّة أم من أصحاب النار؟! وذلك إذا كانت أعماله غير خالصة لله (سبحانه وتعالى)[3].

---

(١) الأنعام: ١٦٠.

(٢) منة المنان: الآية.

(٣) منة المنان: الآية.

(س) قال (عزّ وجلّ): ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ هل هذه الأشهر الألف تتضمّن ليالي القدر أم لا، ولماذا يتكرّر هذا الأمر في كلّ سنة للمكلّفين؟

(ج) لاشكّ أنّ هذه الأشهر الألف لا تُحسب ضمنها ليلة القدر، وإنّما كرّر الله (سبحانه وتعالى) الليلة لكي يُزيد في المنافع والأرزاق والخيرات والثواب والمغفرة للناس[1].

(س) هل كان النبيّ ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام يعلمون بليلة القدر بشكل كامل؟

(ج) لاشكّ أنّ النبيّ ﷺ والأئمّة عليهم السلام كانوا يعلمون بليلة القدر بكلِّ وضوح، ولا يُقبل قول القائل إنّ النبيّ ﷺ نسيها.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: يا أبا هذيل! إنّا لا يُخفى علينا ليلة القدر، إنّ الملائكة يطوفون بنا فيها[2].

(س) إنّ ليلة القدر، هي ليلةٌ واحدة من السنة، لا من شهر، فلماذا لا تقول الآية: خيرٌ من أربع وثمانين سنة؟

(ج) لو قالت خيرٌ من ٨٤ سنة لوقعنا في تهافت وخطأ، لأنّ لكلّ سنة من هذه السنين ليلة قدر، فكيف تفضّل ليلة القدر على نفسها بمضاعفات، ولمّا قال (عزّوجلّ): خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، عرفنا أنّها الشهور التي ليس فيها ليلة القدر، فلا يعني أنّها أفضل من ألف شهرٍ على التوالي، إنّما مقداره على حساب الأيّام وهي ثلاثون ألف يوم[3].

۞ **قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾.**

(س) هل جميع الملائكة تنزل ليلة القدر؟

(ج) ١- إنّ الجميع يرغب في النزول وذلك لأداء عملهم وطاعاتهم، وفي نزولهم إلى الأرض أشياءُ جديدة غير موجودة في السماء، بالرغم من أنّهم في اتّصال دائم مع أهل الأرض، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

الأرْضِ﴾[١]، وهل ينزل جميع الملائكة فذلك يعلمه الله ورسوله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

٢- ورأي آخر يقول بأنّ النازل ليس كل الملائكة بل بعضهم، فمن الممكن أن تكون المسألة اختيارية لأفرادهم، وإذا كان النزول بنحو الوجوب الكفائي، وهو إذا قام به البعض سقط الوجوب عن الآخرين، لذا فكل واحد منهم يشعر أنّه ينزل برخصة لا بإلزام ووجوب[٢].

(س) كيف قال تعالى بأنّ الملائكة تنزل بالأمور المقدّرة للناس لسنة كاملة، وأنّ هذا لا يمكن أن يحصل في ليلة واحدة كليلة القدر، بل لابدّ أن توزع في سنة كاملة؟

(ج) ١- التقادير الإلهية للخلق تنزل من السماء إلى الأرض، ولكن تُسلَّم بيد حجة الله تعالى في الأرض وهو الإمام المعصوم عليه السلام، ثم بدوره ينزل أوامر السنة للخلق ومنهم المكلفين. لهذا جاء في الحديث الشريف: «لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها».

٢- إنّ النزول معلّق وليس فعلي، فلو كان التنفيذ فعلياً للأوامر والعطاءات فلابدّ من مرور سنة عليها، إلاّ أنّه لا بأس أن ينزل كله في ليلة واحدة نزولاً اقتضائياً، ويبقى موقوفاً تطبيقه على شرط حصول زمنه[٣].

(س) أين تتنزّل الملائكة وهل الأرض تسعهم إذا كانوا ينزلون عليها؟

(ج) قال أكثر المفسِّرين إنّ الملائكة ينزلون إلى الأرض في ليلة القدر، لا إلى السماء الدُّنيا كما قاله البعض، لأنّ الغرض من نزولهم هو ترغيب الناس لإحياء هذه الليلة والأحاديث دلّت على أنّ الملائكةَ ينزلون في سائر الأيّام في مجالس الذكر وخصوصاً مجالس الإمام الحسين (سلام الله عليه)، فمن الطبيعي أنّها تنزل في ليلة القدر.

---

(١) الشورى: ٥.

(٢) منة المنان: الآية.

(٣) المصدر نفسه.

۞ قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾.

(س) هل أنّ الملائكة ينزلون في ليلة القدر عن رغبة ومحبّة منهم أو أنّهم مأمورون بذلك والآية المباركة تقول: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾[1]؟

(ج) قوله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ تدلّ على أنّهم استأذنوا أوّلاً فأُذنوا وهذا يدلّ على غاية المحبّة لأنّهم يرغبون إلينا ويتمنّون لقاءنا[2].

(س) الآية المباركة تقول عن الملائكة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾[3] وهذه الحالة تنافي قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾؟

(ج) لابدّ أن تُصرف الحالتان إلى زمانين مختلفَين[4].

(س) لماذا مُدَّت ليلة القدر إلى مطلع فجرها؟

المروي: أنّهم ينزلون فوجاً بعد فوج فمن نازل وصاعد كأهل الحجّ فإنّهم على كثرتهم يدخلون الكعبة جميعهم وذلك بسبب دخول بعض وخروج البعض الآخر، ولهذا السبب مُدّت إلى غاية طلوع الفجر ولفظ (تنزلُ) تفيد التّدريج المرّة بعد المرّة[5].

(س) ما فائدة نزول الملائكة في ليلة القدر؟

(ج) إنّهم ينزلون على المؤمنين:

١ – ليسلِّموا عليهم وليزوروهم، لأنّ من يشتغل بعبادة الله في هذه الليلة لا شكّ أنّه يستحقّ نزول الملائكة عليه ليسلِّموا عليه، كما وعد الله ذلك للمؤمنين في الآخرة ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[6].

---

(١) مريم: ٦٤.

(٢) تفسير الفرقان: الآية.

(٣) الصافات: ١٦٥.

(٤) منة المنان: الآية.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) الرعد: ٢٣ ـ ٢٤.

عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : «إنّهم ينزلون ليسلّموا علينا وليشفعوا لنا فمن أصابته التسليمة غُفِرَ له ذنبه».

٢- في نزولهم حافزٌ للإنسان على الطاعة والخيرات أكثر ؛ لأنّ الإنسان يأتي بالطاعات والخيرات أكثر عندما يكون في وسط العلماء والزُّهّاد ويتأثّر بجمعهم الصالح ، بينما لا يتأثّر كذلك إذا كان في خَلوة ، فالله ينزل الملائكة حتّى يعلم العبد أنّه في حضور أولئك المقدّسين الصالحين(١) .

(س) هل تنزل الملائكة في غير ليلة القدر؟

(ج) الروايات تقول : ما من جَمع يتحدّثون عن فضائل أهل البيت عليهم السلام وعن مصيبة الامام الحسين عليه السلام إلاّ وحَضَرَت الملائكة وحَضَرَت فاطمةُ الزهراء عليها السلام ، والقرآن الكريم يصرّح بذلك أيضاً ، قال (عزّوجلّ) : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا**﴾(٢) .

(س) هل تستفاد الملائكة من نزولها إلى الأرض في ليلة القدر؟

(ج) لاشكّ أنّها تستفاد من ذلك إذ أنّ الله (سبحانه وتعالى) جعل فضيلة هذه الليلة في الاشتغال بطاعته في الأرض ، فعند نزولهم إلى الأرض تصير طاعتُهُم أفضل وأكثر ثواباً ، فكما يذهب المؤمن إلى مرقد الإمام الحسين وسائر الأئمّة عليهم السلام لأجل أداء الصلاة والدعاء ، فعند هذه المراقد الشريفة تكون الصلاة أتمّ وأكثر ثواباً .

(س) مَن هو الروح الذي ينزل مع الملائكة ليلة القدر؟

(ج) قيل : هو جبرائيل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه ، كأنّه يقول : الملائكة في كفّة والروح في كفّة(٣) .

وقيل : والظاهر من الروح هو الروح الذي من الأمر (أي الشيء المختصّ بالله سبحانه

---

(١) منة المنان : الآية .

(٢) فصّلت : ٣٠ .

(٣) التفسير الكبير : الآية .

وتعالى)[١] ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[٢].

عن أبي بصير قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فذكر شيئاً من أمر الإمام إذا وُلد فقال: استوجب زيادة الروح في ليلة القدر، فقلتُ: جعلت فداك أليس الروح هو جبرئيل؟ فقال: جبرئيل من الملائكة، والروح خلق أعظم من الملائكة أليس أنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾.

وقيل: الروح؛ هو عظيم الملائكة وزعيمهم وليس منهم بدليل المقابلة[٣].

وهو الذي يقوم مع الملائكة يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ...﴾[٤].

(س) فإن قيل: كيف يَرغَبُونَ بالنزول إلينا ونحن نمتلك معاصي كثيرة؟

(ج) إنّهم لا يقفون على تفاصيل المعاصي، روي أنّ الملائكة يُطالعون اللوح، فيرون فيه طاعة المكلّف مفصّلة، فإذا وصلوا إلى معاصيه أرخى الستر فلا يرونها فحينئذ يقول: «سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح»[٥].

(س) هل ترى الملائكة في الأرض من الطاعات ما لا تراه في السماوات؟

(ج) ١ - لاشكّ أنّهم يرون أموراً ما لا يرونها في السماوات، مثل الأغنياء يأتون بالطعام من بيوتهم ويعطونه للفقراء، فيأكل الفقراء ذلك ويعبدون الله (جلّ وعلا) وهذا النوع من الطاعة غير موجودة في السماوات.

٢ - إنّهم يسمعون أنين العصاة، قال (سبحانه وتعالى): «لأنين المذنبين أحبُّ إليَّ من زجل المُسبِّحين، فيقولون تعالوا لنذهب إلى الأرض لكي نسمع صوتاً هو أحبّ إلى ربّنا من

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) الإسراء: ٨٥.

(٣) تفسير الفرقان: الآية.

(٤) النبأ: ٧٨.

(٥) التفسير الكبير: الآية.

صوت تسبيحنا، وأنين المذنبين أفضل لأنّه إظهارٌ لغفارية الله (تبارك وتعالى) بينما تسبيح الملائكة إظهار لكمال حال المطيعين[١].

۞ قال تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾.

(س) ما هو المراد من قوله (سبحانه وتعالى): ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾؟

(ج) قيل: إنّ من بمعنى: الباء، وقيل: لابتداء الغاية وتفيد السببيّة، فيكون المعنى بسبب كلّ أمر إلهي، وقيل للتعليل أي لأجل تدبير كلّ أمر من الأُمور.

والحقّ أنّ المراد بالأمر إن كان هو الأمر الإلهي في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٢]، فمن هنا للابتداء وتفيد السببيّة، فيكون المعنى: تتنزّل الملائكة والروح في ليلة القدر بإذن ربِّهم مبتدء من كلّ أمر إلهي.

وإن كان الأمر هو من الأُمور الكونية (فمن) بمعنى لام التعليل، فالمعنى يكون تتنزّل الملائكة والروح.. لأجل تدبير كلّ أمر من الأُمور الكونية.

فكأنّهم يقولون: لا ننزل إلى الأرض لهوى أنفسنا ولكن لأجل كلّ أمر فيه مصلحة المكلّفين في الدُّنيا والآخرة[٣].

۞ قال تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

(س) من هو السلام؟

(ج) إشارة إلى العناية الإلهية بشمول الرحمة لعباده المقبلين إليه، ومنها الملائكة يسلِّمون على مَن مرّوا به من المؤمنين المتعبِّدين.

(س) الآية المباركة تشير إلى أنّ هناك سلاماً كبيراً من الله (سبحانه وتعالى) في هذه الليلة على عباده، هل لا يوجد في الليالي الأُخرى سلامٌ؟

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) يس: ٨٢.

(٣) منة المنان: الآية.

(ج) إنّ الآية لا تنفي السلام في باقي الليالي، ولكن السلام الموجود فيها ليس كالسلام الذي ينزلُ ليلة القدر، عن النبيّ ﷺ: «إنّ الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتّى يضيء فجرها ولا يستطيع فيها أن ينال أحداً بخبل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد ولا ينفذ فيه سحر ساحر».

(س) ما هو الدليل على أنّ السلام الأكبر موجودٌ في ليلة القدر؟

(ج) الدليل هو تقدّم الخبر (سلامٌ) على المبتدأ (هي) وهذا يُفيد الحصر، فهذه الليلة محصورة بالسلام دون سواها التي فيها سلامٌ ولا سلام.

(س) كيف أصبحت الليلةُ سلاماً؟

(ج) السبب الذي دعى بليلة القدر أن تكون سلاماً كاملاً حتّى مطلع الفجر هو:

١- نزول القرآن فيها بالصورة المحكمة على الرسول محمّد ﷺ والقرآنُ هو الذي يحمل الإسلام الذي كلُّه سلام.

٢- لنزول الملائكة والروح فيها فلذا تندحر الشياطين.

٣- تُنزلُ الملائكة معها السلام والخير من كلّ أمر عاجلاً أم آجلاً.

٤- يُسمَعُ فيها كلُّ دعاء، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «سلامٌ دائم البركة إلى طلوع الفجر على ما يشاء من عباده بما أحكم من قضائه»[1].

(س) من هو الروح في قوله (عزّوجلّ): ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾؟

(ج) الروح هو عظيم الملائكة وزعيمهم، وليس منهم بدليل المقابلة وتخصيصه بالذكر، ويؤيّده ما ورد عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام، عن أبي بصير قال: قلت للإمام جعفر الصادق عليه السلام: جعلت فداك الروح ليس هو جبرائيل؟ قال: الروح أعظم من جبرائيل، إنّ جبرائيل من الملائكة، وإنّ الروح هو خلق أعظم من الملائكة، أليس يقول الله (تبارك وتعالى): ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾[2] [3].

---

(١) نور الثقلين ج٥ ص٦٤١ ح١١٤.

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٦٣٨ ح١٠٤.

(٣) تفسير الفرقان: الآية.

(س) ما هو المراد من الأمر في قوله (عزّوجلّ): ﴿تنزّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾؟

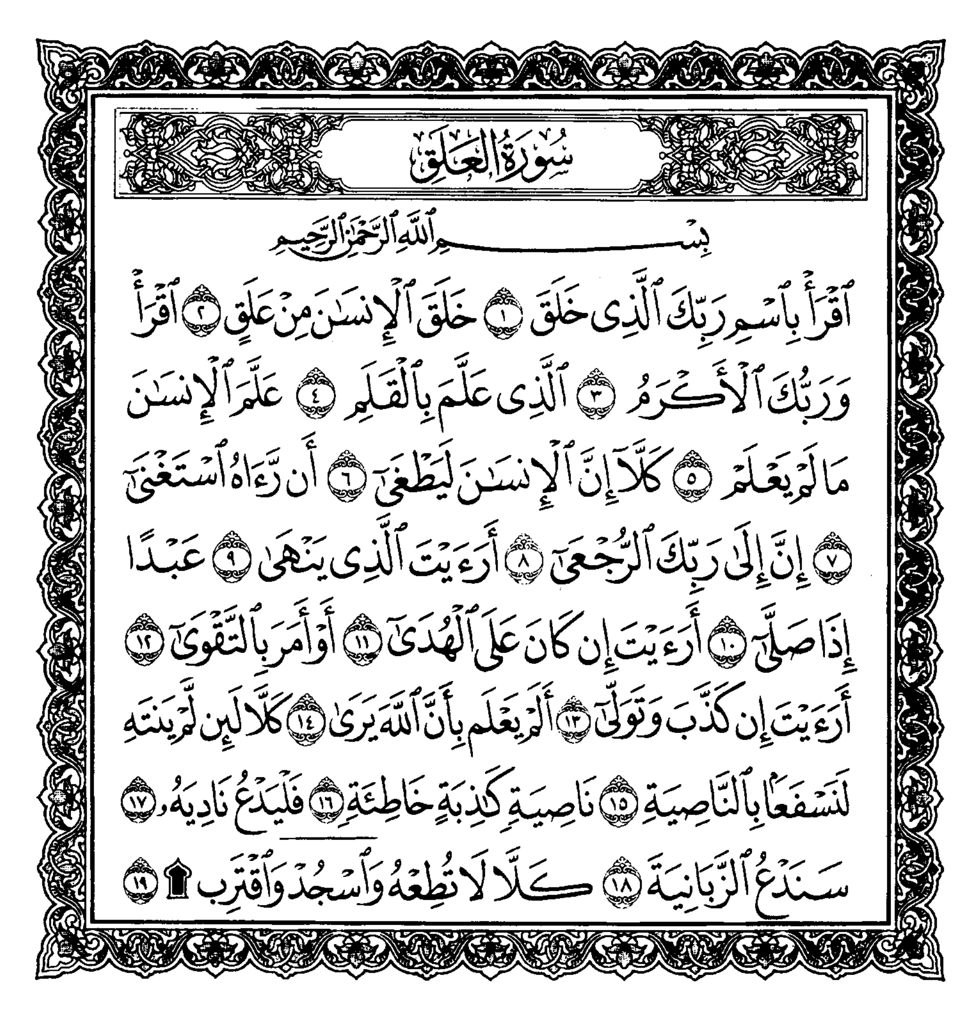
(ج) الآية قالت: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي بعض من كلّ الأوامر، لا كلّها، لأنّ من الأُمور ما هي مختصّة بالله (عزّوجلّ) ومنها مختصّة بالرسول صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين من بعده إلى يومنا هذا حيث هناك أوامر خاصّة تنزل على حجّة الله في أرضه وهو إمام العصر المهدي المنتظر عليه السلام دون أن تنزل على غيره، وهناك أوامر تنزل على سائر الناس. والأمر هو الأمر الحكيم كما قال (عزّوجلّ) في سورة حم الدخان: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[1]. فليلة القدر هي ليلة الفرق والفصل لكلّ أمر حكيم، فتتنزّل الملائكة والروح بإذن ربّهم لأجل تدبير كلّ أمر من الأُمور الكونية وليس مُختصاً بأوامر الكرة الأرضية، لهذا قال (عزّوجلّ): ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ﴾[2][3].

(١) الدخان: ٣ ـ ٧.

(٢) الشعراء: ٢٤.

(٣) منة المنان في الدفاع عن القرآن: الشهيد محمد الصدر.

سورة العلق



فضلها:

ابن بابويه باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ في يومه أو ليلته «اقرأ باسم ربـك»

ثم مات في يومه أو ليلته، مات شهيداً وبعثه الله شهيداً، وأحياه شهيداً، وكان كمن ضرب بسيفه في سبيل الله مع رسول الله ﷺ.

مفردات السورة:

إقرأ: قال الراغب: القراءة ضمّ الحروف والكلمات بعضها مع بعض في الترتيل، ويمكن أن يكون ذلك بالذهن أيضاً لا يتلفّظ، ولا يُقال القراءة لكلّ جمع فلا يقال قرأت القوم إذ جمعتهم، ولا يُقال للحرف الواحد إذا تفوّه به، ومعنى التلاوة: هي (قرأته عليه) إذ جمعت بين حروف الكتاب وكلماته في سمعه. في قوله: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً﴾[1]، إذاً هناك فرق بين التلاوة والقراءة.

العلق: الدم المنجمد، أو هي القطعة الجامدة من الدم التي تَعلقُ لرطوبتها بما تمرّ به، وما تستحيل إليه النطفة في الرّحم، وفي الآية إشارة إلى التدبير الإلهي الكبير على الإنسان منذ أن كان عَلَقَة إلى أن يصير إنساناً كاملاً.

الرجعى: الرجوع.

لنسفعاً: السفع هو الجذب الشديد، سفعت بالشيء إذا قبضت عليه وجذبته جذباً شديداً.

الناصية: شعر مقدّم الرأس سمّيت بذلك لأنّها متّصلة بالرأس.

الزبانية: الملائكة الموكلون بالنار (وهم غلاظ شداد لا يمكن أن يقف أمامهم ناصر ومعين ليدفعهم).

النادي: المجلس، والمراد به في الآية أهل المجلس أي الجمع الذي يجتمع بهم.

أرأيت: أخبرني والاستفهام للتعجّب ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَة﴾[2].

موضوع السورة:

السورة المباركة تأمرُ النبيَّ ﷺ بتلقّي القرآن بالوحي منه (سبحانه وتعالى) وهي أوّل

---

(١) البيّنة: ٢.

(٢) هود: ٢٨.

سورة نزلت من القرآن الكريم وسياقها لا يأبى نزولها دفعة واحدة .



الأسئلة والأجوبة

۞ قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

(س) ما هو الدليل على أنّ هذه السورة أوّل ما نزل على الرسول محمّدﷺ ؟

(ج) ناصية الآيات (الخمس الأولى) من هذه السورة تشهد ومعها الروايات ، والمفسّرون جميعاً يشهدون أنّها أوّل ما نَزَلَ من القرآن على الرسولﷺ وهي تحمل معنى البسملة بوجوب قراءتها قبل القرآن ، ولا تنافي بينها وبين الروايات التي تقول إنّ الحمد هي الأولى ، إذ أُمر فيها (في الآيات الخمس من سورة القلم) أن يقرأﷺ البسملة قبل الحمد وهكذا قبل جميع السور ، والحمد بما أنّها تحملُ مُجمل القرآن لذا توحي أنّها الأولى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[١] ، لاشكّ أنّ المراد من (إقرأ) أي اقرأ القرآن وليس شيئاً آخر[٢] .

(س) هل الآية ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ﴾ توحي أنّ الرسولﷺ لم يكن قارئاً للقرآن قبله؟

(ج) نعم الآية تُبيِّن بأنّه لم يقرأ شيئاً من القرآن ، فلذا الآيات الخمس تُعلِّمه البسملة وتدعوه إلى قراءتها فـ ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ تُشير إلى (بسم الله) ، (الذي خلق مع العقل = الرحمان) ، وقوله : ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ = الرحيم) .

وأمّا الرحيميّة الخاصّة التي تشمل المؤمنين فقط ﴿عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ = ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾[٣] .[٤]

---

(١) الحجر : ٨٧ .

(٢) تفسير الفرقان : الآية .

(٣) النساء : ١١٣ .

(٤) تفسير الفرقان : الآية .

(س) هل يمكن القول: بأنّ الباء في ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ زائدة؟

(ج) إذا قلنا: إنّ (الباء) زائدة فيكون المعنى (اقرأ اسم ربّك = أي اذكر اسم ربّك) وهذا القول ضعيف وغير مقبول لوجوه:

١- لو كان كذلك لما صحّ قول النبيّ ﷺ: ما أنا بقارئ، أي لا أذكر اسم ربّي.

٢- هذا الأمر لا يليق بالنبيّ ﷺ أنّه لم ينقطع عن الله (سبحانه وتعالى) طرفة عين حتّى في المنام كان قلبه مع الله (تعالى) فكيف يقول لملك الوحي جبرائيل عليه السلام لا أذكر اسم ربّي؟[1]

(س) ما المراد من قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾؟

(ج) إنّ ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ مُتعلّقٌ بمقدّر مثل مفتتحاً ومبتدأ فيكون (باسم ربِّكَ) في محلّ نصب على الحال، فيكون التقدير: اقرأ القرآن مُفتتحاً باسم ربّك أي قل بسم الله ثمّ اقرأ. وفي هذا دلالة على وجوب قراءة التسمية في ابتداء كلّ سورة كما أنزل الله تعالى وأمر به وهي ردٌّ على من لا يرى وجوب ذلك ولا يبتدئ بها، وقيل: إنّ (بـ) للإستعانة، أي اقرأ مستعيناً باسم ربّك لأجل تحصيل الذي عَسُر عليك (ما أنا بقارئ).

(س) ما هو الدليل على أنّ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ جزءٌ لا يتجزأ من السور القرآنية؟

(ج) ١- القرآن الكريم: تكرّرت الآية ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ مئة وأربعة عشر مرّة، فإذا كان المعنى واحداً فصار تكراراً ولغواً وحاشا القرآن الكريم من اللغو.

٢- الآية موجودة في وسط سورة النمل والكلّ يعترف أنّها جزء من السورة فإذا جاءت في مقدّمة السورة أوَ لا تكون منها؟

٣- عن النبيّ ﷺ قال: «كلّ أمر ذي بال لم يبدء فيه باسم الله فهو أبتر» وأي بال فوق بال الوحي؟

(س) هل أنّ البسملة متكرّرة في هذه السورة؟

---

(١) تفسير الفرقان: الآية.

(ج) ١ - إنّها تكرّرت ولكن بغير صيغة ولا ضرر في ذلك أبداً حيث لا يكون سمجاً، التكرار لتأكيد أهمية الموضوع.

٢ - إنّ البسملة الأولى للسورة خاصة بها، وفي اقرأ عام لكل الأمور[١].

(س) لماذا بدأت السورة المباركة بفعل الأمر: اقرأ؟

(ج) ١ - إنّه متكرّرٌ في القرآن، ولا بأس به، إذ هناك سورة أخرى بدأت بفعل الأمر كقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[٢].

٢ - بما أنّ السورة على المشهور، أوّل ما نزل من القرآن، فتكون اقرأ، بشارة بنزول القرآن الكريم، وتكليف للنبي ﷺ بالاستماع إليه وتبليغه. قال تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾[٣] [٤].

۞ قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

(س) ماذا خلق أو أين مفعول خلق؟

(ج) ١ - أن لا يقدّر له مفعول، فيكون المراد الذي حصل منه الخلق واستأثر به ولا خالق سواه، كقولنا فلان يعطي ويمنع ويصل ويقطع بغضّ النظر عمّا يعطيه ويمنعه، وهذا أمر عرفي لطيف.

٢ - أن يكون مفعوله مضمراً تقديره الذي خلق كل شيء.

٣ - أو يكون المقصود منه الإنسان كما ذكر في الآية التالية لها: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[٥].

---

(١) منة المنان: الآية.

(٢) الأعلى: ١.

(٣) الإسراء: ١٠٦.

(٤) منة المنان: الآية.

(٥) المصدر نفسه.

❁ قال تعالى: ﴿خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَق﴾.

(س) لماذا ذكر خَلَقَ الإنسان فقط وهو خالق السماوات والأرض؟

(ج) إنّه تعالى أفرد الإنسان بالذكر تشريفاً له وتفضيلاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ على كَثِير مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1].

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَق﴾ وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْب مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَاب ثُمَّ مِنْ نُطْفَة ثُمَّ مِنْ عَلَقَة﴾[2]؟

(ج) إنّ للإنسان ثلاث بدايات، تصلح كل منها أن تكون هي البداية ؛ وهي:

١ - التراب: إذ خُلق أبونا آدم عليه السلام منها مباشرة، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَاب﴾[3]، وهناك علاقة وثيقة بين الإنسان والتراب، إذ أنّ النبات الذي يأكله الإنسان يخرج من التراب، وهكذا اللحوم التي يتناولها فإنّها من التراب أيضاً لأنّ الحيوانات تأكل مما يخرج من التراب أيضاً.

٢ - النطفة: قال تعالى: ﴿أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيّ يُمْنَى﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً﴾[5].

٣- اجتماع الماء الدافق: قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاء دَافِق * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾[6].

فهذه ثلاث بدايات للإنسان ؛ الأولى للأرض، والثانية لأبيه، والثالثة إلى أمّه وأبيه

---

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) الحج: ٥.

(٣) آل عمران: ٥٩.

(٤) القيامة: ٣٧.

(٥) المؤمنون: ١٤.

(٦) الطارق: ٥ـ٨.

وكلّ منها يمكن أن نطلق عليها أنّها بداية الإنسان[1].

(س) ما هي العلاقة الموجودة بين ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وبين خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾؟

(ج) ١- الإشارة إلى ذات الخالق جلّ وعلا في ذكر أهمّ النعم المنسوبة إليه وهي أصل الخلقة، فكأنّه هو خطاب للإنسان في التفكير على خلقته التي هي أهم النعم عليه.

٢- إنّ القراءة متوقفة على أصل الوجود، فإنّ خلق الإنسان شرط للقراءة، أي يلزم من عدم الخلقة عدم القراءة.

٣- أن نفهم من القراءة الجانب المعنوي، وهو التفكير في خلق الله، فيكون ذلك مناسباً مع خلق الإنسان.

❁ **قال تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾**

(س) ما هو العلق؟

(ج) قال صاحب الميزان(رحمه الله): العلق هو الدم المنجَمد، وهي الحالة الأولى للجنين.

وقيل هو جنس الحويمنات (منيّ يُمنى) فهذا المني عَلَقٌ جميعه إذ يتعلّق بجدار الرحم، فالإنسان يُخلق من علق واحد وذلك عندما يفوز على أصحابه في إصابة بيضة المرأة، بينما العلقة هي الحالة الثانية للجنين وهي النقطة الدموية العالقة.

فقوله ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ أي من بعض أو أحد الحُوَيمنات، وهذا البعض من ملايين العلقات وهو النطفة من مَنيٍّ يُمنى ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾[2]، فالمني يحمل ملايين الدودات، فكلّ واحد منه قادر على تكوين جنين[3].

(س) هل يمكن ربط الآية ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ بالاكتشافات العلمية الحديثة؟

---

(١) منة المنان: الآية.

(٢) القيامة: ٣٧-٣٨.

(٣) تفسير الفرقان: الآية.

(ج) لاشكّ أنّ هذه الآية فيها إشارة علمية كبيرة توصّل إليها العلم الحديث اليوم، فالقرآن قبل أربعة عشر قرناً قال: بأنّ بعض العلق من الإنسان هو الذي يكوّن الجنين في رحم الأُمّ بعد اتّصاله بالبويضة، والعلم اكتشف ذلك اليوم.

(س) ماذا نستفيد من الآية المباركة ﴿خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ أو ماذا تقول لنا الآية الشريفة؟

(ج) الآية تُبيِّن أصل خلقتنا أو الشيء الذي كبُرنا منه، فإذا عرف الإنسان ذلك وتمعَّن به فإنّه سوف ينتبه إلى نفَسه شيئاً ما فيبتعد عن حالات الكبر والغرور، قال الإمام عليّ عليه السلام: «ما لابن آدم والفخر أوّله نطفة وآخره جيفة وما بينهما يحمل العَذَرة» ويقول القرآن الكريم: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

(س) لماذا قال (سبحانه وتعالى) في الآية المباركة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ولم يقل باسم الله (تعالى)؟

(ج) ١- في الآية إشارة إلى قُصر الربوبيّة في الله (عزّوجلّ) وتوحيد الربّ فعندها تقتصر العبادة به، وهو ردٌّ على المشركين الذين كانوا يَزعمُون أنّ الخلق لله فقط، وأمّا الربوبيّة وهي الملك والتدبير فهي للملائكة والجنّ والإنس و. . . . ، فقول: ﴿رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ دفعٌ لهذه المزاعم الكاذبة، وتكريم للنبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً.

٢- الله (سبحانه وتعالى) عندما يأمرنا بالعبادة لا يذكر صفات ذاته وأنّها لا تستوجب العبادة (مثل هو الله، أحد) وإنّما تستوجب العبادة على الإنسان بعد ذكر صفات الفعل فهو أبلغ في الحثّ على الطاعة.

٣- السورة من أوائل ما نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله وقد حصل له شيءٌ من الفزع عند نزولها فَقَولُهُ (رَبِّك) فيها استمالةٌ منه له ليزول فَزَعَهُ، فقال هو الذي ربّاك منذ أن كنت في بطن أُمّك

---

(١) الطارق: ٥.

فكيف تفزع، إذ عندما كنت علقاً ما ضيّعتُك، فكيف أتركُك وقد أصبحت خلقاً موحِّداً عارفاً لا مثيل لك في المخلوقات؟!.

(س) ما الحكمة من إضافة صفة ذاته الربوبية إلى النبيّ ﷺ فقال: ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾؟

(ج) ربُّنا (سبحانه وتعالى) تارةً يُضيف ذاته إلى النبيّ بالربوبية كما في الآية وتارةً يُضيف النبيّ إلى نفسه بالعبودية في قوله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[1] فكأنّه تعالى يقول لرسوله ﷺ: (أنا لك وأنت لي) فهو نظيرُ قول الرسول للإمام عليّ عليه السلام: «عليٌّ منّي وأنا من عليّ» «أنا وعليّ أبوا هذه الأُمّة»، وكقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[2]. وإنّ إضافة الذات إلى العبد أفضل من العكس[3].

(س) لماذا ذكر القرآن الكريم بعد قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾؟

(ج) كأنّ العبد يقول: ما الدليل على أنّك ربّي؟ فيقول (سبحانه وتعالى) له: إنّك كنت معدوماً بذاتك وصفاتك من قبل ثمّ صرت موجوداً فلابدّ لك من خالق، وهذا الخلقُ والإيجاد يدلّ على أنّي ربُّك وأنت مربوبي[4].

(س) قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾ ربُّنا (سبحانه وتعالى) لم يخلق الإنسان وحده فلماذا خصَّصهُ هنا من بين سائر المخلوقات؟

(ج) لأنّ القرآن المنزل جاء إليه، ولأنّه أشرف المخلوقات على الأرض.

(س) كيف قال (عزّوجلّ): ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ وهي جمع ولم يَقُل: علقة؟

(ج) لأنّ كلمة الإنسان يمكن أن تكون في معنى الجمع بدليل قوله (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ

---

(١) الإسراء: ١.

(٢) النساء: ٨٠.

(٣) التفسير الكبير: الآية.

(٤) المصدر نفسه.

﴿لَفِي خُسْر. إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[١].

(س) كيف قال (عزّوجلّ): ﴿خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَق﴾ بينما في آية أُخرى قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنْ كُنْتُمْ فِي رَيْب مِنَ الْبَعْثِ فَإنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَاب ثُمَّ مِنْ نُطْفَة ثُمَّ مِنْ عَلَقَة﴾[٢]؟

(ج) المراد أنّا خلقنا آباؤكم من تراب وهما آدم وحوّاء، ثمّ خلقنا كلّ واحد من أولاده من نُطفة[٣].

❁ قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ﴾ ولم يقل: . . وربك الكريم مع أنّه المشهور؟

(ج) ١- لحفظ وحدة النسق أو القافية وهو مهم بلاغياً وأدبياً.

٢- أنّه تعالى قال (الأكرم) ولم يقل الكريم وذلك لان نعمه ليست واحدة واثنتان وأكثر بل لا يمكن عدُّها، قال تعالى: ﴿وَإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾[٤]، فهو كريم بالخلق والإيجاد وكريم بالتعليم، فلأنّ النعم كثيرة لهذا صار سبحانه: أكرم[٥].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ﴾ ولم يقل الأعظم أو الأعلم أو غير ذلك؟

(ج) إنّ (الأكرم) هنا هي المناسبة دون غيرها من صفات الله (تبارك وتعالى) وهي تبيّن نعمه وكرمه واحدة بعد الأخرى.

---

(١) العصر: ٢ و ٣.

(٢) الحج: ٥.

(٣) منة المنان: الآية.

(٤) النحل: ١٨.

(٥) منة المنان: الآية.

❁ قال تعالى: ﴿اقْرَأْ ورَبُّكَ الأكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾.

(س) كيف علَّمَ الله (سبحانه وتعالى) الإنسان بالقلم؟

(ج) ١- بما أنّ الإنسان مخلوقٌ من قبل الله (تبارك وتعالى) لذا فهو يحتاجه في كل صغيرة وكبيرة ولا يمكن له الاسغناء عنه أبداً في جميع أموره منها مسألة التعليم، وإن كان الكثير من الناس لا يسألون الله تعالى بلسانهم تكبّراً وطغياناً ولكنّهم يسألون بلسان الحال، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1]، وأنّه تعالى لم يقصّر مع أحد قط، قال (عزّوجلّ): ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[2]، فكما ينسب العلم إلى المعلِّم والأستاذ فإنّه ينسب إلى الله تعالى أيضاً حيث إنّه هو الذي وفّر جميع المستلزمات التي يحتاجها الإنسان لذلك.

٢- إنّه تعالى جعل قابلية التعليم في الإنسان، ولولا وجود القدرة والرغبة في الإنسان نحو التعلم لما تعلم شيئاً أبداً، إذاً فالله تعالى هو المعلِّم الأوّل والأخير للإنسان.

٣- تعليم الإنسان عن طريق الأنبياء والرسل وما أُنزل إليهم من كتب وصحف، قال (تبارك وتعالى): ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[4] [5].

(س) كيف قال تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ وأنّه تعالى لم يعلّم بالقلم، بل البشر هم الذين صنعوه واستخدموه في الكتابة والقراءة؟

---

(١) الرحمن: ٢٩.
(٢) إبراهيم: ٣٤.
(٣) الجمعة: ٢.
(٤) إبراهيم: ٤.
(٥) منة المنان: الآية.

(ج) نعم إنّه لم يعلّم بالقلم كما يعلّم الأستاذ تلميذه، ولكنّه أعطاه القدرة في التفكير والإبداع لصناعة القلم ثم الاستفادة منه في التعليم.

۞ **قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.**

(س) ما هي الأشياء التي لم يعلمها الإنسان وتعلّمها بفعل القراءة والكتابة كما قال تعالى ﴿... **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾؟

(ج) ١- العلوم الدنيوية: يتعلّمها الإنسان طبقاً للأسباب وكان قبلها جاهلاً.

٢- العلوم الإلهية: يعرفها الإنسان جيّداً ولكن قد ينساها بسبب الاهتمام بالأمور المادية، فإذا عاد إليها وتذكرها بنفسه أو من قبل شخص آخر فقد يتعلّمها، فزمن جهله هو النسيان، وتعلّمه هو التذكّر، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢]. [٣]

(س) الكرم هو نفع الآخر دون عوض، فمن أعطى شيئاً ثمّ طلب عوضاً فهو ليس بكريم ولا يكون العوض دائماً الأعيان المادّية، أحياناً يكون مدحاً أو تخلّص من ذمّ، فهل ربّنا بعد أن خلق وعلّم يريد مدح نفسه بقوله: ﴿**رَبُّكَ الأَكْرَمُ**﴾؟

(ج) ربّنا (سبحانه وتعالى) يُريد أن يُبيِّن هذه الصفة العالية فيه وهو الكرم وذلك لكي لا نيأس من رحمته ومغفرته ولكي نطمع بعفوه ورحمته أكثر، فكم من كريم يحلم وقت الجناية ولكن لا يبقى إحسانه للجاني مثل قبل الجناية، إلاّ الله (سبحانه وتعالى) فإنّ إحسانه يزيد بعد الجناية، وهكذا كان النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام[٤].

(س) ربُّنا (سبحانه وتعالى) يصفُ نفسه بأنّه الأكرم من الجميع كيف يتّضح لنا هذا الأمر؟

---

(١) الشمس ٧-١٠.

(٢) الذاريات: ٥٥.

(٣) منة المنان: الآية.

(٤) التفسير الكبير: الآية (مع تصرف).

(ج) أ) أنّه لم يطلب منّا شيئاً مقابل كرمه وجوده العظيمين، لم يطلب مدحاً ولا نفعاً ولا دفع ضرر، وإذا طلب منّا عبادة فهي لنا قال (عزّ وجلّ): ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[1].

ب) إنّ مكرُماته وإحسانه ونعَمه الكثيرة لا يشوبها أي تقصير.

(س) هل في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ دعوة بالتوجّه إليه؟

(ج) لاشكّ أنّ في القول دعوةً للناس بالتوجّه إلى الله فقط، فليس هناك كريمٌ إلاّ هو، لذا فلابدّ من عدم الطمع إلى أحد غيره.

ويُحتمل أن يكون حثّاً على القراءة لله (سبحانه وتعالى)، إذ أنّه الأكرم فلتكن قراءتُك للقرآن خالصةٌ لله (سبحانه وتعالى) وسوف يرزقُك من حيث لا تحتسب، وهو أكرم من أن يأمر الناس بالقراءة ثمّ لا يُكرمَهُم.

(س) ما هي العلاقة الموجودة بين قوله: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾؟

(ج) حسب الظاهر أنّه لا مناسبة بين الآيتين، ولكن بعد التمعُّن في الآيات، نحصل على أنّها تُنَبّهْ الإنسان إلى حالَته الأُولى وهي عندما كان علقاً ثمّ علقة وبعدها أصبح عالماً بحقائق الأشياء وأصبحَ أشرف المخلوقات، فكأنّه يقول (عزّوجلّ) أيّها الإنسان لقد انتقلت من أخسّ المراتب إلى أعلى المراتب فلابُدّ لك من مُدبِّر عظيم ينقلك من تلك الحالة إلى هذه الحالة الشريفة، وفيه احتجاج على توحيد الربوبية.

وكأنّه (سبحانه وتعالى) يقول وَيُنبّه على أنّ العلمَ أشرف الصّفات الإنسانية، وأنّ الإيجاد والخلق والرزق هو كرمٌ إلهي ولكنَّ الأكرم هو إعطاء العلم للإنسان، لأنّ بالعلم يصل الإنسان إلى الكمال والصلاح والرفعة وبدونه يكون العكس.

---

(١) الإسراء: ٧.

❁ قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾.

(س) ما علاقة الآية المباركة بما سبقتها من الآيات؟

(ج) بيَّن الله تعالى في الآيات السابقة مجموعةً من النِّعم الكبيرة على الإنسان، ولكنّه قابلها بالكفر بدل الشكر، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ وكلا: تفيد الردع والزجر.

(س) في الآية إشارةٌ إلى مصير أكثر الناس، هل في الآيات السابقة تذكيرٌ وتنديدٌ بهذه الحالة التي يصير إليها الأغلب.

(ج) تُذكِّر الآيات السابقة الإنسان بحقيقته الأولى، إذ كان نطفةً وعلقةً ومن ثمّ أنعم عليه بالكثير، إذاً فلماذا هذا الطغيان والتكبّر وفي الأمس كنت مخلوقاً لا ترى إلا تحت المجهر والميكروسكوب، قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾[(١)].

(س) ما هي صور الطغيان للانسان في هذه الحياة؟

(ج) ١- التكبّر والتمرّد على عبادة الله (سبحانه وتعالى).

٢- الهمز واللمز على الفقراء، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾.

٣- حرمان الفقراء من حقّهم الطبيعي، قال (عزّوجلّ): ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[(٢)].

٤- الإفساد في الأرض، قال (عزّوجلّ): ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾[(٣)].

---

(١)

(٢) الذاريات: ١٩.

(٣) الأعراف: ٥٦.

(س) بعض الروايات تقول: إنّ المراد من ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾ هو أبو جهل لقوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ إلى آخر السورة حيث نزلت فيه، فإن قيل: إنّ فرعون ادّعى الربوبية وقال الله (سبحانه وتعالى) في حقّه ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[1]، وهنا ذَكَرَ في أبي جهل والذين على شاكلته ﴿لَيَطْغَى﴾ فأكّده بلام التأكيد والاستمرارية، فلماذا هذه الزيادة؟

(ج) ١- إنّ الله (سبحانه وتعالى) قال لموسى عليه السلام: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ كان طغيانُهُ قبل أن يلقاه موسى ويَعرضَ الأدلّةَ عليه وقبل أن يدّعي الربوبيّة، وأمّا هنا فإنّه تعالى ذكر هذه الآية تسليةً لرسوله حين ردَّ عليه أبو جهل أقبح الردّ.

٢- إنّ فرعون مع كمال سلطته ما زاد كفره على القول وما كان ليتعرّض إلى قتل موسى وإيذائه، ولكن أبو جهل مع قلّة جاهه كان على العكس مع النبيّ صلى الله عليه وآله.

٣- إنّ فرعون أحسن إلى موسى في أوّل حياته وفي آخر لحظة من حياته قال: آمنتُ، ولكنّ أبو جهل كان يحسد النبيّ صلى الله عليه وآله مُنذُ صباه وفي آخر رمقه قال: بلّغوا عنّي محمّداً أنّي أموت ولا أحد أبغض إليَّ منه.

(س) هل يمكن حصول حالة الاستغناء لدى الإنسان بصورة عامّة؟

(ج) لا يمكن حصول حالة الاستغناء للإنسان ولو امتلك أموال الدنيا إذ يبقى محتاجاً إلى من يوفّر له الهواء والماء وإلى من يُطلع له الشمس وكذلك يحتاج إلى أقاربه، قال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «لا يستغني الرجل عن عشيرته وإن كان ذا مال، فإنّهم جناحه التي بها يطير ويده التي بها يصول»[2]. ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ أي إن اعتقد أنّه استغنى.

(س) على ماذا يطغى الإنسان عند إحساسه بالاستغناء؟

(ج) ١- على أصول الدين وذلك بإنكارها.

---

(١) طه: ٢٤.

(٢) نهج البلاغة.

فبالنسبة للتوحيد: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمنُ أَ نَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾[١].

وأما العدل: ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً﴾[٢].

وأمّا النبوّة: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُول إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٣].

أمّا الإمامة: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَاب أَلِيم﴾[٤].

وأمّا المعاد: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾[٥].

٢- التمرّد على فروع الدين بترك الصلاة، وعدم إيتاء الزكاة وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهُنَّ عن المنكر أو ليُسلِّطَنّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم».

٣- الشعور بالاستقلالية والعظمة والأفضلية على الغير، كما شعر ذلك إبليس حيث قال: أنا أفضل من آدم، ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَار وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِين﴾[٦]. وإذا قيل لمثل هذا الإنسان المقتدي بإبليس في الإحساس والشعور ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ...﴾[٧]، ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلى عِلْم عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً﴾[٨].

---

(١) الفرقان: ٦٠.
(٢) الكهف: ٣٦.
(٣) يس: ٣٠.
(٤) الأنفال: ٣٢.
(٥) النمل: ٦٧.
(٦) الأعراف: ١٢.
(٧) القصص: ٧٧.
(٨) القصص: ٧٨.

٤) ظلم الآخرين، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[1].

(س) ما هو المراد من قوله (كلاّ) في الآية المباركة؟

(ج) كما يُستفاد من الآيات السابقة إنّ (كلاّ) ردعٌ وزجرٌ للإنسان إذ إنّه يطغى أن ظنّ نفسه استغنى، بدَلَ أن يشكُر الله (سبحانه وتعالى) على خلقه له من عَلَقة ومن ثمّ تعليمه بالقلم.

(س) الأمر الذي يدعو الإنسان إلى الطغيان هو الاستغناء والاكتفاء الذاتي والنفسي وعدم احتياجه إلى الآخرين، فهل يصِل الإنسان إلى هذه المرحلة لكي يطغى ويتكبّر على الله (سبحانه وتعالى).

(ج) لاشكّ أنّ الإنسان لا يصل إلى مرحلة الكمال والاستغناء حتّى لو ملك الكثير يبقى ضعيفاً حتى إن الذبابة تستطيع القضاء عليه، ولكن سبب طغيانه هو أنّه يتصوّر الاستغناء ولكن لم يستغنِ أبداً. فـ «رآه..» من الرأي والاعتقاد وليس من الرؤية البَصَريّة.

(س) هل الاستغناء المالي أو العددي هو الذي يدعو الإنسان إلى الطغيان؟

(ج) ليس المال والجاه والعدد هو الذي يدعو الإنسان إلى الطغيان فقط، بل كلّ ظنٍّ بالقوّة والقدرة، حتّى دون تحقّقه، تدعو الإنسان إلى الطغيان ونسيان نفسه، لذا على الإنسان الابتعاد عن كلّ مظنّة بالقوّة والقدرة، وعليه أن يشعر دائماً بالحاجة والفقر إلى الله (سبحانه وتعالى) لكي يتخلّص من حالة الطغيان وحبّ النفس.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾.

(س) ما هو الأمر الذي يُبعدُ الطُغيانَ عن الإنسان؟

(ج) إذا فكّر دائماً بأنّه سوف يرجع إلى الله (سبحانه وتعالى) وأنّ كلّ شيء سيصير إليه،

---

(١) الماعون ١ ـ ٣.

ولهذا فإنّ الآية المباركة تذكر ذلك للإنسان ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾.

۞ قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْداً إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾.

(س) لماذا استعمل همزة الاستفهام (أ) ولم يستعمل (هل)؟

(ج) لا يمكن استخدام (هل) في هذه الآية لأنّها تشير إلى الاستفهام الحقيقي الذي لابدّ له من جواب، والمتكلم هنا لا يحتاج إلى جواب، بينما همزة الاستفهام تدل على الاستفهام المجازي وأنّها هنا أولى وأبلغ[1].

۞ قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْداً إِذَا صَلَّى﴾.

(س) لماذا ذكرت الصلاة في الآية المباركة بأنّها أحد نواهي الإنسان الطاغي، ولم تذكر الزكاة أو الصيام مثلاً.

(ج) إنّها ذُكرت في الآية المباركة لأنّها:

١- مصداق عبادي خارجي مفهوم.

٢- أهم فروع الدين: «إن قُبلت قُبل ما سواها، وإن رُدّت رُدّ ما سواها»[2].

٣- الحفاظ على النسق القرآني إذ لو ذكرت الزكاة أو الصيام لتغيّر النسق والوزن وهو غير مناسب. وأنّ الصلاة الحقيقية والمطلوبة هي أحد الأمور التي ينهى عنها الطاغي بالإضافة إلى نهيه عن الطاعات الأخرى[3].

(س) متى شُرعت الصلاة في الإسلام؟

(ج) قال العلاّمة الطباطبائي (رحمه الله): وسياق الآيات ـ على تقدير كون السورة أوّل ما نزل من القرآن، ونزولها دفعة واحدة، يدل على صلاة النبي ﷺ قبل نزول القرآن،

---

(١) منة المنان: الآية.

(٢) مَن لا يحضره الفقيه ج١ ح٦٤٠.

(٣) منة المنان: الآية.

وفيه دلالة على نبوته قبل رسالته بالقرآن، قال ﷺ: «كنتُ نبياً وآدم بين الماء والطين»، وقال البعض الآخر: إنّ الصلاة لم تكن مفروضة في أوّل البعثة، وإنّما شرعت ليلة المعراج على ما في الأخبار. وهو قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾[1][2]، وقال السيد الشهيد محمد الصدر (رضوان الله عليه) إنّ المسلّم من دلالتها أنّ الصلاة الخمس إنّما فرضت بهيئتها الخاصة ركعتين ليلة المعراج، ولكن لا دلالة فيها على عدم تشريعها قبل، وقد ورد ذكر الصلاة في السور النازلة قبل سورة الإسراء، كالمدّثر والمزّمل بتعبيرات مختلفة وإن لم يظهر فيها كيفيتها، إلاّ أنّها كانت مشتملة على تلاوة شيء من القرآن والسجود[3].

❁ قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾.

(س) قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ إلى مَن يعود؟

(ج) قال العلاّمة الطباطبائي (رحمه الله): يعود إلى ذلك الإنسان الطالح، فيكون المعنى: أرأيت هذا الذي ينهى عن الصلاة، إن كان مهتدياً ومتّقياً، فكيف ينبغي أن يتصرّف، هل ينهي المصلّين عن صلاتهم[4].

❁ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾.

(س) أين مفعول يرى أو ماذا يرى تعالى؟

(ج) إنّ مفعول يرى موجود وتقديره: يراه أو يرى عمله. قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ

---

(١) الإسراء: ٧٨.
(٢) تفسير الميزان: الآية.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الميزان ج٢ ص٣٢٦.

وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(١).

❁ قال تعالى: ﴿كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ﴾.

(س) ما المراد بالسفع والناصية وما المراد منهما في الآية المباركة؟

(ج) السفع هو الأخذ بسفعة الفرس أي بسواد ناصيته، وامرأة سفعاء اللون أي سمراء أو شديدة السمرة، قال تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾(٢)، أي متمكّن منها، وهنا عدّة آراء في معنى الآية بصورة كاملة:

١- التهديد بالبلاء الدنيوي من فقر أو مرض أو غير ذلك من الشدائد؛ فيضعف الجسد ويسودّ لونه، وهذا يلازم لسواد الوجه عادةً.

٢- أن يسودّ وجهه من الضرب الشديد، إما في الدنيا أو القبر فهو سفع.

٣- أن يدخل النار، فيسودّ وجهه من الاحتراق أو من الدخان.

٤- أن يسودّ وجهه في الدنيا، فالمؤمن في وجهه نور الإيمان، والفاسق في وجهه ظلام وسواد، قال تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً﴾(٣)(٤).

❁ قال تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾.

(س) إنّ الآية جاءت لبيان سبب العقوبة أو تعليل للسفع، فكاذبة وخاطئة صفتان للناصية، وإنّ السبب قد مرّ في الآيات السابقة، فلماذا كرر ذكره بقوله: كاذبة خاطئة؟

(ج) ١- التأكيد لما سبق.

٢- بيان لأفعاله الماضية بأنّها كذب وخطأ.

٣- بيان أنّ أفعاله إنّما نشأت من نفسه الأمّارة بالسوء، فناصيته كاذبة خاطئة: أي كله

---

(١) يونس ٦١.

(٢) هود: ٥٦.

(٣) يونس ٢٧.

(٤) منة المنان: الآية.

كذبٌ وخطأٌ وأنّ نفسه الخاطئة هي التي حثته على نهي المصلّي عن الصلاة[(١)] .

❁ قال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾.

(س) مَن هم الزبانية؟
(ج) قال تعالى : ﴿... عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[(٢)] .

(س) ما الفرق بين الدعوتان ؛ دعوة الكفار لقومهم ، ودعوة الله تعالى للملائكة؟
(ج) ١- إنّ دعوة الكفار بالباطل والثانية دعوة بالحق .
٢- إنّ الأولى غير محرزة الطاعة ، حين يدعو ناديه ، إذ لعلّهم لا يستجيبون إليه . ولو استجابوا لضعفوا ولما تمكّنوا من دفع ضرٍّ عنه . ولكن الدعوة الثانية يقينية الطاعة ، إذ الملائكة جندٌ من جنود الله تعالى ﴿وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[(٣)] ، وهم ﴿لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[(٤)][(٥)] .

❁ قال تعالى: ﴿كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾.

(س) لماذا أمر الله تعالى بالسجود ولم يأمر بالصلاة في هذه الآية ، إذ لم يقل وصلِّ واقترب؟
(ج) ١- إنّ السجود هو الجزء الأهم من الصلاة ، وورد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام أنّه أقرب ما يكون العبد إلى ربه هو حال السجود .
٢- إنّ المقصود الأساسي من قول الآية المباركة هو الصلاة ، لأنّ السجود وقصد القربة هما المهمان والرئيسان فيها .
٣- وقال صاحب الميزان(رحمه الله) : ولعل الصلاة التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأتي بها يومئذ

---

(١) منة المنان : الآية .
(٢) التحريم : ٦ .
(٣) الفتح : ٧ .
(٤) التحريم : ٦ .
(٥) منة المنان : الآية .

كانت تسبيحه تعالى والسجود له.

هذه بعض مصاديق ذلك الإنسان الطاغي وهو كالتوطئة لوعيده بنوع العقاب، ومن ثُمّ النهي عن طاعته وأخيراً الأمر بعبادة الله (جلّ وعلا).

(س) لماذا تقدّم قوله (سبحانه وتعالى): ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْداً إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ إلى قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾ على بقيّة الآيات من السورة المباركة؟

(ج) إنّها كالتوطئة لوعيده بالعقاب. أرأيت: الأولى والثانية خطابان للنبيّ ﷺ تسديداً له، والثالثة للّذي كذّب وتولّى تنديداً به أي أرأيت إن كان النبيّ ﷺ على الهدى (أو أمر بالتقوى). وهذان الأمران كانا يَشقّان على أبي جهل، لذا الآية تنديدٌ له.

(س) ما هي الأدلّة التي تدلّ على حماقة وسفاهة وبطلان عمل أبي جهل على الرسول ﷺ؟

(ج) إنّ الدلائل والأمور التي ذكرها الله (سبحانه وتعالى) في أوّل السورة والتي تدلّ على عظمته (جلا وعلا) إذ خلق الإنسان من علق ومن ثمّ أنعم عليه نعماً كثيرة بفَضل التّعلُّم، إذاً فمن الطبيعي أن يتوجّه الإنسان إلى ربّه ليشكره ويعبده، ومن البَديهي والواضح أنّ منع الإنسان من خدمة مولاه والتواضع له باطل وغير صحيح، فيظهر من هذا بطلان عمل أبي جهل إذ أنّه أوّلاً كذّب وكفر بنعمة الله (عزّوجلّ) ومن ثمّ اعتدى على الآخرين في أمورهم الطبيعيّة[1].

(س) الآية عامّة فكلّ من نهى عن طاعة الله وعن الصلاة هو شريك لأبي جهل، ولكن هل يصحّ لنا منع المصلّي عن الصلاة في الدار المغصوبة والأوقات المكروهة والوضوء بالماء المغصوب؟

(ج) المنهي عنه هنا ليست الصلاة بل هي المعصية والمغصوب، ويمكن للأب أن يمنع ولده من

---

(١) منة المنان: الآية.

صلاة الليل إذا تفوته صلاة الصبح وهي الواجبة، فلا يندرج عندها تحت هذه الآية[١].

(س) الآيات الخمس من أوّل هذه السورة والروايات والمفسِّرون جميعهم يشهدون بأنّها أوّل ما نَزَلَ من القرآن على النبيّ ﷺ فلماذا لم تأتي في بداية القرآن وإنّما جاءت سورة الحمد وتصدّرت القرآن كُلّه؟

(ج) الآياتُ الخمسُ الأولى من هذه السورة تحمل معنى البسملة بوجوب قراءتها قبل القرآن، وقد جاءت في بداية القرآن فلا تنافيها الروايات القائلة إنّ الحمد هي الأولى، فالآيات الأولى من سورة العلق تأمر النبيّ ﷺ والمكلّفون بقراءة البسملة قبل الحمد، وقبل السور كُلّها، وجاءت الصدارة لسورة الحمد دون غيرها من السور وذلك لأنّها أُمّ الكتاب وتحمل مُجمَلَ القرآن.

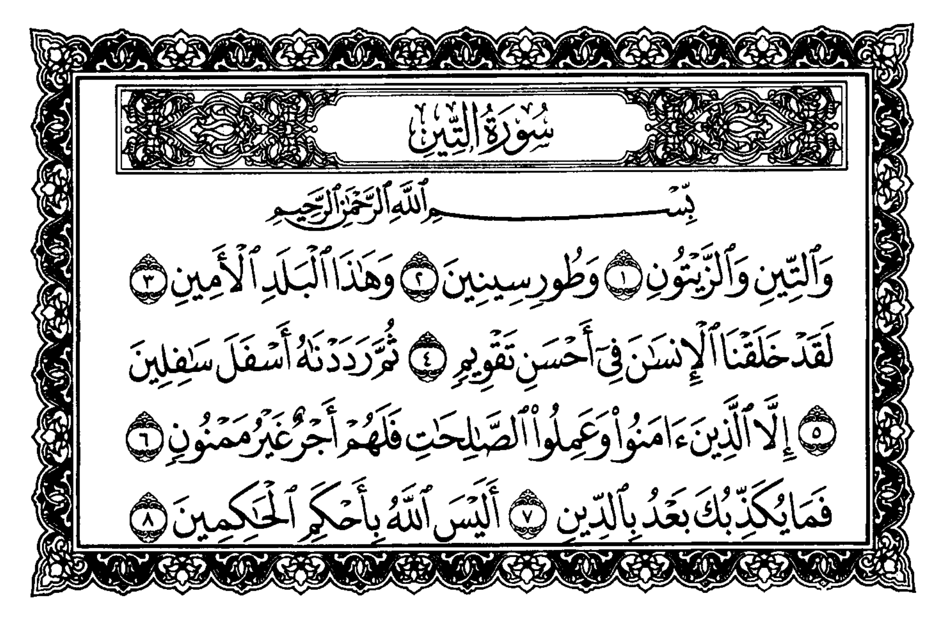
(س) كيف نفهم من الآيات الأولى لهذه السورة أنّها تعني (بسم الله الرحمن الرحيم)؟

(ج) (اقْرَأْ) توحي أنّه ﷺ لم يكن قارئاً من قبل فتأمره الآية أن يقرأ: القرآن مبتدءاً بالبسملة، فـ(اسم ربّك) تشير إلى (بسم الله) والذي خلق تشير إلى (الرحمان) و﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ هو الرحيم[٢].

(١) منة المنان: الآية.

(٢) تفسير الفرقان: الآية.

سُورَةُ التِّين



فضلها:

ابن بابويه باسناده، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرء «والتين...» في فرائضه ونوافله اعطي من الجنّة حيث يرضى إنشاء الله تعالى.

مفردات السورة:

الطور: الجبل الذي كُلِّم فيه موسى عليه السلام.

سينين: قيل الحسن وقيل المبارك، وقال مقاتل: كلّ جبل فيه شجرٌ مثمر فهو سنين.

موضوع السورة:

أقسَمَ الله (سبحانه وتعالى) بالتين والزّيتون وبطور سينين الذي كلّم فيه موسى عليه السلام

وبالبلد الأمين لتبيين أنّ الإنسان خُلق في أحسن تقويم ؛ قد أودع فيه القابلية والاستعداد على السمو إلى الدرجات الراقية ولكنّ الغالبيّة اختاروا زينة الدنيا والشهوة العاجلة على حبّ الله والعمل للآخرة. فلهذا يُردُّون إلى الدركات السافلة بسبب عملهم واختيارهم، والسورةُ تُذَكِّرُ بالبعث والجزاء.



الأسئلة والأجوبة

۞ قال تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ﴾.

(س) لماذا أقسم الله (سبحانه وتعالى) بالتين والزيتون وما علاقتهما بطور سنين والبلد الأمين؟

(ج) أقسم الله بهما لما فيهما من الفوائد الجمّة والخواصّ النافعة، وأمّا علاقتهما بالسورة هو وجود تناسق دقيق وجميل بين القَسَم وبين الحقيقة التي تُريد السورة عرضها، وهو: لكي يثبت الله (عزّوجلّ) بأنّ الإنسان يملكُ الكمال وحسن التقويم بجزأيه الجسم والروح، لهذا يقسم بالتين والزيتون كأفضل الفواكه وذلك لعرض الكمال الجسماني للإنسان، ومن ثمّ يُقسم بطور سيناء ومكّة كأفضل البلاد الموحى فيها إلى أعظم رجالات الوحي، وذلك لعرض الكمال والاستعداد الروحي له[1].

(س) ما هي الفوائد الموجودة في التين والزيتون بحيث يُقسم الله بهما؟

(ج) أ) ١- روي أنّه أُهدي لرسول الله ﷺ طبق من تين فأكل منه، ثمّ قال لأصحابه: «كُلوا فلو قُلت إنّ فاكهةً نزلت من الجنّة لقلتُ هذه لأنّ فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنّها تقطع البواسير وتنفع من النقرس».

٢- ومن فوائد التين أنّ شجرتها عطوفة أليفة تفي قبل الوعد، وأنّها تهتمّ بغيرها في ثمرها قبل أن تهتمّ بنفسها في ورقها، حيث تُثمر ثمّ تُورق وليست كالأشجار التي تورق ولا

(١) تفسير الفرقان: الآية.

تثمر، وأمّا ثمرها فالتين لطيف سريع الهضم، يليّن الطبع، ويقلّل البلغم، مفيدٌ للمعدة، يطهِّر الكليتين، يزيل رمل المثانة، ويسمن البدن، وأنّها تقطع البواسير وتنفع من النقرس، وعن الإمام الرضا عليه السلام: «التين يزيل نكهة الفم ويطوّل الشعر وهو أمانٌ من الفالج»، إذاً فالتين غذاءٌ ودواءٌ إذ يُتداوى به في إخراج فضول البدن.

ب) أمّا الزيتون ١ - إنّها فاكهة، ٢- غذاء، ٣- دواء، ٤- يستفاد من زيته للإنارة، وأنّ القرآن ذكر شجرتها عدّة مرّات ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاء تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ﴾[1] .[2]

قال تعالى: ﴿وَهذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾.

(س) لماذا قال: ﴿وَهذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ ولم يقل: والبلد الأمين أو ومكّة المكرّمة؟

(ج) الإشارة بهذا تُفيد تثبيت التشريف عليه بالتشخيص ومن ثمّ وصفه بالأمين.

(س) كيف حصلت مكّة المكرّمة على امتياز الأمن بالصورة المطلقة؟

(ج) الأمن جاء لها بفعل دُعاء نبيّ الله إبراهيم عليه السلام عندما قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هذَا الْبَلَدَ آمِناً﴾[3] وبما أنّها منزل الوحي الأخير لكلّ الناس، فلذا لابدّ أن تكون مركز بعث الأمن إلى العالم، وأنّها في نفسها نقطة أمن كاملة من جميع النواحي، فهي مركز الأرض بيولوجيّاً، هذا ما اكتشفه العلم الحديث أيضاً، لذا فالقلوب التي تهوي إلى المركز لابدّ أن تكسبَ الأمن والاستقرار، قال (عزّ وجلّ): ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾[4]، وكان بداية الأمن في سنة ولادة النبيّ صلى الله عليه وآله والذي سمّيت بعام الفيل الذي أهلك الله (سبحانه وتعالى) أعداء قريش وهم جيش إبرهة الحبشي وذلك

(١) المؤمنون: ٢٠.

(٢) تفسير الفرقان: الآية.

(٣) إبراهيم: ٣٥.

(٤) آل عمران: ٩٧.

لكي تأتلف قريش ويحلّ فيها الأمن والبركة، كلّ ذلك تمهيداً لبزوغ نور الرسالة الإسلامية[١].

(س) هناك من يستشكل ويقول: بأنّ التين والزيتون ليستا من الأُمور الشرعية والمقدّسة، فكيف يصحّ قسمُ الله بهما؟

(ج) قيل: ليس المراد منهما هاتين الثمرتين فقط، فالمراد بالتين الجبل الذي عليه دمشق، وبالزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس، وأُطلق هذان الاسمان عليهما لكونهما منبتي هاتين الفاكهتين وإنّ بيت المقدس والشام مبعث أكثر أنبياء بني إسرائيل، فكأنَّ الله (سبحانه وتعالى) يُقسم بمنابت الأنبياء، كما أقسم بطور سنين الذي هو مبعث موسى عليه السلام والبلد الأمين وهو مبعث نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله، فيكون المراد من القَسَم هو تنبيهنا إلى عظمة هؤلاء الأنبياء عليهم السلام[٢].

(س) لماذا تتمتّع مكّة بالحرمة الكاملة لمن يلجأ إليها إذ لا يمكن إيصال الأذى البدني إليه وهكذا إلى الحيوانات الأُخرى؟

(ج) امتازت مكّة وما حولها بالأمن الكامل من دون سائر بقاع العالم، لأنّها مركز بعث الأمن والسلام والإيمان إلى العالم، فلذا لابدّ أن تمتلك حالة الأمن الكبرى لكلّ من دخل فيها. ولكلّ من توجّه إليها قلباً وجسداً، لهذا يجد الإنسان الراحة الجسدية بصورة أكبر عند استقباله للكعبة الشريفة.

۞ **قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم﴾.**

(س) هل يمكن القول: بأنّ معنى ﴿خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم﴾ هو امتلاكه لامتيازات في الخلقة لم يملكها ذوات الأرواح الأخرى؟

(ج) نعم، أُعطي الإنسان امتيازات في الخلقة الجسدية لم تُعطى سائر المخلوقات الأخرى منها أنّه (تعالى) خلق جميع ذي الأرواح مكبّةً على وجهها إلاّ الإنسان، إذ جعله مديد

---

(١) تفسير الفرقان: الآية.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

القامة، يتناول مأكوله بيده، وأنّه كامل العقل والفهم والبيان وقادرٌ على الاستفادة من القلم، إذاً من الصورة الظاهرية أيضاً يمتلك حسن التقويم ما لم يمتلكه غيره. قال (سبحانه وتعالى) ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1].

(س) هل يمكن القول: بأنّ المراد من خلق الإنسان في أحسن تقويم هو أوان شبابه وكمال صورته وهيئته والمقصود من ردّه إلى أسفل سافلين هو الهرم والضعف كقوله: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾[2]؟

(ج) لا يمكن الأخذ بهذا الرأي لأنّه لا يُلائمه قوله: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أنّه استثناء متّصل لما قبله.

(س) ما هو المراد من خلقة الإنسان ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؟

(ج) المراد من ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ بالنظر إلى الآية التي بعدها ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ هو امتلاكه قدرة العروج إلى المقامات السامية والفوز بالحياة الخالدة والسعيدة، وليس المراد من حسن تقويم هو امتلاكه الصورة الحسنة والجميلة فقط، أنّها ليست بشيء إذا كان صاحبها خالياً من الإيمان والعمل الصالح[3].

(س) كيف حصل الإنسان على هذه الصفة؟

(ج) حصل على هذه الصفة لما أودع فيه من القدرات والقابليات الهائلة من نفس عارفة ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[4]، وعقل مُمَيِّز وفطرة سليمة تدعو إلى الخير، فالإنسان إذا استخدم هذه القدرات وآمن بربّه وعمل صالحاً سوف

---

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) يس: ٦٨.

(٣) تفسير الفرقان: الآية.

(٤) الشمس: ٧ ـ ٨.

تَسمُو شخصيته حتّى تعلُو مرتبة الملائكة، قال (عزّوجلّ): ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[1].

(س) هل فاق الإنسان جميع الخلق بسبب خلقته الحُسنى هذه؟
(ج) كلاّ، الآية المباركة تقول: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[2]، لم تقل على كلّ ما خلقنا، فهناك خلقٌ ممّن يمتلك القوام الحسن كالإنسان، وهو إنسان السماء، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾[3] [4].

۞ قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾.

(س) كيف يُردّ الإنسان أسفل سافلين بعد أن خُلق في أحسن تقويم؟
(ج) يُردُّ الكافر أسفل سافلين بمجرّد ابتعاده وإعراضه عن ربّه فيجازى على أعماله بالمثل، قال (عزّوجلّ): ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[5]، فَيُنسى كما نسي ربّه من قبل، قال (عزّوجلّ): ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[6]، ثمّ يُنسيه نفسه ﴿نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾[7] فيعيش في تخبّطات وظلمات دون أن يَشعُر، أمّا في الآخرة فالعذاب أشدّ وأبقى.

(س) هل جانب الخير أقوى عند الإنسان أم جانب الشرّ أم أنّهما متساويان؟
(ج) الآية المباركة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ تشير إلى أنّ جانب الخير أقوى بكثير من جانب الشرّ، هذا من ناحية الخلقة، وهناك تأييدات إلهية كثيرة تقف

(١) فاطر: ١٠.
(٢) الإسراء: ٧٠.
(٣) الشورى: ٢٩.
(٤) تفسير الفرقان: الآية.
(٥) الشورى: ٤٠.
(٦) التوبة: ٦٧.
(٧) الحشر: ١٩.

إلى جانب الإنسان تدعوه وتنصره على الباطل منها الرُّسل والرسالات والآيات الكونية والأنفسية.

(س) إذا قلنا: بأنّ المراد من ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أن يرتكس الانسان ويُحطّ من شأنه وتنزل قيمته إلى ما لا ينزل إليه أي مخلوق آخر، فكيف يكون هكذا وهو يمتلك من القدرات والطاقات ما لا تملكه المخلوقات الأُخرى؟

(ج) إنّ الكافر الذي أُعطي القدرات واستعدادات الكمال، لكنّه لم يستفد منها ولم يوجّهها الوجهة الصحيحة، أصبح أخسّ وأقبح حالاً ممّن لا يمتلك تلك الاستعدادات وهي المخلوقات الأخرى من الحيوانات والجمادات، لذا يستحقّ أسفل الدركات، قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[1].

❁ قال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

(س) قال (عزّوجلّ): ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي غير مقطوع، فكم نرى من المؤمنين السائرين في طريق الهدى والإيمان يعيشون في ضيق مادّي وابتلاءات حياتيّة مستمرّة، فأين ذلك الأجر الذي لا ينقطع ولا ينقص؟

(ج) المؤمن الصالح قد يراه الآخرون إنّه في ضائقة مادّية، حَسَب الظاهر، ولكن قلبه مملوءٌ بالرِّضا والرحمة والقناعة هذا ما توعّده الله (سبحانه وتعالى) في كتابه الكريم قال (عزّوجلّ): ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[2]، عن الإمام عليّ عليه السلام في معنى الحياة الطيِّبة قال عليه السلام: هي القناعة.

(س) الآية المباركة: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ تُشير إلى الكفّار الذين لم يستخدموا الطاقات الإلهية المودعة فيهم، التي دعتهم إلى الكمال الروحي والمعنوي، فتقول عنهم بأنّهم أتعس الخلق منزلةً ورتبةً، فكم نرى من الكفّار والفسقة في حياتنا يعيشون

---

(١) النساء: ١٤٥.

(٢) النحل: ٩٧.

في كمال مادّي وتطوّر علمي وتكنولوجي مستمرّ، فأين الردّ إلى أسفل سافلين؟

(ج) قد نرى الحالة الظاهرية للكثير من الكفّار والفسّاق تُبشّر بخير من الناحية المادّية، ولكن لابدّ أن لا ننسى بأنّ الإنسان من مادّة وروح، فهم يلبُّونَ احتياجات بدنهم ولكنّهم لا يمتلكون ما يلبّي حاجة الجزء الثاني من كيانهم، لهذا يعيشون في جحيم داخلي ومعيشة ضيّقة وخانقة ولكنّها غير ظاهرة، بينما يتصوّر الجاهل أنّهم أغنياء وسعداء، قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾[1].

۞ **قال تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾.**

(س) لماذا نرى الكثير يُكذّب بالدين بصورة عملية بينما هو مصدّق به بالصورة النظرية؟

(ج) توجد بعض الأسباب تدعو الإنسان إلى الابتعاد عن الحقّ والوقوع في المعاصي بالرغم من العلم بأفضلية الدين والإيمان منها:

١- حبّ العاجلة.

٢- الانخداع بمتاع الدُّنيا.

٣- وساوس الشيطان التي تدعو إلى الكفر.

٤- عدم تهذيب النفس بالإيمان والعمل الصالح.

٥- عدم الرغبة في تحمّل الحقّ، بينما الباطل سهل تهفو إليه النفس الجاهلة؛ قال الإمام عليّ عليه السلام: «الحقّ ثقيلٌ مريءٌ والباطلٌ خفيفٌ وَبيءٌ».

(س) ما المراد من قوله: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾؟

(ج) أي ما الذي يجعل الإنسان مُكذّباً بالجزاء ويوم القيامة بعد أن عرف أنّ الكفر يُرديه إلى أسفل سافلين، والإيمان يجلب له الأجر العظيم في الدُّنيا والآخرة، ولكن بالرغم من وجود كثرة البراهين التي تدلّ على عظمة الدين مع ذلك يختارالإنسان الكفر والعصيان، الآية كقوله (عزّ وجلّ): ﴿يَا أَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[2].

---

(١) طه: ١٢٤.

(٢) الانفطار: ٦.

❁ قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾.

(س) لماذا الاستفهام التقريري والكلّ يعلم بأنّ الله أحكم الحاكمين؟

(ج) قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ تتميمٌ للحجّة المشار إليها في الآية السابقة، المعنى إذا كان الله (تعالى) أحكم الحاكمين وأنّ الناس قد أصبحوا طائفتين مختلفتين اعتقاداً وعملاً، فمن الواجب في الحكمة أن يُميِّزَ بينهم في الجزاء في الحياة الآخرة، فكما أنّه جازى المؤمنين خيراً في الدُّنيا، والكفّار سوءاً، والاستفهام التقريري هو لأخذ الإقرار من الإنسان في أحكمية الله (عزّوجلّ) وأنّه يَقرُّ ذلك كاملاً حسب فطرته، فالآية كقوله (سبحانه وتعالى): ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1].

(س) هل الأجر الغير ممنون الذي تذكره السورة المباركة للمؤمنين جاء نتيجة صلاتهم وصومهم أم من جانب آخر؟

(ج) الأجر الكبير والمستمرّ الذي يراه المؤمن لم يكن من صلاته وعباداته الأُخرى بل أنّه فضلٌ محض من الله (عزّوجلّ) فسواء كان هذا الأجر في الدُّنيا أم في الآخرة أو في العوالم الأُخرى التي يواجهها خلال مسيرة حياته.

(س) لماذا أُعدَّ للمؤمنين أجرٌ غير مقطوع في حين عملهم كان محدوداً ومقطوعاً؟

(ج) ربّنا (سبحانه وتعالى) لا يتعامل مع خلقه بالعدل، فلو تعامل كذلك لما بقي على الأرض أحد، قال (عزّوجلّ): ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾[2]، ولكنّه يتعامل معهم بمنتهى فضله ولطفه، فيجازي الحسنة بالعشرة والأكثر، والسيّئة بواحدة وتُغفر إذا طلب صاحبها ذلك، لهذا السبب يعطي اللامحدود واللامقطوع للمحدود والمقطوع، قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ

---

(١) الجاثية: ٢١.

(٢) فاطر: ٤٥.

لَرَءوفٌ رَحِيمٌ﴾[1] ولايضرّه ما يعطي وإن كثر لأنّه هو الغنى المطلق وسواه فقير.

(س) هل في قوله (عزّوجلّ): ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم﴾ خطابٌ للإنسان؟

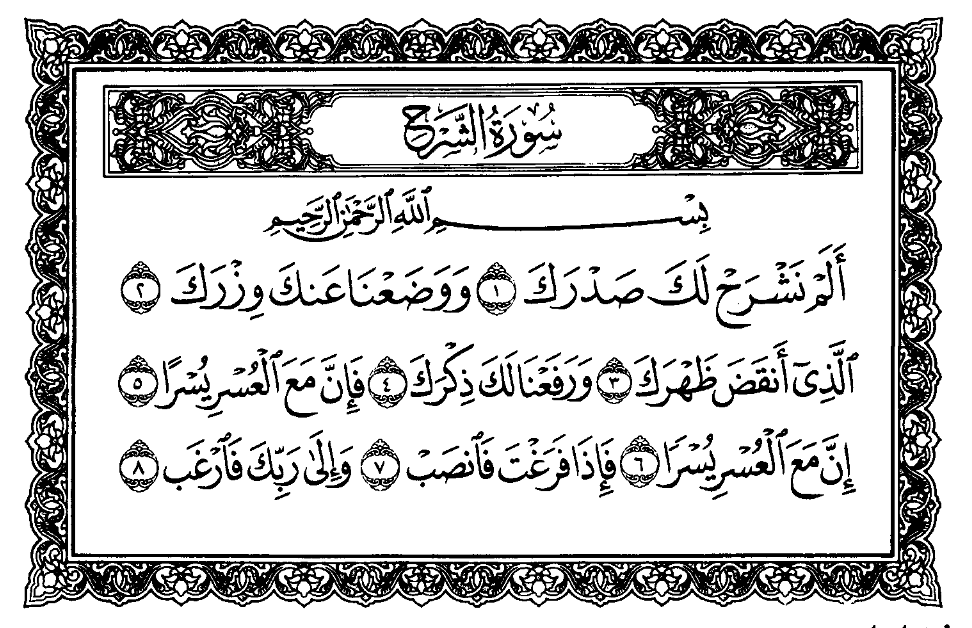
(ج) نعم، في الآية خطابٌ للإنسان ودعوةٌ إليه إلى الاستفادة من الطاقات الإلهية التي وُضعت بين يديه.

(س) ما هو المراد من أسفل سافلين وهل هناك مصداقٌ يذكره القرآن الكريم؟

(ج) المراد من الارتداد إلى أسفل سافلين هو النزول إلى أحطّ الدركات والمنزلة بين الخلائق لحدٍّ لا يوجد أسفل منه، وقد يكون المنافق الذي يُنزَل إلى أسفل دركات جهنّم مصداق لهذا الإنسان المركوس عن إنسانيّته.

(١) البقرة: ١٤٣.

سُورَةُ الشَّرح



فضلها:

ابن بابويه باسناده، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: من أكثر قراءة والشمس، والليل اذا يغشى والضحى والم نشرح، في يوم أو ليله لم يبق شيء بحضرته الا شهد له يوم القيامة، حتى شعره وبشره ولحمه ودمه وعروقه وعصبه وعظامه وكلما أقلته الارض معه، ويقول الرب تعالى: قبلت شهادتكم لعبدي وأخرتها له، انطلقوا به إلى جناني حتى يتخير منها حيث ما أحب، فاعطوه من غير مَن، ولكن رحمةً مني وفضلاً عليه وهنيئاً لعبدي.

مفردات السورة:

الشرح: بسط الشيء بواسطة ما مثل شرح اللحم بالسكّين وغير ذلك ومنه شرح

الصدر: أي بسطه بنور إلهيّ وَسَكينة من جهة الله وروحٌ منه، قال تعالى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾، ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ...﴾ [1]، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

الصدر: هو صدر الروح وهو الوسيط بين العقل والقلب، إذ ينقل من العقل إلى القلب الذي في الصدر، فانشراح العقل يؤدّي إلى انشراح الصدر.

الوزر: الحمل الثقيل ومنه سُمّي الوزير وهو الذي يحمل الثُقل عن الملك.

انقاض الظهر: كسره بحيث يسمع له صوت، كما يُسمَع من السرير مثله عند استقرار شيء عليه.

ووضع الوزر: إذهاب ما يَحُسُ من ثُقله.

فانصب: أمرٌ بالنصب، وهو الرفع والإقامة للشيء، لا النَصَب المقصود منه التّعب وإلاّ فكان (فانصِب).

موضوع السورة:

السورة المباركة تأمُرُ بالنصب في الله والرغبة إليه، وفيها استفهامات تقريرية تُقرّر للرّسول ﷺ نعماً عدّة، إيجابية وسلبية، ومن ثمّ يطلب منه الله (سبحانه وتعالى) الاستمرار بمواصلة العمل الرسالي والتبليغي ودلك عند حصول الفراغ من العمل، إذ السورة نوع من التذكير للرسول ﷺ بعظمة الإمكانيات التي أودعها الله فيه، فلهذا تدعوه إلى استخدامها في نشر الهدى.



الأسئلة والأجوبة

❁ قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

(س) هناك قول يقول: بأنّ ملكين جاءا إلى النبيّ ﷺ وأزالا من قلبه الحقد والحسد والكبر و... وأدخلا فيه الرأفة والرحمة، هل هو صحيح؟

(١) الزمر: ٢٢.

(ج) لا يمكن قبول هذا القول بشكل قاطع، موسى عليه السلام عندما طلب شرح الصدر بقوله: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾[1] قال: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾[2]، يمنح الله الاستعداد الكامل للشخص الذي يحمل مسؤولية كبيرة ولا يحتاج إلى مَلَكين لكي يأتيا وينزعا منه الغلّ والحسد و. . . ويضعا فيه الرأفة والرحمة، ولا يمكن لنبي الرحمة ﷺ أن يكون في صدره الغل والحسد وهو القائل: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين».

(س) لماذا ذكر الله (سبحانه وتعالى) منَنه لنبيّه بصيغة الاستفهام دون الإخبار بصيغة أخرى؟
(ج) إنّ ذكرَ النِّعَمِ بصورة الاستفهام فيها الحلاوة ما لم تكن في صيغة أخرى.

(س) هل يمكن القول بأنّ سورتي الضحى وألم نشرح سورة واحدة؟
(ج) سورة الانشراح سورةٌ مستقلّةٌ بنفسها وليست جزءاً من سورة الضحى، ولكن يجوز قراءتهما في ركعة واحدة ويجوز قراءة إحداهما في ركعة واحدة أيضاً، والدليل هو فصلهما بالبسملة، ويؤيّده رواية الراوندي عن داود الرقي عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث قال: فلمّا طلع الفجر قام فأذّن وأقام وأقامني عن يمينه وقرأ في الركعة الأولى الحمد والضحى وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد ثمّ قَنَتَ وسَلَّمَ وجلس[3].

(س) هل يمكن امتلاك الصدر المنشرح؟
(ج) نعم، يمكن، رُوي أنّ البعض قال للنبيّ ﷺ: يارسول الله أينشرح الصدر؟ قال: نعم، قالوا: وما علامَةُ ذلك؟ قال: «التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإعداد للموت قبل نزوله» الزهد في الدُّنيا والرغبة إلى الآخرة والاستعداد للموت توجب انبساط القلب وسعَته.

(س) لماذا قال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ولم يقل: ألم نشرح لك قلبك؟

(١) طه: ٢٥ـ٢٦.
(٢) طه: ٣٦.
(٣) تفسير الفرقان: الآية.

(ج) الصدر هو محلّ وسوسة الشيطان ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ فالقضاء على الوساوس وإبدالها بدواعي الخير هو الشرح، ويختصّ بالصدر دون القلب، القلب هو الحرم المنشرح بنور الله (عزّوجلّ) ولا يحتاج إلى شرح آخر، فإذا رأى الشيطان بأنّ القلب محصنٌ بالصدر المنشرح، فسوفَ يرجع على أعقابه، ولكن إذا وجَدَ فيه مسلكاً، يُنَزِّل جنوده فيبثّ الهموم والغموم والحرص في الصدر حتّى يضيق على صاحبه[1].

(س) أولا يكون في قوله (تعالى): ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزرَكَ﴾ نوعٌ من المنّة الإلهية على الرسولﷺ؟

(ج) انّ المنّة التي تصدر من الله (عزّوجلّ) ليست كَمنَّة الآخرين، إنّ منّته كلّها خير وفضل ورحمة ويجد المؤمن منها السعادة والسرور خلاف المنَّة التي تظهر من الآخرين التي تصاحبها النقمة والأذى، وفي السورة إظهارٌ لبعض النِّعم التي أعطاها الله (تعالى) لرسوله الكريمﷺ وكان يَجدُ فيها السعادة الكبرى ومن هذه النِّعم شرح صدره وإنفاذ دعوته ورسالته ورفع ذكره و. . . .

وأنّ النبيّﷺ قال «علامة ذلك؟ قال: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود والإعداد للموت قبل نزوله» والنبيّﷺ عندما أُعطيت له مهمّة إبلاغ الرسالة العالمية أولا يُعطى سعة صدر؟ والإمام أمير المؤمنين عليّعليه السلام يقول: «آلة الرئاسة سعَة الصدر»[2].

(س) كيف شَرَحَ الله (سبحانه وتعالى) صَدرَ نَبيِّه؟ وهل كان يحتاج إلى ذلك؟

(ج) بَسَطهُ بحيث يسع لما يُلقى إليه من الوحي ومن ثُمّ تبليغه، ومواجهة المكاره والصعوبات والأذى. وجاء شرح صدر النبيّﷺ بفعل ملازمة أعظم ملك من ملائكة الله ثمّ بوحي القرآن، ثمّ بمكافحة المعارضين، ولاشكّ أنّهﷺ كان يحتاج إلى ذلك، وكان

---

(١) تفسير الفرقان: الآية.

(٢) المصدر نفسه.

للإمام عليّ عليه السلام دورٌ بارزٌ في حمل الوزر وإذهابه عن النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : «قام الإسلام بسيف عليّ ومال خديجة عليها السلام » .

(س) فكما هناك انشراحٌ للصدر بالخيرات والنور، هل هناك عملية معاكسة وهي إملاء الصدر بالكفر؟

(ج) نعم يُعبّر عن ضيق الصدر من الخيرات وانفتاحه على الكفر نوع آخر من شرح الصدر، قال (عزّوجلّ): ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ﴾[1] .

(س) قال البعض: إنّ المراد من الوِزر هو الذنب زَعماً أنّه المعنى اللغوي لها، فهل يمكن أن تقبله السورة المباركة؟

(ج) لو كان ذنباً لم يُمتَنُ به عليه ولابدّ أن يقول: وغفرنا عنك وزرك، ولكان مقدّماً على انشراح صدره، فتقدّم انشراح الصدر يوحي إلى أنّه لا يُقصد من الوِزر هو الذنب، بل هو ثقل أو عِبأ الرسالة .

(س) لماذا قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ولم يقل: ألم نشرح صدرك؟

(ج) من وجهين:

أ) كأنّه (تعالى) يقول لامٌ بلام، فأنت تفعل جميع الطاعات لأجلي كما قال (عزّوجلّ): ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾[2] ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[3] وأنا جميع ما أفعله لأجلك أيضاً .

ب) إنّ فيها تنبيهاً على أنّ منافع الرسالة عائدة إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، كأنّه (عزّوجلّ) قال: إنّما شرحنا صدرك لأجلك لا لأجلي[4] .

(س) لماذا قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ ولم يقل ألم أشرح؟

(١) النحل: ١٠٦ .

(٢) طه: ١٤ .

(٣) الذاريات: ٥٦ .

(٤) التفسير الكبير: الآية .

(ج) إذا قُلنا: النون في (نشرح) للتعظيم فإنّها تـدلّ على عظمـة المُنعِم ومن ثمّ على عظمة النِّعمة، وأنّ العقول لا تستطيع معرفة عظمة شأنها وجلالها.

وإن حملناه على نون الجمع فالمعنى كأنّه تعالى يقول: لم أشرحه وحدي بل استخدمت فيه ملائكتي أيضاً، فكنت ترى الملائكة حولك وبين يديك ينصرونك ويمنعونك من الأعداء ويقوُّونَ قلبك و. . . فأدّيت الرسالة وأنت قويّ القلب[1].

۞ **قال تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾.**

(س) كيف وضع الله الثُّقل الذي كان يشعُرُ به النبيّ محمّد ﷺ من المواقف الخطرة التي كان يواجهها ومن الحرص في التبليغ، وما كان يلاقيه من قومه؟

(ج) أذهب الله عنه هذه الأثقال والهموم بعد أن أنجاه من أعداءه، وأنفذ دعوته وأمضى جهاده وكتبَ له النصر والسموّ، فهموم الرسالة هو الثِقل الرئيسي الذي كان على عاتق النبيّ ﷺ.

(س) عندما حُمِّلَ موسى (على نبيّنا وآله وعليه السلام) مهمّة الذهاب إلى فرعون، طلب من الله (سبحانه وتعالى) شرحَ الصدر وتسهيل الأمر وأن يجعل له وزيراً من أهله يساعده في حمل المسؤولية التبليغيّة، فهل طلب النبيّ ﷺ هذه الأمور؟ وإن لم يسأل هل وُفّرت له هذه المتطلّبات؟

(ج) في رواية[2] عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «. . . اللّهمَّ إنّي أسألك بما سألك أخي موسى أن تشرحَ لي صدري، وأن تُيسِّر لي أمري وأن تحلّ عقدةً من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً أخي أشدد به أزري، وأشركه في أمري كي نُسبِّحكَ كثيراً ونذكُركَ كثيراً إنّك كنت بنا بصيراً»[3].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) روي قريباً من هذا المعنى عن الإمام الباقر (سلام الله عليه) وعن ابن عبّاس عن أبي ذرّ عليه السلام.

(٣) تفسير الميزان: الآية.

❁ قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

(س) كيف رفع الله (عزّوجلّ) ذكر نبيّهِ ﷺ؟

(ج) رفع ذكرَهُ بحيث قَرَنَ اسمه (سبحانه وتعالى) باسم نبيّه وذلك في الشهادتين[1] اللّتين هما أساس الدين:

١- إذ بهما يصبح الإنسان مسلماً منظمّاً وداخلاً تحت راية الله، وبدون أحدهما يكون كافراً، وعلى كلّ مسلم أن يذكر نبيّ الله (عزّوجلّ) في صلاته اليومية، فيشهد به نبيّاً له ومن ثمّ يُسَلِّمُ عليه.

٢- ورفَعَ اسم نبيِّه قبل مولده ومبعثه في كُتب النبيّين السابقين: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُول يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[2].

٣- جعل ذكر الرسول ﷺ في القرآن الكريم مقروناً بذكره ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾[3]، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[4].

٤- ناداه الله (عزّ وجلّ) في كتابه باسم يا أيّها الرسول ويا أيّها النبيّ، بينما نادى الأنبياء الآخرين بأسمائهم مثلاً: يا موسى، يا عيسى، يا إبراهيم.

٥- جَعَلَ محبّته في القلوب بحيث يستطيب الإنسان ذكره وهو معنى قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدّاً﴾[5].

٦- وجعل طاعة الرسول كطاعته ومعصيَتَهُ كمعصيته (سبحانه وتعالى) ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ..﴾[6].

---

(١) عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: أتاني جبرئيل فقال: إنَّ ربّك يقول: تدري كيف رفعتُ ذكرَك؟ قلت: الله أعلم. قال: إذا ذُكِرتُ ذُكِرتَ معي.

(٢) الصف: ٦.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) الأحزاب: ٧١.

(٥) مريم: ٩٦.

(٦) النساء: ٨٠.

٧- أمرَ المؤمنين بالصلاة عليه والتسليم له وجعل لذلك أجراً عظيماً، قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1].

❁ قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾.

فكأنّما هذه سُنّة من سُنن الله (سبحانه وتعالى) في الكون إذ يأتي باليسر بعد العُسر، فالسُنّة هي تحوّل الحوادث وتقلّب الأحوال وعدم دوامها.

(س) لماذا قال (عزّوجلّ): ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ بعد قوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ... وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾؟

(ج) فكأنّما الله (سبحانه وتعالى) يذكُرُ لنبيِّه محمّدﷺ علّة وضع الوزر وعلّة رفع الذِّكر، المهمّة التي وجّهت للنبيّﷺ كانت كبيرة جداً حتّى قالﷺ: «ما أُوذي نبيٌّ مثل ما أُوذيت»، ولهذا وضع عنه وزرَه، وأنّ قومه سعَوا إلى تكذيبه والاستخفاف به وأصرّوا على محو ذكره ولكن أبطل الله نواياهم وجعلها في صالح الرسولﷺ.

(س) عن الزمخشري في الكشّاف أنّه قال: إنّ قوله (عزّوجلّ): ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ مسوقٌ لتسلية النبيّﷺ بالوعد الجميل، وذلك أنّ المشركين عيّروا النبيّ والمؤمنين بالفقر والسوء، حتّى سبقَ إلى ذهنه الشريف أنّهم رفضوا الإسلام كُليّاً لافتقار أهله وحقارتهم، فذكره الله (سبحانه وتعالى) بما أنعم عليه بكبار النِّعم منها وضع الوزر ورفع الذكر، ثمّ قال له لا تيأس من فضل الله ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾».

(ج) لا يمكن قبول هذا الكلام، إنّ ذهنَ النبيّﷺ أجلّ من أن يخفى عليه حالهم وأنّ السبب الذي يدعوهم إلى رفض الحقّ والدين هو الاستكبار والاستعلاء على الله (سبحانه وتعالى)، وهؤلاء لا يرغبون في الإسلام حتّى بعد ظهور قوّته واستغناء المؤمنين، وقد بيّن الله (سبحانه وتعالى) حال هؤلاء الكفَرَة فقال (عزّوجلّ): ﴿لَقَدْ

(١) الأحزاب: ٥٦.

حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[١] ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٢]، وقال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

(س) لماذا تكرّرت الآية المباركة ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾؟

(ج) قيل: التكرار للتأكيد والتثبيت، وقيل: استئناف جملة جديدة، إذ في الآيتين دلالة على أنّ مع العُسر الواحد يُسرين، بناءً على أنّ المعرفة إذا أُعيدت في الكلام لا يتغيّر مرادها بخلاف النكرة، إذا تكرّرت فمرادهُ اثنان.

في رواية: خرج النبيّ ﷺ يوماً مسروراً وهو يضحك ويقول: لن يغلب عسرٌ يُسرَين ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾.

(س) ما هو العُسر الذي واجهه الرسول ﷺ وما هما اليُسران اللّذان وجدهما بعد العُسر؟

(ج) العُسر الذي واجهه النبيّ ﷺ هو عسر الرسالة، قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[٤]، والمراد من اليُسران هما انشراح الصدر ووضع الوزر، والثاني هو يُسر الحَشر، أي ارتياح النبيّ ﷺ من أداء الرسالة بشكل كامل ومن ثمّ اليُسر الآخر الذي عند الله ﴿وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[٥]، كما قال(عزّوجلّ): ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾[٦] أمّا النصر أو الشهادة، وهذا ما يراه المؤمن في الدُّنيا إذ يرى يُسرين مقابل العسر الواحد[٧].

---

(١) يس: ٧.
(٢) يس: ١٠.
(٣) البقرة: ٦.
(٤) المزمّل: ٥.
(٥) القصص: ٦٠.
(٦) التوبة: ٥٢.
(٧) تفسير الفرقان: الآية.

(س) هل يمكن القول: بأنّ المؤمن يجدُ اليُسر حال وقوع العُسر، أو يرى يُسرَ الدُّنيا والآخرة معاً عند وقوع العُسر؟

(ج) يمكن للمؤمن أن يجد يُسرين حال وقوع العُسر، يُسر الدُّنيا يجده في ارتياح ضميره وقربه من الله (عزّوجلّ) وابتعاده عن دائرة معصيته، ويجد يُسرَ الآخرة كما قال الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «... فهم والجنّة كمن قد رآها فهم فيها مُنعَّمون».

(س) كيف يجد المؤمن اليُسر عند وقوع العُسر ومن الواضح أنّهما ضدّان لا يجتمعان؟

(ج) يجد المؤمن اليُسر بعد وقوع العسر بزمان قليل جداً، كأنّه مقارناً وملازماً معه.

❁ قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

فانصَب في اللغة: أمرٌ بالنَّصب، نصباً للشيء أي رفعه وإقامته لا النَصب (التعب)، من دعاء كميل (رحمه الله): «... فإليك ياربِّ نَصَبتُ وجهي وإليك ياربِّ...».

(س) من أيّ شيء يفرغ الرسول لكي ينصب إلى الأمر الآخر؟ فإذا قلنا إنّه يفرغ من تأدية الرسالة أو الصلاة فهل أنّ الله (عزّوجلّ) يدعوه إلى أن يُتعبَ نفسه بعبادته ودعائه كما قيل؟

(ج) من الواضح أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ما فارق الدُّعاء والصلاة طيلة حياته وأنّه ما كان يجد فيهما التعب والنصب بل يرى فيهما الراحة الكاملة، فكما وُردَ أنّه كان يقول لبلال الحبشي: (أرحنا يا بلال) وذلك بأذانه ومن ثمّ التوجّه للصلاة والدُّعاء، وكان يقول صلى الله عليه وآله (أحببتُ من دُنياكم ثلاث... وقرّة عيني الصلاة)، والفاء المفرّغة في قوله ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ توحي إلى ارتباط الآية بأصل موضوع السورة، أي بشرح الصدر ووضع الوزر، فالفراغ هو عن إبلاغ الرسالة، ولا يكون الفراغ إلاّ عند حضور الموت، وليس النصَبُ إلاّ لاستمرارية الرسالة، ولكي يرغب إلى ربِّه كاملاً ومؤدّياً ما عليه ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[1].

(١) المائدة: ٦٧.

لم يُؤمر الرسول عند الفراغ من تأدية الرسالة بالتعب في الصلاة والدُّعاء إذ أنّه كان يرى زادَهُ وقوّته فيهما لأجل العمل الرسالي الشاقّ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمُ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً* إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾[1]، ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾، وإذا قلنا: بأنّ معنى فانصب: أي فاتعب فإنّ الرسول ﷺ واجَهَ تعباً ونصباً شديداً عندما نَصَبَ الإمام عليّ عليه السلام خليفة للمسلمين من بعده، فقالوا فيه تلك الكلمة اللاذعة: «. . . دَعُوهُ فإنَّ الرجل لَيَهجر» التي تدمي العيون وتُحرق الأكباد.

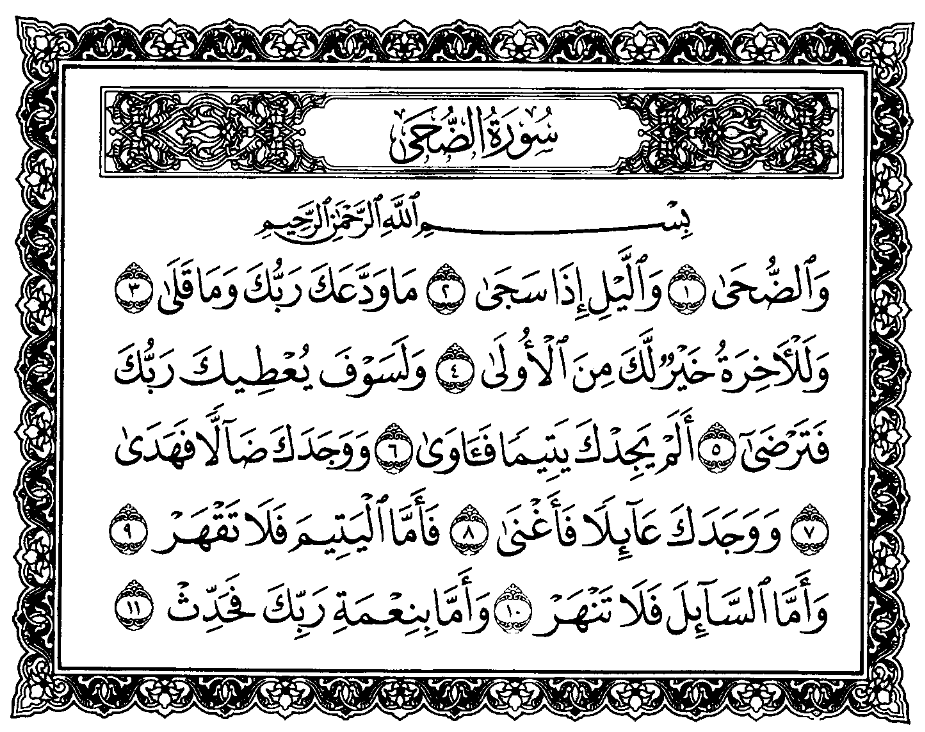
روي في الكافي عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام وعن الباقر عليه السلام أيضاً، وعن أبي حاتم الرازي أنّ جعفر بن محمّد عليهما السلام قرأ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ قال: إذا فرغت من إكمال الشريعة فأنصب عليّاً لهم إماماً».

وأنّ القول هو النصب في الدُّعاء لا يُلائم السورة ولا الرسول ﷺ ولا اللغة، ولكن يُلائم نصب الخلافة بعد حجّة الوداع والتفرّغ حينها من تأدية ما نزل عليه من القرآن إلاّ الآية الأخيرة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ...﴾ .

إنّ الرسول ﷺ كان مأموراً بتعب نفسه وإعدادها لأجل الرسالة وإنّه لم يُفارق الله (عزّوجلّ) طرفة عين طوال حياته المباركة.

(١) المزمّل: ١ ـ ٧.

سُورَةُ الضُّحَىٰ



فضلها:

تقدم في سورة ألم نشرح.

مفردات السورة:

الضحى: وقت انبساط الشمس وامتداد النهار وسُمّي الوقت به (أي إذا ارتفعت الشمس) في تفسير القمّي (قال: إذا اظلم).

سجى: (سكَنَ وأظلَمَ وَغطّى)، عن ابن عبّاس (غطّى الدُّنيا بظُلمته).

قلى: بكسر القاف هو البُغض أو شدّتهُ.

ودّعك: تركك.

يتيماً: اليتيم هو المنقطع عمّا يحقّ له الاتصال به كالأبوين والعلم والأدب والحقّ المادّي سواء كان طعاماً أو لباساً.

ضالا: الضلال عدم الهداية أو الذهاب عن العلم ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾[1].

عائلاً: الفقير الذي ليس له مالٌ ولا قوتٌ ليُغني به نفسه والآخرين.

تقهر: تؤذي أو تُسيء

تنهر: تزجر.

ما قلا: ما أبغض

سبب نزول السورة:

تقول الروايات: انحبس الوحي عن النبيّ ﷺ ردحاً من الزمن حتّى قال المشركون استهزاءً إنّ ربّه ودّعه وقلاه، فاغتمّ النبيّ غمّاً شديداً، وكان حقّاً له أن يغتمّ إذ رأى نفسه بعيداً عن زاده الوحيد وروحه الكبرى، فنزلت السورة، ليطيّب الله بها نفسه الشريفة.



الأسئلة والأجوبة

۞ قال تعالى: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾.

(س) لماذا انقطع الوحي عن النبيّ ﷺ عدّة أيّام، فهل حصل شيءٌ من الترك الإلهي له؟

(ج) انقطع الوحي عن النبيّ ﷺ لحكمة عالية وهي لتكون حجّة واضحة على الناكرين

(١) البقرة: ٢٨٢.

والمشكّكين النافرين، وليكون أيضاً انتباهُ وتثبيتٌ للنبيّ وللمؤمنين بأنّه ﷺ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾(١) وليُثبت للجميع بأنّ الوحي والكلام من الله فقط وليس من وحي نفسه ولا هوى عقله أو سواه، فإذا لم يكن من الله (عزّوجلّ) فلماذا ينقطع الوحي المضلّل، إذاً فالانقطاع هو نوع من التصديق والتثبيت للرسالة المحمّدية ﷺ(٢).

(س) لماذا أقسم الله (سبحانه وتعالى) بالضحى والليل إذا سجى لتذكير الرسول ﷺ بعدم تركه؟ ولماذا لم يقسم بأمور أُخرى؟

(ج) أقسم الله (سبحانه وتعالى) بالضحى وبالليل إذا سجى وذلك لكي يُنبّه الرسول ﷺ إليهما، إذ فكما أنّ الضحى رحمةٌ من الله (عزّوجلّ)، فكذلك الليل وسجاه رحمةٌ منه أيضاً، وعلاقته بموضع غياب الوحي عنه ﷺ يُريد (عزّوجلّ) أن يُبيِّن ؛ إذ كما أنّ نزول الوحي باستمرار رحمة، فإنّ انقطاعه رحمةٌ أيضاً. ويُريد أن يقول أيضاً بأنّ للنهار ساعات معيّنة وهكذا لليل وأحياناً تزداد ساعات النهار وتنقص ساعات الليل وأحياناً با لعكس وكلاهما رحمة، فلا تكون الزيادة لهوى ولا النقصان لقلى بل لحكمة إلهيّة(٣).

(س) لماذا قدّم الله (سبحانه وتعالى) ذكر الليل في السورة الماضية وأخّره في هذه السورة إذ قال ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا﴾ بينما قال في السورة السابقة ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾؟

(ج) إنّ لكلّ من الليل والنهار فضيلة تخصّهُ، وبهما تنتظم مصالح المُكلّفين، فلمّا كانت لكلّ منهما فضيلة ليست في الأُخرى، لهذا قدّم هذا على ذلك وتارة ذلك على هذا،

---

(١) النجم: ٣ ـ ٤.

(٢) تفسير الفرقان: الآية.

(٣) التفسير الكبير: الآية.

ويمكن القول بأنّ الليل كالدُّنيا والنهار كالآخرة ولكلّ منهما أهمّيته الخاصّة[١].

(س) لماذا خصَّ (عزّوجلّ) وقت الضحى بالقسم والذكر دون أن يذكُرَ وقتاً آخراً من النهار مثلاً يقول والظهر؟

(ج) إنّه وقت اجتماع الناس وسرورهم بعد الاستيحاش في زمن الليل، فكأنّما القسم بالضُحى بشارَة للنبيّ ﷺ وهو أنّ بعد استيحاشك بسبب احتباس الوحي، يظهر ضحى نزول الوحي مرّة أُخرى.

وقيل: إنّها الساعة التي كلَّم فيها موسى عليه السلام ربّه، وألقى فيها السحرة سُجّداً، وتفيد بأنّ الذي أكرم موسى عليه السلام لا يَدعُ إكرامك، والذي قَلَبَ قلوب السَحرَة حتّى سجدوا ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحىً﴾[٢]، فإنّه يُقلِّب قلوب أعداءك أيضاً.

(س) لماذا ذكر الضحى وهو ساعة من النهار، وذكر الليل بكليّته، بصورة قَسَم بهما؟

(ج) إنّه إشارةٌ إلى أنّ ساعة من النهار توازي جميع الليل، كما أنّ محمّداً ﷺ إذا وُزِن يوازي جميع الخلق[٣].

۞ قال تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

(س) لماذا قال (عزّوجلّ): ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ دون أن يقول: «وما قلاك»؟

(ج) ١ - إنّه حذف الكاف في (قلا) اكتفاءً بالكاف الأولى في ودَّعك، ولأجل حفظ الوزن للآيات.

٢ - إنّها (قلى) تُفيد الإطلاق إذ ما قلاك ولا قلى أحداً من أصحابك ومُحبّيك إلى يوم القيامة فـ«المرء مع مَن أحبّ»[٤].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) طه: ٥٩.

(٣) التفسير الكبير: الآية.

(٤) المصدر نفسه.

۞ قال تعالى: ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾.

(س) ماذا نستفيد من قوله تعالى: ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾؟

(ج) إنّه خطابٌ للرسول ﷺ[1] وللرساليّين من بعده ولمنَ سارَ على نهجه ودخل حزبه بأنّ هناك عطاءاً كبيراً سوف يلاقيه بالإضافة إلى العطاء الكبير الذي هو فيه.

فيها معنى الترقّي بالنسبة إلى ما تفيده الآية السابقة من كونه ﷺ على ما هو عليه من الموقف الإلهي الكبير والعناية والرحمة الربّانية في الدُّنيا، فإنّ له حياةً أُخرى أكبر وأفضل من حياة الدُّنيا بالرغم من جلال شأنه عند الله (عزّوجلّ) في الدُّنيا.

(س) عندما يقول (جلّ وعلا) بأنّ الآخرةَ خيرٌ من الأولى فهل الأولى فيها خيرٌ والنبيّ ﷺ قال: «ما أُوذي نبيٌّ مثل ما أُوذيت» والإنسان المؤمن يمرّ في ابتلاءات كثيرة قال ﷺ: «إنّ الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه» فأين هي الخيرية الموجودة في الدُّنيا؟ وقال (عزّوجلّ): ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾؟

(ج) إنّ الخير الذي يلمسه الرسول ومن سار على نهجه وخطاه هو راحة الضمير والإحساس بأنّه يقوم بالواجب والمسؤولية التي وضعها الله (عزّوجلّ) عليه، فلهذا يشعر بسعادة كبيرة عندما يرى نفسه أنّه بعين الله (عزّوجلّ) ولا ينساه في الدُّنيا والآخرة، قال الله (عزّوجلّ): ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، بالإضافة إلى الحياة الهنيئة والطيّبة التي يعيشها في نفسه قال (عزّوجلّ): ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[3].

(س) ما علاقة الآية ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾ بما سبقتها؟

(ج) ١ - إنّه نوعٌ من الاتّصال كأنّما الله (سبحانه وتعالى) يقول: إنّ انقطاع الوحي عنك لا يجوز لأنّه عزلٌ عن النبوّة، ولكن إذا كان هناك انقطاع فإنّه دلالةٌ على استكمال

(١) بالرغم من إعطائنا لك الكوثر في الدُّنيا فإنّنا سوف نعطيك أكثر منه في الآخرة.

(٢) الروم: ٤٧.

(٣) النحل: ٩٧.

الرسالة وقرب الأجل ، انقطاع الوحي يدلّ على الموت والموت خيرٌ لك ، فإنّ ما لكَ عند الله خيرٌ من الدُّنيا وما فيها .

٢- عندما قال (سبحانه وتعالى) : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ حصل له بهذا الكلام تشريفٌ عظيمٌ ، فكأنّه استعظمَ هذا التشريف فقيل له : ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾ لهذا قال ﷺ : «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي» ، وقد يكون من باب «إيّاك أعني واسمعي يا جارة»[١] .

(س) كيف يعرف الرسول ﷺ بأنّ الآخرة خيرٌ له من الأُولى؟ وكيف يتّضح ذلك لنا؟

(ج) أ) إنّ خيرات الدُّنيا قليلة ومنقطعة ومخلوطة بالأذى ، بينما لذّات الآخرة كثيرة وخالصة ودائمة .

ب) الآخرة خيرٌ له لأنّه ليس فيها أذى ﴿لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[٢] بينما رأى النبيّ ﷺ الأذى الكثير في حياته من الكفّار والمنافقين والانتفاعيين حتّى قال ﷺ : «ما أُوذي نبيٌّ مثل ما أُوذيت» .

ج) إنّ الدُّنيا محلّ ابتلاء وانتقال ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ، بينما في الآخرة دار النعيم والخلود والسعادة .

د) لا يجد الإنسان الراحة والاطمئنان والسعادة في الدُّنيا إلاّ بذكر الله (عزّوجلّ) ، بينما في الآخرة اللذّة والسعادة في ذكر الله (عزّوجلّ) وفي نعَم أعدّها الله (عزّوجلّ) لعباده الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر ، قال (عزّوجلّ) : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾[٣] ، وقال : ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[٤] .

---

(١) التفسير الكبير : الآية .

(٢) الحجر : ٤٨ .

(٣) الزخرف : ٧١ .

(٤) السجدة : ١٧ .

(س) لماذا قال (عزّوجل) : ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ﴾ ولم يقُل خيرٌ لكم؟

(ج) لأنّه لو قال (خيرٌ لكم) لشملت جميع أصحاب النبيّ ﷺ وفيهم مَنْ هو منافق ومذنب، فالمنافق لاشكّ أنّ الآخرة ستكون شراً له، ومنهم من سيخلد في الدرك الأسفل من النار لكفره بالحقّ والقرآن، وهناك ممّن يرى شيئاً من العقاب لكي يتطهّر من الذنوب ثمّ يدخل الجنّة.

۞ **قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.**

(س) هل أنّ الرسول ما كان راضياً عن ربّه، بحيث ينتظر عطاءاً من الله (عزّوجلّ) لكي يرضى عنه؟

(ج) حاشا لرسول الله ﷺ أن لا يرضى عن ربّه (سبحانه وتعالى)، ولكن حالةُ عدم الرضا التي حصلت عند الرسول كانت من نفسه لا من الله (تعالى) إذ عندما انقطع عنه الوحي لعدّة أيّام، سخط على نفسه وأخذ يظنُّ بها هل قصّرت أو أنّها قاصرة، ولكن عندما جاء إليه الوحيّ مرّةً أُخرى رَضِي من ربّه، هذا في الدُّنيا وسوف يعطى عطاءاً آخراً في الآخرة ويرضى.

(س) هل الشيء الذي سيُعطيه الله لرسوله في الآخرة أكبر ممّا هو في الدُّنيا لكي يرضى؟

(ج) لا شكّ أنّ الذي سيعطيه في الآخرة هو أكبر وأفضل لكي يرضى لأنّ ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾ وروي عن الرسول ﷺ بأنّ الشيء الذي سيحصل عليه يوم القيامة هي الشفاعة، ولا ريب أنّها من أعلى رضاه شفقةً على أُمّته.

رواية عن جابر بن عبدالله قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة الزهراء عليها السلام وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من حملة البعير، فلمّا نظر إليها قال: يا فاطمة! تعجّلي مرارة الدُّنيا لنعيم الآخرة غداً، فأنزل الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[1].

(س) هل الآية مختصّة بالرسول ﷺ أم أنّها تشمل المؤمنين أيضاً؟ أو هل يعطي الله

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

للمؤمنين في الدُّنيا ما يريدونه حتّى يرضون، كما أنّه يعطيهم ذلك في الآخرة ويكونون راضين ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾؟

(ج) الآية مختصّة بالرسول ﷺ إذ أُعطي من الخير المعنوي حتّى رضى، ولكن لا يُعطي للإنسان الخير المعنوي ولا المادّي لكي يرضى، لأنّ الدُّنيا ليست دار بقاء، وأنّه لم يعطيهم ذلك رحمةً منه (تعالى) بهم، فالإحساس بالتقصير المعنوي يدفع الإنسان إلى المزيد من الصالحات والحسنات، وعدم الرضا المادّي يدفع الإنسان إلى التطلّع نحو الحياة الكُبرى والحقيقيّة.

(س) ما علاقة الآية ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ بما تقدّم؟

(ج) لمّا قال (عزّوجلّ): ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾ لم يُبيّن مقدار التفاوت أو الأفضلية إلى أيّ حدٍّ ودرجة، ولكن عندما قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ بيَّن مقدار ذلك وهو أنّه يصل إلى غاية ما يتمنّاه ويَرضاه.

(س) لماذا قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ ولم يقل: وسيعطيك ربُّك؟

(ج) أ) إنّه يدلّ على عدم قُرب أجله، بل يعيش ﷺ بعد ذلك زماناً.

ب) عندما قال المشركون ودّعَهُ ربّه وقلاه، ردَّ الله (عزّوجلّ) عليهم بقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ وعندما قالوا: سوف يموت محمّد، ردَّ عليهم بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

(س) ما هذه اللاّم الداخلة على سوف؟

(ج) قال صاحب الكشّاف هي لام الابتداء المؤكّدة لمضمون الجملة، والمبتدأ محذوف تقديره: ولأنت سوف يعطيك ربّك. .» ولا يمكن أن تكون لام القَسَم لأنّها تدخل على المضارع مع نون التوكيد، ولام الابتداء على الجملة من المبتدأ والخبر[1].

(س) قيل: الشيء الذي سيعطيه الله (عزّوجلّ) للرسول ﷺ حتّى يرضى هي الشفاعة، فما هو الدليل على ذلك؟

---

(١) تفسير الكشاف: الآية.

(ج) أمره الله (سبحانه وتعالى) بالاستغفار في الدّنيا إذ قال له: ﴿اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[1] والاستغفار هو طلب المغفرة، ومن طلب شيئاً فلاشكّ أنّه يريد الإجابة ولا يرضى بالردّ، وبما أنّ الرسول ﷺ كان لا يُريد في حياته إلاّ الخير والرحمة للناس وللمؤمنين بصورة خاصّة ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءوفٌ رَحِيمٌ﴾[2]، لذا فسوف يعطيه الشفاعة في الآخرة حتّى يرضى[3].

(س) هل أعطى الله (سبحانه وتعالى) أشياء عظيمة لنبيّه في الدُّنيا لكسب رضاهُ؟

(ج) لا بأس من حمل الآية على خيرات الدُّنيا والآخرة، فمن الخيرات التي أُعطيت للنبيّ ﷺ في الدُّنيا هي الظفر على أعدائه يوم بَدر ويوم فتح مكّة والغلبة على اليهود، وانتشار جيوش المسلمين في بلاد العرب وانتشار الإسلام، ومن ثمّ أعطاه الكوثر وهم أولاده المعصومين الذين جاءوا من بنته فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، والأئمّة الطاهرون هم الذين حفظوا الإسلام والقرآن من بعده وهم الذين بذلوا الغالي والنفيس لأجل ذلك ولهذا السبب انتقلوا عن هذه الدُّنيا إمّا مقتولين وإمّا مسمومين عليهم السلام، وآخرهم سمي النبيّ ﷺ المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً.

۞ **قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾.**

(س) ما علاقة الآيات ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً

---

(١) محمّد ﷺ: ١٩.

(٢) التوبة: ١٢٨.

(٣) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: رضا جدّي أن لا يدخل النار موحّد.
وعن الباقر عليه السلام: «أهل القرآن يقولون: أرجى آية قوله ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ وإنّا أهل البيت نقول أرجى آية قوله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ والله إنّها الشفاعة ليعطيها في أهل لا إله إلاّ الله حتّى يقول رضيت».

﴿فَأَغْنَى﴾ بما سبق؟

(ج) في الآيات إشارة إلى أصل الموضوع وهو اغتمام النبيّ(ص) بعد انقطاع الوحي عنه، فالآيات تقول فالذي آواك بعد يتمك وهداك بعد ضلالكَ وأغناك بعد عيلولتك، جديرٌ بأن يُعيد الوحي إليك بعد انقطاعه وأنّه لم ينقطع إلاّ لحَكمة وهدف كبير، وأنّه سوف يعطيك حتّى ترضى[1].

(س) الآية المباركة تقول: بأنّ النبيّ(ص) كان يتيماً فآواه الله (سبحانه وتعالى) فما هو ذلك اليُتم الذي واجهه(ص)؟

(ج) النبيّ(ص) واجه اليُتم بكلّ أشكاله، تُوفيت أُمّه وعمره ستّة أشهر (وقيل ستّة سنوات) وتوفّي أبوه وهو في بطن أُمّه، فآواه الله (عزّوجلّ) إلى جدّه عبد المطّلب وبعدها إلى أبي طالب(ع). كان منقطعاً عن العلم الأكثر قبل بعثته فآواه الله إلى النبوّة والرسالة.

كان يتيماً عن الوحي انقطع عنه الوحي عدّة أيّام (اختلف الروايات أنّه يومان أو ٣ ـ ٤ ـ ١٢ ـ ١٥ ـ ٢٥ أو (أربعين) يوماً.

كان وحيداً بين الناس لا نظير له (القول الآخر في معنى اليتيم) فآوى الناس إليه وجمعهم حوله.

قوله (سبحانه وتعالى): ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾ غير مهتدي الهداية الكبرى ولكن عند نزول القرآن المفصّل اهتدى(ص) الهداية الكبرى.

۞ قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾.

(س) ما المراد من قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾ هل كان النبيّ(ص) ضالاً عن القرآن المبين الذي جعله الله (عزّوجلّ) هُدىً للناس؟

(ج) إنّ كلّ إنسان لو خُلي مع نفسه لضلّ وتاه في متاهات شتّى دون أن يهتدي إلى خير، ولكن بلطف الله (عزّوجلّ) يهتدي الناس كلٌّ حسب سعيه، فالنبيّ(ص) كان مهتدياً ولكن ليس الاهتداء الأكبر فعندما جاءه الكتاب المفصّل حصل على الهُدى كلّه، فلقد

---

(١) تفسير الفرقان: الآية.

كان ﷺ أهدى الناس قبل وحي القرآن، وُلِدَ وهو مملوءٌ بالإيمان والتأييد من قبل الله(عزّوجلّ)، قال الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في الخطبة القاصعة: «ولقد قَرَنَ الله به ﷺ من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يَسلُك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره». فالنبيّ ﷺ كان ضالا كما تقول الآية المباركة عن أمور منها:

١) ضلالٌ عن وحي الإسلام والنبوّة الكبرى، عندها هداه الله إليها، قال تعالى: **﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَاب وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُون﴾**(١) **﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾**(٢).

٢) وقيل وجدك ضالاً بين النّاس لا يعرفون حقّك فهداهم إليك (وقيل غير ذلك وهي وجوه ضعيفة)(٣).

(س) ماذا كانت شريعة النبيّ ﷺ قبل بعثته بالإسلام؟ هل كان يعبد بدون شرعة ومنهاج، أم كان يعبد حسب الشرائع السابقة للأنبياء عليهم السلام، أو بشرعة خاصّة به؟

(ج) الذي يمكن قبوله هو أنّه ﷺ كان يعبد الله بشرعة صالحة عظيمة خاصّة به دون أن يطلع عليها أحدٌ من البشر، لأنّ النبيّ ﷺ هو أعظم الأنبياء وأفضل خلق الله جميعاً فلا يمكن أن يمتلك الأنبياء السابقين شيئاً دون أن يمتلكه هو، عيسى (على نبيّنا وآله وعليه السلام) أُوتي النبوّة والكتاب وهو في المهد **﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ الله آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾**(٤) ويحيى عليه السلام قال القرآن الكريم عنه: **﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾**(٥)، بينما نبيّنا ﷺ قال: «كنتُ نبيّاً وآدم بين الماء والطين» إذاً فهو نبيّ قبل أن يُولد، وأنّه أُوتي ما

---

(١) العنكبوت: ٤٨.
(٢) النساء: ١١٣.
(٣) تفسير الفرقان: الآية.
(٤) مريم: ٣٠.
(٥) مريم: ١٣.

يحتاجه من القرآن حين ولادته، دون أن يحتاج إلى رسالات الآخرين[١].

﴿ قال تعالى: ﴿ووَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾.

(س) العائل هو الفقير الذي ليس له مال ولا قوّة لكي يُغني نفسه والآخرين منه، فهل كان النبيّ ﷺ يشكو الفقر وهل كان يرجو من الله مالاً وحولاً؟

(ج) النبيّ ﷺ ما كان يشكو الفقر لنفسه أبداً وإنّما إذا رجى من الله مالاً أو قوّة فإنّما يرجو ذلك لأجل عزّة الإسلام والمسلمين.

(س) كيف أغنى الله (سبحانه وتعالى) نبيّه الأكرم ﷺ؟

(ج) أغناه الله (عزّوجلّ) عندما تزوّج بخديجة بنت خويلد عليها السلام التي رفضت الأشراف والرؤوساء في الازدواج، ومقابل ذلك عرضت نفسها على الزواج من النبيّ ﷺ فقَبل ذلك وتمّ الزواج المبارك، وبذلت خديجة عليها السلام جميع مالها في سبيل الإسلام حتّى قال ﷺ: «قام الإسلام بسيف عليّ ومال خديجة».

عن تفسير العيّاشي عن الإمام الرضا عليه السلام في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾، قال عليه السلام: فرداً لا مثيل لك في المخلوقين فآوى الناس إليك، ووجدك ضالا: أي ضالا لا يعرفون فضلك فهداهم إليك، ووجدك عائلاً: تعول أقواماً بالعلم فأغناهم الله بك».

(س) كيف يحسن من الله (سبحانه وتعالى) أن يَمُنّ بنعمة على رسوله ﷺ فيقول: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ وأنّه حكى عن فرعون في مَعرَض الذمّ له حينما قال لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾[٢] فهذا المنّ ذمّهُ الله عليه، فكيف يُحسن من الله ذلك على نبيّه الأعظم ﷺ؟

(ج) ١- لابدّ أن نعرف أوّلاً بأنّ المنّ من الله (عزّوجلّ) على الإنسان ليس فيه أي أذىً وإحراج بل يشعر الإنسان بذلك الفضل والكرامة، بأنّ الله مَنَّ عليه من دون الآخرين

---

(١) تفسير الفرقان: الآية.

(٢) الشعراء: ١٨.

كما قال لموسى عليه السلام : ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ﴾[١] .

٢- إنّ المنّ إذا كان يُقصد فيه الخير وتقوية القلب والوعد بدوام النعمة فإنّه مَنٌّ حَسنٌ ومطلوب ، بينما المنُّ الذي يُقصد به إذلال الطرف المقابل وطلب الخضوع والخدمة منه فإنّه باطل وغير صحيح ، كما كان مَنُّ فرعون لموسى عليه السلام ، مَنُّ الله يُقصد منه زيادة النِّعمة فكأنّه يقول : مالك تقطع عنّي رجاءك ، ألستُ شرعت في تربيتك ، هل تُظنّني تاركاً لما صنعت ، بل لابدّ أن أُتمِّم نعمتي عليك وعلى أُمّتك[٢] .

❁ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾.

(س) ما الحكمة من يُتْم النبيّ صلى الله عليه وآله في صغره؟

(ج) ١- لكي يعرف حال اليتامى فيقوم بحقّهم وإصلاح أمرهم ، كان نبيُّ الله يوسف (على نبيّنا وآله وعليه السلام) لا يشبع فقيل له في ذلك ، فقال : أخاف أن أشبع فأنسى الجياع ، وهكذا كان أئمّتنا عليهم السلام .

٢- من كان له أبٌ وأمٌّ يحصل له نوعٌ من الاعتماد عليهما ، فسلب الله (عزّوجلّ) عنه الوالدين حتّى لا يعتمد من أوّل صباه إلى آخر عمره على أحد إلاّ الله (تعالى) ، فيكون كمثل إبراهيم عليه السلام عندما أُلقي في النار قال لجبرئيل عليه السلام : «علمه بحالي يُغني عن سؤالي» وكجواب مريم عليها السلام : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[٣] .

٣- جعله يتيماً ليعلم الناس أنّ فضيلته من الله (عزّوجلّ) لأنّ الذي له أب يسعى في تعليمه وتأديبه .

٤- ليكون اليتيم مشاركاً له في الاسم فيكرم لأجل ذلك ، قال صلى الله عليه وآله : «إذا سمّيتم الولد

---

(١) طه : ٣٦ـ٣٧ .

(٢) التفسير الكبير : الآية .

(٣) آل عمران : ٣٧ .

محمّداً فاكرموه، ووسّعوا له في المجلس»[١].

(س) قيل: إنّ المراد من عائلاً في قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ أي وجدك كثير العيال وهم أُمّتك، فأغناك وأغنيتهم، فكيف أغناهم ﷺ؟

(ج) إنّه أغناهم بعلمه وهداه، إذ كانوا فقراء بسبب جهلهم، فلمّا كان النبيّ ﷺ هو صاحب العلم والهداية لهذا اهتدوا واستغوا ونزلت عليهم الخيرات الإلهية، وأغناهم الله (عزّوجلّ) أيضاً بسبب مجيء النبيّ ﷺ إليهم فأهلك أعداء بيته الحرام وأنزل عليهم خيراته وبركاته وأمنه ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا..﴾[٢].

ما هي الحكمة في ذكر هذه الأشياء للنبيّ ﷺ؟

(ج) لكي لا ينسى نفسه فيقع في العُجب قال ﷺ: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي».

ولكن يعرف بأنّ الله لم ينساه في أشدّ الظروف فكيف ينساه وقد أصبح نبيّنا ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

۞ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

(س) قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ خطابٌ للنبيّ ﷺ بأن يأوي اليتيم ولا يقهره وأن يحسن إليه كما أحسن الله له، فهل كان يصدر من النبيّ خلاف ذلك لكي يأمره الله (عزّوجلّ) بالإحسان؟

(ج) حاشا لرسول الإسلام ﷺ الإساءة ليتيم أو فقير، فهو الذي كان يقول: «الله الله فيمن ليس له إلاّ الله» وقال ﷺ: «إذا بكى اليتيم وقعت دموعه في كفّ الرحمن» (روي عن أنس).

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) قريش: ١ ـ ٣.

فالآية من باب إيّاك أعني واسمعي يا جارة. وكان النبيّ ﷺ يوصي الإمام عليّ عليه السلام بهم خيراً وكان الإمام عليه السلام يوصي أولاده أيضاً، قال عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: «يابُني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها...».

وقال عليه السلام: «الله الله في اليتامى فلا تغبُوا أفواههم»(١).

(س) أي سائل أمر الله (عزّوجلّ) نبيّه والمؤمنين بعدم نهره وزجره؟

(ج) أي سائل كان سواء كان يطلب العلم والهداية أو الذي يطلب المال والطعام واللباس، وخير من كان يأوي السائلين والفقراء هو النبيّ ﷺ وأهل بيته الكرام المعصومين عليهم السلام، قال ﷺ: «أدّبني ربّي فأحسنَ تأديبي».

۞ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

(س) ما هي النِّعم التي أمر الله (عزّوجلّ) بإظهارها؟

(ج) جميع النِّعم والخيرات التي أنعمها (عزّوجلّ) على عباده، لابدّ عليهم من إظهارها والتظاهر بها بأنّها من الله (عزّوجلّ) فيكون في ذلك تمجيداً وشكراً لله (عزّوجلّ)، سواء كانت هذه الخيرات عقلية أو إيمانية أو علمية أو ماديّة.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا أنعمَ الله على عبده بنعمة فظهرت عليه سُمّي حبيب الله، مُحدِّث بنعمة الله، وإذا أنعم الله على عبده بنعمة فلَم تظهر عليه سُمِّي بغيض الله مكذِّب بنعمة الله».

(س) هل هناك شروط يجب أن تُلازم عملية إظهار النِّعم الإلهية والتحدّث بها؟

(ج) لاشكّ، لابدّ أن يكون القصد من التحدّث بأنعُم الله (عزّوجلّ) هو إظهار فضل الله ومكرماته ومن ثمّ دعوة الناس إلى الاستفادة منها حسب الإمكان، ولابدّ من مجانبة التفاخر والعجب وإدخال الأذى في قلوب الفقراء والفاقدين لتلك النِّعم، وأنّ أئمّتنا المعصومين عليهم السلام عندما كانوا يُظهرون النِّعم كانوا يقصدون بذلك وجه الله (عزّوجلّ)

(١) تفسير الفرقان: الآية.

وانتفاع العباد فقط .

رُوي عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال : (إذا عملت خيراً فحدث إخوانك ليقتدوا بك) وهذا يحسن إذا كان يقصد به وجه الله (عزّوجلّ) لا طلب السمعة والرياء .

(س) ما هي الحكمة في تأخير الله (عزّوجلّ) لحقّه عن حقّ اليتيم والسائل؟

(ج) كأنّه (تعالى) يقول : أنا غنيٌّ وهما محتاجان وتقديم حقّ المحتاج أولى[1] .

(س) لماذا قال (سبحانه وتعالى) ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ دون أن يقول (فاخبر)؟

(ج) وذلك لكي يكون عنده مثل الحديث الاعتيادي لا ينساه ، يُعيده مرّة بعد أُخرى[2] .

---

(١) التفسير الكبير : الآية .

(٢) المصدر نفسه .

الفهرس